المنهل

AL MANHAL

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

العدد (٥٩٥) المجلد (٦٧) العام [٧١] المحرم وصفر ١٤٢٦ هـ - فبراير ومارس ٢٠٠٥م

مسابقة المنهل الثقافية
قسيمة المسابقة داخل العدد

السنة النبوية وتدوينها ..

موقف اليهود من الأغيار

التجارة الإلكترونية.. سوق المستقبل

الكتابة العربية .. ودعاوى المستشرقين



العوالق وسيلة للعلاج ومادة لانتاج الدواء

المنهل .. في عقدها الثامن استمرارية وفاء .. وعطاء..

البرديات .. تاريخ امتنا في مكتبات العالم

روعة السماوات من آيات الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة

عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

غلاف العدد



المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١

برقيا: المنهل

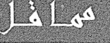
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥

٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠

تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢





بلادنا لـنا

□ وأعني بكلمة: «بلادنا لنا» .. ان بلاد العرب من المحيط الاطلسي، الى الخليج العربي، هي الوطن الخاص للعرب.. فلهم وحدهم خيراته، وعليهم وحدهم تقع تبعات حمايته وتقدمه وانعاشه وانهاضه.. ومعنى تلك الكلمة أيضا أن بلاد المسلمين، من أقصاها الى أقصاها هي ملك خاص للمسلمين وحدهم، لهم وحدهم جنى خيراتها، وعليهم وحدهم تقع تبعات ممارسة الحكم والسيطرة والانهاض والانعاش في داخل اطارها الوضاء.

انني أعتقد أن هذا المبدأ السليم القويم اذا تغلغلت ذراته في أعماق الشعب العربي والشعوب الاسلامية جمعاء فسرعان ما تتحقق لهم جميعا أهدافهم المثلى.. وسرعان ما تنجاب عن أجوائهم غياهب الاستعمار والصهيونية البغيضة.. سيحمل الاستعمار المجرم عصاه عندها ويرحل آيبا الى مكمنه الاول، وستحمل الصهيونية الآثمة عصاها وترحل عن بلاد العرب عائدة الى حيث كانت من قبل من بلاد العالم النائية.. فالاستعمار والصهيونية في حقيقة واقعهما الملموس هما مثل المرض الخبيث، لا يتسرب الى خلايا الجسم الا من خلال الاعضاء الضعيفة .. اما اذا كان الجسم كله قويا ومتماسكا ونشطا فلن يجد المرض الخبيث منفذا للتسرب أو الهجوم.

وقد أراد الله بالمسلمين خيرا جما، وبالعرب خيرا عميما حينما قرر لهم في كتابه المجيد ذلك المبدأ الخالد: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» ، فدافعوا عن بلاد العرب وديار الاسلام، دفاع الابطال، مؤمنين من صميم أفئدتهم بأن العزة لهم وان الذل لأعداء العروبة والاسلام.. عاملين على ذلك بالقول وبالعمل.. فجنوا بذلك أروع الانتصارات وحموا بذلك حمى الاوطان من تسرب غربان الاستعمار وهجمات ذئاب العدوان ■

«عبدالقدوس الأنصاري»

صفر ١٣٧٨هـ/سبتمبر ١٩٥٨م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣ جنيهات تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

عـــام هجـري جديد ..

.... اللهم اجعله عام خير وبرّ ورحمة وبركة ..

العام ننزعه ورقة ورقة من كتيب التقويم الذي بين أيدينا.. نطوي الورقـة في أكـفنا ونقـذف بهـا في سلة المهـمـلات التى أمامنا..

القليل منًّا ينظر ما كتب في تلك الورقة من موعظة أو حكمة أو قول مأثور..

وكثير منًّا لا يلتفت الى شيء من ذلك.

وما درينا أن تلك الوريقات هي رمز لأيام العمر تنسلخ يوماً فيوماً.. وليلة فليلة..

يومنا هذا : (زمان .. ومكان .. وحدث) وكلها شواهد (لنا) .. أو .. (علينا).. محاور اليوم الثلاثة هذه:

إمـا أن نحسن التـعـامل معـهـا، وفـيـهـا، وبهـا.. فَنَسْعَدَ .. ونُسْعِدَ .. وتشهد لنا بالخير يوم لا ينفع مال ولا بنون..

وإمـا أن نُسـيء التـعـامل معـهـا، وفيـهـا، وبهـا .. فنشْقى .. ونُشْقي .. وهي آنذاك شاهد علينا .. نسأل الله السلامة..

لا نظن عـاقـلا يجعل أيامـه ولياليه تتفلت من بين يديه كما يتسرب الماء من بين فروج الأصابع.

والى الله جلَّت قدرته نرفع أكفّ الضراعة أن يجعل عامنا هذا خيراً من سوالفه.

وكل عام وأنتم بخير ...

المحـــرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

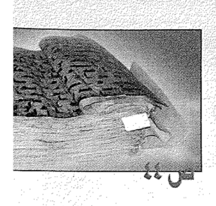
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشـــارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

العنوان البريدي :
E-mal: AL-Manhal@Al-manhal.Com.sa
عنوان موقع الإنترنت :
URL: WWW.AL-Manhal.Com.Sa


ص ٤٤


ص ١٤



فقرات مستلة

★★ السنة النبوية المطهرة كانت العناية بها منذ عهد النبوة، حفظاً في الصدور وتدويناً في الصحف، على عكس ما يقول المرجفون

ص ٢٠

★★ أكثر مجموعات الوثائق البردية العربية خارج أوطانها

ص ٤٤

★★ القتل المنظم للاطفال والنساء والشباب، وتدمير المساكن، تطبيق عملي لتوراة اليهود

ص ٦٠

★★ لم يعد هناك إلهام إبداعي بل صنعة.. والقصة لاتخضع لقواعد العقل والمنطق

ص ٩٢

★★ العوالق : تنظف المحيطات والبحار، ومادة للدواء والعلاج

ص ١٣٦





الاشتراكات

جـــدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال٠
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

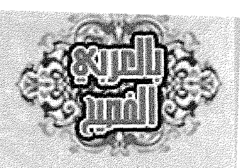
وكـــلاء التوزيـع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥



إلى الامام على الدوام

«٧٠ عاماً من العطاء»



زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري
رئيس التحرير

□ شاب في الثلاثين من عمره.. النشاط والطموح والجد تملأ جوانحه.. أنشأ مجلته المنهل من غير نموذج سابق.. أنشأها ولا يملك إلا العزم والطموح.. وأربعين ريالا فقط..

عبد القدوس الأنصاري - عليه رحمة الله - ذاك العصامي، أصدر مجلة المنهل من (لا شيء) وكانت سبقاً (صحفياً وأدبياً وثقافياً وعلميا) بل (وحضاريا..)

(المنهل) .. (مجلة تخدم الأدب والثقافة والعلم).. وهذا اختياره: لاسمها كدلالة (المنهل).. واختياره لمضمونها ومحتواها (الأدب والثقافة والعلم).. وكان ملتزماً وصادقاً بـ (المسمى .. والمحتوى).

ويؤكد هذا ما جاء في افتتاحيته للعدد الأول من المنهل الصادر في ذي الحجة ١٣٥٥هـ/ الموافق لشهر فبراير ١٩٣٧م: حيث يقول: «وسنبذل قصارى الجهد في سبيل إحاطة هذا المنهل بسياج متين من أسباب الوقاية، حتى لا يتلوث معينه، ولا يتعكر صفوه بجراثيم التراشق والاسفاف» وكان له ما أراد بتوفيق الله سبحانه.

وجعل شعارها الثابت والدائم «إلى الامام على الدوام» جعله نبراساً لطموحه في اصدار هذه المجلة التى حلم المؤسس باستمراريتها وحافظ على مستواها الادبى والثقافي والصحفي، وبالفعل واصلت مسيرتها في عهده وتطورت وغدت عروس المجلات الثقافية الادبية في وطننا العربي الكبير، وتابع المسيرة من بعده ابنه (نبيه الانصاري) رحمه الله، وكان له دوره الفاعل في تطويرها وبصماته واضحة في كل اعدادها على مدى عقدين من الزمن، ومن بعده كان لي شرف حمل هذه الراية، وهذه الامانة.. وكانت المنهل عشقى منذ صباى المبكر، إذ كنت رفيق (جدى) و(والدي) عليهما رحمة الله ورضوانه.. والآن يأتي الدور عليّ لتحمل هذه الامانة، وهي شرف لي كما أسلفت، وهي أمانة منظومة علمية وفكرية وأدبية وحضارية..

نسأل الله التوفيق وتسديد الخطى، في سبيل الاستمرارية والتطوير والابداع والتألق.. بعون الله تعالى، ثم بتواصل المحبين للمنهل من كاتبين وقارئين وداعمين.

وفي افتتاحية عدد شعبان ١٣٨٥هـ/ ديسمبر ١٩٦٥م، يؤصل الاستاذ عبدالقدوس الانصاري لكلمة المنهل بقوله: المنهل انما أخذ اسمه في الأصل من منهل الماء الزلال الذى يروي الظمآن، وينظف الاقذار، ويصفى الاكدار، ويلطف الجو، ويهيىء القراء لحركة ايجابية بناءة، لا يضعفها غرض ولا عرض ولا مرض.. ص ٥٩٤.

ولا غرو فان المنهل بهذا الفهم العالي الرفيع لطبيعة وجوده، يبقى ويظل وسيلة تنوير في الفكر والعلوم والآداب، ووسيلة نهوض وارتقاء بالمجتمع، بل يبقى واحداً من الوسائل المؤثرة الفاعلة في صناعة النهضة العامة.. ولا يخفى على الجميع ما للكلمة المقروءة من دور فاعل في نهضة الأمم والشعوب.. والمتصفح لمجلدات المنهل قديمها وحديثها يجد مصداق ما ذهبنا اليه.

وبتوفيق الله سبحانه، ظل المنهل دفّاقا، ينحت مجراه في الصخر منذ عام انشائه في ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م، وحتى يومنا هذا، من غير توقف ولا انقطاع، على مدى سبعة عقود متتاليات، في حين ان عقداً واحداً من الزمن كان كافياً لتساقط العديد من كبريات المجلات المعاصرة له في الكثير من الدول العربية.

وظل المنهل مستمرا على منهجيته العلمية الأدبية الثقافية التى اختطها له

مؤسسه منذ نشأته وحتى الآن.

وهذه الاستمرارية المضطردة حدت بالمنهل بجدارة لأن تكون (أمّ المجلات العربية) - وقد دوّن هذا جمهرة من الكتاب والدارسين والباحثين في مجال الصحافة والمطبوعات؛ وأعدّ الدارسون والباحثون أطروحاتهم العلمية حول ريادة المنهل ومؤسسها ودورهما الفعال في نشر الثقافة والمعرفة.

صفحات المنهل كانت ولا تزال ملتقى لأقلام أبناء العربية في كل مستوياتهم العلمية والثقافية والفكرية، من داخل المملكة وخارجها.. ولا نذيع سراً ان قلنا ان هذا التلاقي المتناغم جعل من المنهل نسيجا علميا وفكريا وأدبيا شاركت في لحمته وسداه كل النخب العربية والاسلامية، ونحسب هذا واحداً من أسباب استمراريته، مضافاً الى منهجيته الصارمة الحازمة في البعد كل البعد عن الخصومات والمنازعات التى لا تلد إلا شروراً متراكبة متراكمة.

بهذا العدد الذي بين يديكم أيها الأكارم - يشعل المنهل شمعة عامه (الواحد والسبعين) من عمر مديد سديد رشيد باذن الله تعالى وتوفيقه، ثم بكريم صحبتكم إياه - كاتبين وقارئين -.. وبهذا العدد يخطو خطوته الأولى في (عقده الثامن).

وان كانت (السبعين) في عمر الواحد منّا قد أحوجت سمعه الى ترجمان، فإنها في عمر الفكر تزيده ازدهاراً وبهجة ونضارا.. والمنهل (فكر).. فكر أنضجته السنون، وعتقته الأيام تحت وهج شمس الحقيقة.. وهذا وحده حسبنا في ان نكون أشد حرصاً على استمراريته، مهما كانت شدة الظروف المادية التي تحيط به الآن.. وهي في رأيي ظرفيه وقتية غير دائمة.

فان كان مؤسس المنهل الاستاذ عبد القدوس الانصاري - عليه رحمة الله تعالى - قد أسسه ولا يملك غير (عزيمته وصبره وصدقه)، واستمر برفقته نصف قرن من الزمن، فانه من مقتضيات الأمانه والوفاء ان يظل هذا المشعل مضيئاً رغم كل عقبات وصخرات التمويل المسيّرة له..

وأمام هذه العقبات المادية الكأداء، فقد اضطررنا اضطراراً - ونحن آسفين - الى إدماج الاعداد، بحيث أصبح منذ أمد قليل يُصدرُ المنهل العدد الواحد لشهرين في حين كان يصدُرُ كل عدد لشهره.. وأكرر ما دفعنا وساقنا لهذا الاجراء إلا الوضع المادي الضاغط، وكل أملنا باذن الله تعالى ان يكون هذا ظرفاً طارئاً نستطيع تجاوزه عن قريب.

وبرغم هذا كله نسوق البشرى لأصدقاء المنهل ومحبيها وقارئيها، أنّا - بفضل الله تعالى وتوفيقه - سوف نبدأ في بناء وتشييد «دارة المنهل» في مدينة جدة، في قطعة الأرض التى تفضل بها خادم الحرمين الشريفين منحة للمنهل.

هذه الدارة التى طالما حلم بها مؤسس المنهل الاستاذ عبد القدوس الانصاري - عليه رحمة الله تعالى - وكتب عنها وعن موقعها في مقال له بعنوان (أحلام).. ووضع خارطتها وشرع في تجهيزها الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري.. وتشاء الأقدار أن يكون لنا شرف بنائها وتأسيسها..

هذه الدارة ستكون المقر الرئيسي لمجلة المنهل، مؤسسة تأسيساً حديثا متكاملا.. إضافة مكتبة كبرى، يفيد منها الدارسون والباحثون والقراء بعامة.. وهذه المكتبة قوامها مكتبة الاستاذ عبد القدوس الأنصارى علاوة على ما أضاف اليها الوالد الاستاذ نبيه الأنصارى من مصادر ومراجع ومخطوطات.

ويبقى المنهل:

وفيّاً لمبادئه التى قام عليها، ومنهجيته التى يسير عليها، ووفائه لبلده ووطنه، ولكل ما هو صالح مصلح نافع.. ويظل محباً لكل أحبائه وأصدقائه وقرائه، وكل من آثره بحب ووفاء.

وهؤلاء جميعاً يظلون مرتكز المنهل في عطاء ثر متبادل يفيد منه الجميع.. مؤملين ان يتفاعل رجال الاعمال في مملكتنا الفتية مع هذه المجلة ويعملون على دعمها ومساندتها معنوياً ومادياً وذلك اما بالاشتراك أو الاعلان أو الدعم المالي المباشر.. وان يضعوا نصب أعينهم أن دعم مثل هذا العمل الثقافي الأدبي انما هو دور فاعل لهم في دعم وجه من وجوه العطاء في بلادنا الغالية..

ونكرر مع مؤسس المنهل مقولته الشهيرة: إلى الأمام على الدوام.. ■

متابعات وتعليقات

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وضع حجر الأساس لأكبر المشاريع الاستثمارية



الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يضع حجر الاساس

□ مدينتا الجبيل وينبع الصناعيتان في المملكة العربية السعودية، مدينتان فريدتان من نوعهما على مستوى العالم، إذ أصبحتا قاعدة كبرى للاستثمار في المملكة، وعاملا جاذباً للاستثمار الاجنبي، وذلك لما لهما من تجهيزات تقنية عالية المستوى، مع توفر خامات التصنيع الهيدروكربونية، ويسند هذا كله البنية التحتية المتكاملة.. وكل هذا وفر مناخاً صحياً للاستثمار الوطني والاجنبي.

معلوم أن صناعة البتروكيماويات تقف في مقدمة الصناعات التى يقاس بها تقدم الدول نظراً لتوظيفها أحدث التقنيات العالمية وكونها أساسا لسلسلة متشابكة من الصناعات التحويلية التى تلبي معظم حاجات الانسان العصرية، لا سيما بعد أن أصبح البلاستيك بديلا لمعظم الخامات الطبيعية.. وتستند صناعة البتروكيماويات الى توافر الموارد الهيدروكربونية، مع التوظيف المكثف لرأس المال والطاقة.



جولة للأمير عبدالله

ولما كان لمدينة الجبيل الصناعية الأولى دورها الفاعل في التصنيع والاستثمار الصناعي، وما أنشأت من تنافس قوى في هذا السوق، يأتى مشروع (الجبيل ٢) امتداداً للجبيل الصناعية الأولى.. ويقدر حجم الاستثمار في هذا المشروع (٧ر٣) مليار دولار.. وقد بلغ اجمالى استثمارات الشركة السعودية للصناعات الاساسية (سابك) في مدينتى الجبيل وينبع حتى الآن (١٢٠) مليار ريال - (٣٢) مليار دولار ■

جائزة الملك فيصل العالمية

□ تقدير العلم والعلماء، واظهار جهودهم، والاشادة بها، عمل من أعمال الوفاء بالعلماء وتقديرهم، واشعارهم بذلك يحفز هممهم ويزيدهم دفعاً وقوة وعمقاً في مجالات دراساتهم وبحوثهم، وهذا التقدير من جانب آخر هو عمل حضاري ينمّ عن رُقيّ في الفكر، واتساع في العقل المدرك لحقائق الكون والحياة ووجوب الأخذ بأسباب تنميتهما وازدهارهما من أجل الانسان في بعده الانساني والادائي.

لكل هذه الغايات وغيرها جاءت (جائزة الملك فيصل العالمية) لتمثل انجازاً علمياً وفكريا وأدبياً وثقافياً ومعرفيا، افتقده العالم الاسلامي كثيرا.. ثم جاءت هذه الجائزة لتضيف بعداً (اسلاميا) الى فضاءات العلم والفكر الانساني بعامة، مفاده أن (الاسلام) دين يدعو بقوة للأخذ بالعلم وأسبابه، وتكريم العلماء، في كل مجالات العلم - مادام ينفع البشرية - بغض النظر عن ديانات وتوجهات هؤلاء العلماء، أو انتماءاتهم.

وهذا مبدأ عظيم أخذت به هذه الجائزة الانسانية الراقية (جائزة الملك فيصل العالمية).. والمتتبع لقوائم الفائزين بها يدرك هذه الحقيقة.

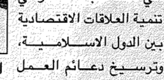
وهذا يعنى ويؤكد: (صدقية) هذه الجائزة بانحيازها الحقيقى للموضوع المقدم فقط، ويؤكد (حياديتها).. وهذا ما افتقدته معظم الجوائز العالمية الأخرى..

هذه الجائزة لقيت قبولا عربياً واسلاميا، ودولياً.. وحقّ لها ذلك.

ونتائج جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م كانت كالتالي:

- جائزة خدمة الاسلام :

مناصفة لكل من الدكتور/ أحمد محمد علي رئيس البنك الاسلامي للتنمية - السعودي الجنسية - .. ومؤسسة الحريري بالجمهورية اللبنانية.



الأمير سلطان بن عبدالعزيز

الدكتور/ أحمد محمد علي لعمله الجاد المثمر في تنمية العلاقات الاقتصادية بين الدول الاسلامية، وترسيخ دعائم العمل الاسلامي من خلال الاقتصاد.

أما مؤسسة الحريري: فقد ساعدت في تعليم عشرات الآلاف من الطلاب وترميم وبناء مساجد في لبنان، ورعاية مؤسسات العجزة والايتام في لبنان، وانشاء مراكز صحية واجتماعية في لبنان .

- في مجال الدراسات الاسلامية:

فقد فازت بها الدكتورة (كارول هيلينبراند) البريطانية الجنسية ، أستاذة التاريخ الاسلامي في جامعة (ادنبره) بالمملكة المتحدة، وذلك تقديرا لجهودها الرائدة في دراسة وتدريس التاريخ الاسلامي، وكتابها المعنون (الدراسات التى تناولت دفاع المسلمين عن ديارهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين).

- جائزة الادب :

وقد حجبت لهذا العام.

- جائزة الطب :

وكان موضوعها (أخطار التبغ على صحة الانسان) وقد فاز بها مناصفة كل من: الاستاذ الدكتور/ ريتشارد دول، البريطاني الجنسية، والاستاذ الدكتور/ ريتشارد بيتو البريطاني الجنسية.

- جائزة العلوم :

وموضوعها (الفيزياء) جاءت قسمة بين ثلاثة من الباحثين: الاستاذ الدكتور/ فيديريكو كاباسو، أمريكي الجنسية، والاستاذ الدكتور/ فرانك ويلتشيك، امريكى الجنسية، والاستاذ الدكتور/ انطون تسايلينغر ، نمساوي الجنسية ■



المؤتمر التقنى .. من أجل مهنية تعليميه



الأمير سلمان بن عبدالعزيز في افتتاح المؤتمر التقني

□ المؤتمر التقنى السعودي الثالث الذى عقد مؤخراً في مدينة الرياض، افتتحه صاحب السمو الملكى الامير سلمان بن عبد العزيز أمير مدينة الرياض نيابة عن صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

الانسان السعودي لا شك يمثل مرتكز التنمية في المملكة، وأساس حركة النهضة والتطور والتقدم.. والاهتمام به يعد قيمة حضارية في ذاتها.. ولكى يؤدي الانسان السعودى دوره الحضاري الفاعل المنشود ينبغى ادخاله في نسيج الحياة التقنية الحديثة بكل تطوراتها وزخمها. وهذا ما تعمل المملكة من أجله بفضل الانماء الحيوي لحركة الاداء الكامنة فيه.

في كلمته التى ألقاها نيابة عن صاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز قال صاحب السمو الملكى الامير سلمان بن عبد العزيز «كان هدفنا ولا يزال هو العمل على بناء عقول أبنائنا، وتزويدهم بالعلم الحديث وأدواته المعاصره، لكى يصبحوا مواطنين صالحين».

وهذا يتحقق بتضافر الجهود وتعاون الجميع في قطاعات الدولة العامة والخاصة.. والتعامل مع هذه التقنية بحس وطني».

ويدعو الشباب بقوله: «وأدعو أبنائى الشباب للتجاوب مع جهود وزارة العمل، والمبادرة في التسجيل في حملة الوزارة للتوظيف».

وقد صاحب هذا المؤتمر مؤتمراً آخر نظمته المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بمدينة الرياض في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات، وكل ذلك بغرض حشد الجهود العلمية والفنية والتقنية، للافادة من اصحاب الخبرات في هذا المجال.

ومن أجل إنجاح هذه المؤتمرات والخبرات، وصولا إلى الغاية المرجوة وهي ايجاد منظومة شبابية عاملة غير عاطلة، فاعلة ومؤثرة فقد دعمت الدولة هذه الاعمال بحوالى ٤ر٢ مليار ريال، لانشاء عشرة كليات تقنية حديثة، و(٣٧) مركزاً تدريسيا مهنيا وانشاء ١٩ منشأة فنية وتدريسية، وتشغيل (٥) كليات تقنية جديدة وكذلك تشغيل (١١) مركزا للتدريب المهني ■

معرض جدة الدولي للكتاب

الأمير عبدالمجيد يفتتح معرض جدة للكتاب الدولي

□ مدينة جدة حاضرة البحر، بفرحة المضيف استقبلت معرض الكتاب الرابع في شهر ديسمبر الماضي ٢٠٠٤م٠٠ وافتتح المعرض برعاية صاحب السمو الملكي الامير عبد المجيد بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة.

شارك في هذا المعرض ٤٠٠ دار نشر من مختلف بلدان العالم٠٠ عربية وأوروبية٠٠ وبما أن التطور والتميز سنة الحياة، فان هذا المعرض قد أفاد من المعارض السابقة: تظيماً وترتيباً وفعاليات ومشاركات٠٠ والعناوين المعروضة كانت اكثر شمولا وسعة لما كان مكان نظر في المعارض السابقة.

وهذا المعرض رغم قصر زمنه إلا أن الكثير من الدارسين والباحثين والمثقفين بعامة، من الجانبين: الرجال والنساء قد أفاد منه كثيرا٠٠ وإن كان لنا أن نسجل رأيا ، فإنا نأمل حقيقة أن يصاحب معارض الكتاب القادمة زخماً أكبر (موضوعاً وعرضا) من الفعاليات الفكرية والثقافية والأدبية٠٠ وأن تختار عناوين المشاركات بدقة كبيرة تناسب مجريات الاحداث، ووقائعها على الأرض: عرضاً للمشكلة ومحاولة لايجاد الحل. وذلك لأن معرض الكتاب ـ في رأينا ـ ليس مجرد مكتبات وعناوين، بل هو تفاعل بالواقع، ودراسته بجدية وحكمة ■



جولة داخل المعرض

جائـزة أبهـا للثقـافـة



الأمير خالد الفيصل

☐ مدينة أبها عروس الجنوب .. اختط لها أميرها الشاعر الفنان المبدع صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل جائزة ثقافية تخلد الابداع والفن والثقافة والأدب ؛ أسماها (جائزة أبها للثقافة).

ولا شك أن هذه الجائزة لها مدلولها الفكري والثقافي، ولها وقعها المتميز في نفوس الفائزين بها.. هذا اضافة لزخمها الموضوعي والمعنوي.

وتأتي جائزة هذا العام ١٤٢٦هـ في المجالات التالية:

أولا : الشعر الفصيح :

ديوان شعري متميز (مخطوط) أو مطبوع في نفس العام وجائزته (٢٠,٠٠٠) ريال.

ثانيا : القصة القصيرة :

مجموعة قصصية متميزة (مخطوطة) أو مطبوعة في نفس العام وجائزتها (٢٠,٠٠٠) ريال.

ثالثا : الرواية والمسرح :

رواية متميزة (مخطوطة) أو مطبوعة في نفس العام وجائزتها (٢٠,٠٠٠) ريال.

رابعا: الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية:

(دراسة نقدية عن الشعر في عسير) وجائزتها (٢٠,٠٠٠) ريال.

خامسا: الفن التشكيلي :

ثلاث لوحات على ألا يزيد مقاس اللوحة عن ١٢٠ سم كأطول ضلع لها وتكون ذات اخراج جيد وجائزتها (١٨,٠٠٠) ريال.

سادسا : التصوير الضوئي :

ثلاث صور فوتوغرافية لم يسبق عرضها والمقاس مفتوح وتكون مؤطرة بإطار جيد يحمي العمل من الخدش والتلف وجائزته (١٨,٠٠٠) ريال.

شروط وايضاحات عامة :

١ ـ الجائزة مفتوحة للجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي والعرب المقيمين بالمملكة.

٢ ـ تستوحي الموضوعات مما يعزز الانتماء وحب الوطن.

٣ ـ يفضل أن تتضمن الأعمال الفنية شيئاً من الجديد الذي لم يسبق عرضه.

٤ ـ تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالمملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح. وستقدم شهادة تقديرية للجهة التى فاز مرشحها مع دعوة ممثلها لحضور الملتقى.

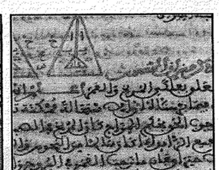
٥ ـ تقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.

٦ ـ ترفق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة.

٧ ـ ألا تكون الأعمال المقدمة قد سبق التقدم بها لنيل جائزة أخرى.

٨ ـ الترشيحات والأعمال المقدمة (البحوث ـ الشعر ـ الرواية ـ القصة القصيرة) مع عنوان المتسابق كاملا بما في ذلك الهاتف والفاكس ترسل أو تسلم إلى (نادي أبها الأدبي ـ ص.ب ٤٧٨ ـ أبهــا) هاتف (٠٧٢٢٦٤٢٣٠) ـ فاكس (٠٧٢٢٦٢١٦٥) ـ أما (الفن التشكيلي والصور) فتسلم أو ترسل إلى جمعية الثقافة والفنون بأبها هاتف وفاكس: (٠٧٢٢٥١٩٧٢) ـ في موعد أقصاه نهاية شهر صفر ١٤٢٦هـ.

وتتولى أمانة الجائزة فيما يختص بالتحكيم وأي ترتيب آخر ولا تعاد الأعمال المقدمة سواء فازت أم لم تفز ■



من مخطوطات المعرض

معرض البابطين للمخطوطات

□ الحضارة الاسلامية، نشأت ونمت وازدهرت وهي تحمل بين طياتها كل مظاهر القوة والاستمرارية، ذلك لأنها ظهرت مبدعة.. ويظهر ابداعها في أنها استوعبت كل الحضارات الوافدة إليها، وأحسنت التعامل معها، ثم اضافت إليها ما جعلها جديدة كل الجدة، يقينية كل اليقين.

في مجال الطب والعلوم والفلك كان لعلماء المسلمين تفوقهم، بل كان تفوقاً منقطع النظير، وساعدهم على ذلك أن الاسلام دعا للعلم، ودعا للنظر في الانسان والكون، ويومئذ كانت اوروبا الكنسية غارقة في الجهل بسبب مقولات الكنيسة.

لكل هذا ترك علماء المسلمين كمّا كبيراً من المخطوطات والكراريس والاوراق في كل مجالات العلوم.. والرجوع لتلك المخطوطات، وذلك التراث الآن ليس من سبيل التغنى بأمجاد الماضين، بل استشراف المستقبل من خلال تجارب من سلف.. وهي خصبة غنية.

وفي اطار هذا الفهم وهذا المدلول نظم مركز سعود البابطين في الرياض أول معرض متخصص في المخطوطات الطبية بالتعاون مع مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، وقد عرضت فيه مجموعة من المخطوطات الطبية الاسلامية النادرة.. والمعرض يتشكل في ثلاثة محاور اساسية هي:

- الادوات الطبية التى كانت مستخدمة آنذاك.
- قضية التداوي بالاعشاب، وهو ما يسمى الآن بالطب البديل.
- ثم ابراز الوجه المضيء لتلك الحضارة الغاربة من خلال المخطوطات والوثائق ■

اشارة .. وشكر

□ القارىء الكريم / سامي العسكري من تونس، من محبي المنهل ومتابعيه، في رسالة أخوية منه أشار الى وجود خطأين في كتابة آيتين كريمتين وردتا في مقالين في المنهل..

الآية الأولى جاءت في مقال (الأسلوب النبوي - دعاء السفر - نموذجاً) المنشور في العدد (٥٩١) في الصفحة (٢٩) حيث كتبت الآية {إن الله خبير عليم} والصواب {إن الله عليم خبير}.. والآية الثانية وردت في مقال (رحلة في المكتبة) المنشور في العدد (٥٩٢) في الصفحة (١٠).. حيث كتبت الآية {أما من ظلم فسوق نعذبه} بالقاف..

والصواب {أما من ظلم فسوف نعذبه} بالفاء.. ونشكر القارىء الكريم سامي العسكري على تواصله مع مجلته المنهل ■

الخطراوي يجمع نتاج الأفغاني من «المنهل»

□ رجع الدكتور محمد العيد الخطراوي الى أرشيف مجلة المنهل في أعدادها الأولى في الخمسينيات والستينيات الهجرية واستل نتاج محمد عالم أكرم الأفغاني من مقالات وقصة ومترجمات، وأصدرها في كتاب حمل عنوان: «محمد عالم أفغاني» مصحوبا بعنوان فرعي: «من رواد المقالة والترجمة والقصة في المملكة العربية السعودية».

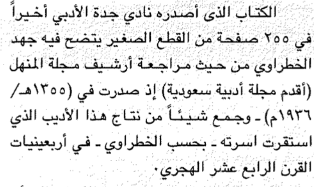
الكتاب الذى أصدره نادي جدة الأدبي أخيراً في ٢٥٥ صفحة من القطع الصغير يتضح فيه جهد الخطراوي من حيث مراجعة أرشيف مجلة المنهل (أقدم مجلة أدبية سعودية) إذ صدرت في (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) - وجمع شيئاً من نتاج هذا الأديب الذي استقرت اسرته - بحسب الخطراوي - في أربعينيات القرن الرابع عشر الهجري.

ويشير الخطراوي في مقدمة الكتاب الى أن الأفغاني «كان يحسن الأوردية والإنجليزية الى جانب إحسانه اللغة العربية» كما يذكر أن أول ما نشر بالمنهل قصة قصيرة بعنوان «الثأر» وذلك سنة ١٣٥٧هـ، وكتب كذلك المقالة الأدبية والتاريخية وترجم من الأوردية والإنجليزية».

وعلى الرغم من الجهد الذي يثمن للدكتور الخطراوي في تقديم هذا الكتاب لأديب تنحاز أكثر المصادر الباحثة في تاريخ الأدب السعودي الى تصنيفه من رواد أدب القصة في السعودية، إلا أنه غاب عن هذا الكتاب الجهد العلمي والحرص على التجويد الذى عرف به الخطراوي، وبدت عليه في هذا الكتاب صفة الاستعجال ومجانبة المنهجية، فعدا عن التجميع وكتابة إضاءة (المقدمة) لم يبرز أي شيء آخر من الجهد العلمي الذي يتوقعه المتلقي عندما



د. الخطراوى



المنهل

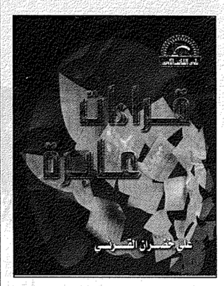
يبصر عنوان الكتاب متطلعا للدخول في عالم الأفغاني، آملا أن يجد غنى وثراء في الداخل ولكنه يخاتل بما يمكن اعتباره مقدمة لولوج عوالم هذا الأديب. ولعل الخطراوي اعترف ضمنا بهذا في تقديمه حين قال: «ولعل غيري يتولى دراسته بشكل افضل بعد أن وفرت عليه مشوار جمع النصوص».

* تنويه : ((هذه الكلمة كتبها الأستاذ محمود تراوري.. وننقلها هنا بنصها..)).

□ المنهل :

كنَّا نتمنى أن يهدينا الأستاذ الدكتور الخطراوي مجموعة نسخ من الكتاب، ليكون ضمن مكتبة المنهل العامرة، لنفيد منه ويفيد منه مراجعو المنهل من الأدباء والكتاب والمثقفين بعامة.. وليكون لنا شرف تقديمه أو دراسته بصورة موسعة.. ونعلم أن الدكتور الخطراوي من قدامى أحباء المنهل، ونحسب أنه من حق المنهل - وهو مرجعه ومصدره الاساسي في كتابه هذا أن يكون أول من يهدى إليه.. وفاء بوفاء.. والوفاء شيمة العلماء..! ■

(قراءات عابرة)



غلاف الكتاب

□ صدر عن نادي الطائف الأدبي كتاب (قراءات عابرة) للأستاذ على خضران القرني الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

والكتاب مجموعة من القراءات العابرة والمطالعات السريعة في ألوان من كتب الأدب والشعر والقصة وغيرها من الكتب الأخرى متعددة الأغراض كان قد نشر أكثرها المؤلف في العديد من الصحف والمجلات في السابق.

وقد رأى المؤلف أن يحفظها في كتيب حفاظا عليها من أن تبقى متناثرة - كما يقول المؤلف - في مقدمة كتابه.

وقد قسم المؤلف كتابه - حسب الترتيب الأبجدي - الى ثلاثة محاور:

- ما يتعلق بالشعر.
- ما يتعلق بالدراسات عامة.
- ما يتعلق بالقصة.

واحتوى الكتاب على واحد وخمسين موضوعا وكاتبا.

والكتاب من الحجم الوسط عدد صفحاته ٢٩٦ صفحة ■

في الهمّ العربي

هذه زاوية نفتحها لقراء المنهل ومحبيها.. يسجلون فيها أفكارهم وآراءهم ومقترحاتهم، في الشأن العربي العام، إذ هو همّ الجميع، وهو الوطن الاكبر للجميع.. الجميع يحلم أن يراه فوق الثريا..

في الهم العربي :

عربي أنا ..

□ «... في الهم العربي ..» هذا العنوان ما أقساه وأمله في النفس.. لكنه الواقع.. واقع عالمنا العربي الذي لا مهرب منه .. تفكك وانقسامات .. مؤامرات وعداءات ودسائس..!!

كم تمنيت أن يكون العنوان (في الأمل العربي) ... حيث العرب كل العرب، حكام وشعوب: قلوبهم جميعاً على قلب رجل واحد.. قلوبم على أوطانهم، لا يفرطون عقدهم بأيديهم.

الحكام ، يعرفون ما للشعوب من حقوق.. حيث الحرية والعدل والمساواة.. حيث التصنيع والاعمار .. حيث قوة الدولة ومنعتها.. والشعوب يعرفون ما للحكام من حقوق: حيث السمع والطاعة.. حيث المشاركة الفاعلة المثمرة في بناء الوطن حتى يعتلي هام السحاب..

كم تمنيت .. ويتمنى معي كل عربي، أن نتحدث (في الأمل العربي) الذي افتقدناه كثيراً..

(في الهم العربي..) لقد أصبح هذا المصطلح رديف أمتنا العربية حقاً ، إنهم يبيتون على هم ويصبحون في هم .. كنا نتمنى: (السوق العربية المشتركة.. الصناعات العربية المشتركة.. السياسات العربية المشتركة.. التعليم العربي المشترك).. بل (الدولة العربية المشتركة) إن صحت هذه التسمية.

تلك أمانينا .. أما الواقع فانه - حقاً - مؤلم.. تشرذم ومؤامرات ودسائس.. ولعل آخر ما ظهر من تلك المؤامرات الغادرة محاولة اغتيال صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي، حفظه الله وعافاه - من ساسة بلد عربي، كم دعا قادته للوحدة العربية، في خطب جوفاء كاذبة.. ما أحوجنا للوحدة والتوحد، لكنها الوحدة الصادقة الأمينة.. وما أحوجنا أن نكون يداً واحدة على من عادانا.. ومن المضحكات المبكيات في عالمنا العربي أن يطعن بعضنا بعضاً من خلف ظهره، وفي ذات الوقت يقيم بعضنا علاقات اقتصادية وسياسية مع عدونا وعدوّ الأمة والانسانية بأكملها.

إنها مفارقات محزنة حقاً..

من كل قلبي أتمنى وأمل أن نتحول من (الهم العربي) الى (الأمل العربي..) ■

المرسل (عربي أنا)
العنوان: (الوطن العربي الكبير)



روعة السماوات

□ كانت أقوام من البشرية في جاهليتها قد عبدت الشمس واعتبرتها الربّ الأعلى واعتبرت البرق سلاح الإله «زيوس» واعتبرت قوس قزح الميثاق بين الربّ و«نوح».

وفي الوقت الحاضر، يعتبر العلماء الشمس فرناً نوويا، ويعتبرون البرق تفريغاً كهربائياً ويفسرون ظهور قوس قزح على أنه ناتج عن انحراف ضوء الشمس عند مروره بقطرات الماء.

ولكن الشمس مازالت هي مصدر الحياة كلها بقدرة الله سبحانه وتعالى وتسخيره.. ومازال قوس قزح قادراً على أن يخلب لُبَّنا ويسحرنا، ومازالت تشاهد في السماوات أشياء لا يمكن تفسيرها.

وجميع الظواهر التى نراها فوقنا هي ظواهر ناتجة عن الإشعاع الشمسى ودخول أشعة الشمس الغلاف الجوي للأرض وتأثيرها فيه، وبهذه الطريقة تتولد الألوان الوامضة التى تجعل السماء تبدو وكأنها عالماً ملتهبا أو خطوطاً شبحية.

وتتحد حرارة الشمس المشعة مع دوران الأرض لتحويل الإعصار الى دوّامات غاضبة. وأحيانا يساهم القمر أيضاً في تكوين المشهد السماوي عند قيامه بحجب قرص الشمس بصورة كاملة بسبب مروره ما بين الارض والشمس. وعند حصول ذلك، لا يمكن سوى رؤية هالة الشمس اللؤلؤية الباهتة التى تشاهد أثناء كسوف الشمس.

والصور المرفقة مع شروحها توقفنا على بعض جماليات هذا الكون البديع:

الصورة رقم (١):

لا يوجد عادة مثل هذا السراب الرائع المنظر، والمصور في منطقة «النيجر - تميسنا» في أفريقيا، إلا في المناطق الصحراوية والقطبية. ويكثر وجود السراب أيضاً في مناطق المناخ المعتدل حيث يبدو

الطريق الجاف من بعيد وكأنه مغطى بالماء إذا كان ذلك اليوم شديد الحرارة. وهذا هو سراب سماوي ويتسبب بنفس الطريقة التى يحدث بها هذا السراب المبين في الصورة أعلاه، أي هو ناتج عن انعكاس وتكسُّر الضوء وسط طبقة من الهواء الساخن عند مستوى الأرض والطبقات الأبرد المتعاقبة التى تعلو طبقة الهواء الساخن هذه.

الصورة رقم (٢) :

كثيراً ما تتولد هالة عند اشعاع الشمس خلال غمامة خفيفة من بلورات جليدية وتوجد عادة في الارتفاعات الشاهقة أو في المناطق القطبية. ويمكن أيضاً حصول هالة حول القمر عندما ينكسر ضوؤه بفعل البلورات الجليدية.

الصورة رقم (٣) :

كسوف شمسي يحدث عند مرور القمر ما بين الأرض والشمس وحجبه قرص الشمس جزئيا أو كليا. وفي الجزر البريطانية، يمكن أن يدوم الكسوف لمدة خمس دقائق ونصف الدقيقة كحد أقصى.

الصورة رقم (٤) :

تحدث ظواهر جوية عديدة في الهواء البارد الصافى في المناطق القطبية، وتظهر هنا في الصورة أقواس قزح غير كاملة وكأنها شموس

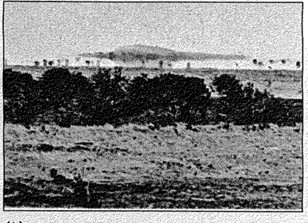
فاضل كمال الدين

- العــراق -

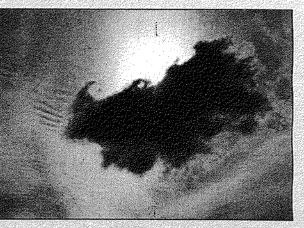
كاذبة على قوس هالة ناقصة تحيط بالشمس.

الصورة رقم (٥) :

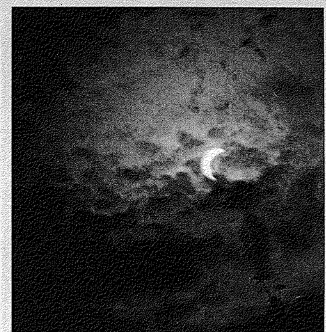
قوس قزح مزدوج كما يبدو عند مغيب الشمس بالقرب من «ملفورد هافن» في مقاطعة «يمروكشاير». ويبدو اللون البرتقالي للشمس وسط المطر. ويتولد قوس قزح عند قيام قطرات المطر بدور المنشور الذي يجزيء ضوء الشمس الى ألوانه الأساسية. وفي حالة قوس القزح المزدوج،



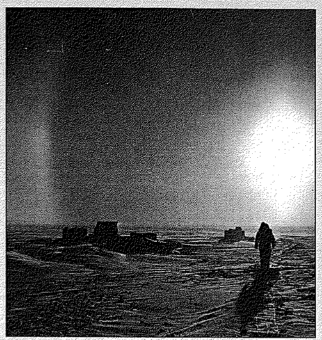
صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)



صورة رقم (٤)



صورة رقم (٥)

ينقلب ترتيب الألوان في القوس الثاني بسبب انعكاسها مرتين.

الصورة رقم (٦) :

الشمس وتحيط بها حلقة بيضية الشكل وكما تبدو من أعلى الغيوم. وكانت هذه الصورة الفوتوغرافية قد أخذت من فوق نهر «المسيسبي». وأحياناً يخلط ما بين هذه الحالات الشمسية والصحون الطائرة.

الصورة رقم (٧) :

صورة فوتوغرافية مأخوذة قبيل شروق الشمس تماماً وفي مكان يقع الى الشرق من «لونك ميند» في مقاطعة «شرويشاير» هناك خط في ظلال متجهة الى السماء ومصدرها الجبال، وهو خط يعلو خط الظلام وفوق الأفق وهو ما يزال لم يستلم الضوء من الشمس.

الصورة رقم (٨) :

منظر جانبي لإعصار قمعي وكما يبدو في صورة فوتوغرافية مأخوذة في تكساس. ويبدأ الأنبوب الدوار من قاعدة غيمة رعدية سوداء وثقيلة، ثم يصل هذا الأنبوب الى الأرض ويأخذ في الالتفاف والالتواء ببطء وتتوسع وتتباطأ قاعدة هذا الإعصار بسبب احتكاكه بسطح الأرض. ويبلغ عرض هذه الأعاصير في أميركا الشمالية ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة ولو أن عرضها يبلغ أحياناً ميلا أو أكثر. ولا تنتقل الأعاصير بعيداً، وأحيانا لا

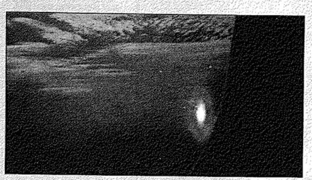
تتجاوز المسافة التى تقطعها ثلاثة أميال.

الصورة رقم (٩) :

الشـفق القطبي الشـمـالي، أو «الأنوار الشمـاليـة»، وكمـا هو مـصـوَّر فـوتوغـرافـيـاً في «ألاسكا»، ويرى هذا الشـفق في نصف الكرة الشمـالي ونصف الكرة الجنوبي أيضـاً، وهو ناتج عن تيارات في جسيمات مشحونة كهربائياً من الشمس وبعد مجابهة مجال مغناطيسى أرضي فوق القطب الشمالي والقطب الجنوبي.

الصورة رقم (١٠) :

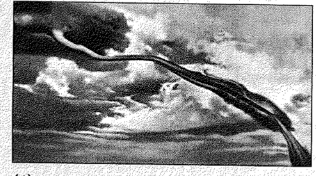
«هبوب» رهيب وهو الريح العنيفة التى تسبق العاصفة الترابية، وهو يشاهد هنا عند اقترابه من «الخرطوم» في السودان. وكثيراً ما تتجاوز هذه الريح في سرعتها المائة ميل في الساعة ملتقطة الرمـال في الصـحـراء وحـاملة إياها الى الأعلى وبشكل جدار عـمـودي تقـريبـاً، وعند حـصـول «الهبوب»، ينقلب النهار إلى ليل خلال ثوان قليلة ■



صورة رقم (٦)



صورة رقم (٧)



صورة رقم (٨)

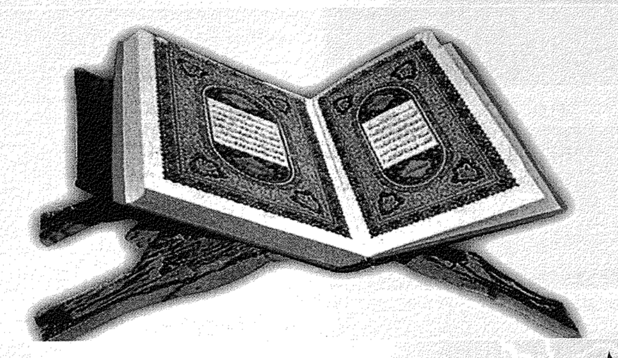


صورة رقم (٩)



صورة رقم (١٠)





الجهود العلمية في مكافحة الغلو في المملكة العربية السعودية

□ لقد بليت المملكة العربية السعودية منذ عدة عقود بآثار الغلو والتشدد في الدين من بعض أطياف المجتمع منذ عدة عقود ، فبدءا من فتنة الإخوان والتى تكاملت في معركة « السبلة » سنة ١٣٤٧هـ الى حادثة الحرم من فئة غالية في دينها عام ١٤٠٠هـ الى هذه الحوادث بالقتل والتفجير والتكفير والتدمير من بعض الفئات الضالة ، وهذا مالا ينبغي أن يكون في بلاد الحرمين وقبلة المسلمين ومأوى قلوبهم ومنار هدايتهم وهذا الغلو والتشدد والتطرف وإرهاب الآمنين المعصومين في دمائهم وأعراضهم وأموالهم، أمر يمقته الدين.

وقد تنوعت الجهود المبذولة على مختلف الأصعدة الرسمية والشعبية والعامة والخاصة في صد هذا الانحراف العقدي والفكري والسلوكي الخطير، ومن عدة جهات أمنية وعلمية واجتماعية واستراتيجية.. وفي هذا المقام سأحاول إبراز الجهود العلمية المبذولة في هذا الاتجاه تنويها ورصدا وتوجيها وعلاجا.

أولا: جهود هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء:

قد سبقت هذه الجهة العلمية وهي أكبر مستوى علمي ديني في البلاد - الى التنديد بمثل تلكم الأعمال التخريبية، ونبذها، والتحذير منها من خلال البيانات والقرارات الصادرة عن هيئة كبار العلماء في دوراتها الاعتيادية والطارئة، بدء من حادثة العليا عام ١٤١٦هـ الى الوقت الحاضر، كذلك ما صدر عن اللجنة الدائمة



للبحوث العلمية والافتاء، وعن سماحة مفتي عام المملكة وعن اعضاء هيئة كبار العلماء مجتمعين ومنفردين من الفتاوى والبيانات والأحكام العلمية الشرعية التى تدين تلكم الجرائم من تكفير وتفجير وتدمير وخطف للطائرات وهدر للطاقات وحجز الرهائن وتجرم فاعليها وتبرىء الاسلام من تلكم التصرفات، منيطة ذلك بقواعد الشريعة في حفظ الضروريات الخمس (الدين والعقل والنفس والعرض والمال)، وتعظيم الدماء والعهود، وتحريم الظلم والغدر، وكشف الشبه الزائفة في التكفير والتبديع والتفسيق.

ثانيا : جهود الجامعات والعلماء وأساتذة الجامعات :

وهم الصفوة بعد كبار العلماء ممن تناولوا هذه القضايا النازلة بالبحث والدراسة والغوص في الجذور والأسباب والنتائج وسبل العلاج من خلال:

١ ـ البحوث العلمية المعمقة والمركزة.

٢ ـ الاطاريح العليا في رسائل الماجستير والدكتوراه.

٣ ـ عقد المؤتمرات العالمية العلمية والندوات، وحلقات البحث والنقاش.

٤ ـ عقد البرامج الاعلامية الحوارية والارشادية في وسائل الاعلام المتنوعة تحذيرا وارشاداً.

٥ ـ صياغة المناهج الدراسية الدينية والتربوية والاجتماعية على أساس سماحة الاسلام واعتداله.

٦ ـ الادوار الارشادية وكشف الشبه من قبل طلاب العلم والعلماء والباحثين.

ثالثا : جهود وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، ورئاسة الهيئات وأجهزة التوجيه:

وهي الجهات المسؤولة عن التوجيه الديني والارشادي إن على مستوى وزارات أوضمنها، من خلال معالجة هذه الظاهرة من خلال وسائل كثيرة بقيام المسجد بدوره من خلال الامام وخطب الجمعة والمحاضرات والندوات العلمية والوعظية، ومن خلال توزيع الكتب والنشرات والتسجيلات ذات العلاقة، ومن خلال محاصرة هذا الفكر الدخيل وتحجيمه ومحاربته وعزله عن

على بن عبدالعزيز الشبل

استاذ بجامعة الامام
- الرياض -

التأثير، كذلك بايجاد البرامج العلمية والدعوية والتربوية الموجهة وشغل الشباب عن هذه الفتن من خلال مناح عدة، كمسابقات حفظ القرآن والسنة النبوية، والمخيمات والمراكز الموسمية والدورات العلمية والتوعية والمعارض وعرض الأخطار.

رابعا : جهود وزارة الثقافة والإعلام :

وذلك من خلال إذاعة القرآن الكريم بالخصوص، حيث تتولى التوجيه الديني تركيزاً ومعالجة لهذه الظواهر ـ خلال مشاركة أصحاب الفضيلة من العلماء والقضاة وأساتذة الجامعات وطلبة العلم، وذوي الخبرة.

ومن خلال أيضاً بقية الإذاعات والصحف والمجلات والبرامج التلفازية في القنوات الأولى والثانية والإخبارية، حيث برزت معالجة هذه الاحداث من عدة زوايا دينية وعلمية واجتماعية وثقافية وتربوية، ومن خلال برامج حوارية وندوات وأحاديث وتوجيه.

والمقصود أن الجهود العلمية المبذولة في المملكة العربية السعودية في مكافحة الغلو والتشدد والعنف والإرهاب المذموم طالت أصعدة شتى وجهات حكومية ومؤسسية وشعبية عديدة من خلال التوجيه والارشاد والتحذير من هذه العقيدة الضالة وهذا الفكر المنحرف عن الحق والعدل والقسط ووسطية الاسلام عقيدة وشريعة.

وأيضا من خلال البحث عن الأسباب والجذور والبواعث لهذه الأفكار وردود أفعالها، ولكن الملاحظ أن المنحى البارز في تركيز هاتيكم الجهود العلمية والدعوية المبذولة هو في الجانب الديني من خلال الوعظ ومن خلال الطرح العلمي الرصين المتميز والمعتدل وحيث ثقة الدولة والرعية والوافدين في الدين والعلماء قوية ومؤثرة وقد أمكن توظيف هذا الجانب مما عكس وحدة الصف من العلماء والمشايخ مع جهود الدولة في المملكة العربية السعودية في محاربة ومعالجة هذه الظواهر.. ولله الحمد والمنة ■

كتابة السنة النبوية وتدوينها وردّ الشبهات المثارة

□ الاستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الازهر السابق - من العلماء الاعلام في الدراسات الاسلامية وبخاصة علم الحديث، وله فيه دراسات وبحوث موسعة.. ومن سوانح الفرص أن يستفيد قراء المنهل ومحبوه من وافر علمه في هذا المجال.

والمنهل - منذ تأسيسها وحتى اليوم - بفضل الله تعالى وتوفيقه - احتضنت صفحاته اقلام كبار العلماء والأدباء والمفكرين على مستوى العالم العربي والاسلامي.

وهذه الدراسة بعنوان: «كتابة السنة النبوية وتدوينها ورد الشبهات المثارة» سوف تنشرها المنهل تباعاً في ثلاث حلقات ابتداء من هذا العدد (المحرم ١٤٢٦هـ).

ونأمل في التواصل الدائم لأستاذنا الدكتور/ أحمد عمر هاشم مع مجلته المنهل وقرائها.

- المنهل -

تعريف السنة لغة واصطلاحا:

السنة في اللغة:

تطلق السنة في اللغة بعدة اطلاقات، فتطلق ويراد بها الوجه لصقالته وملاسته، وقيل دائرته، وقيل الصورة، وقيل الجبهة والجبينان، وكله من الصقالة والأسالة، ووجه مسنون: مخروط أسيل كأنه قد سن عنه اللحم، وسنة الوجه دوائره، وسنة الوجه صورته،

قال ذو الرمة:

تريك سنة وجه غير مقرفة
ملساء ليس بها خال ولا ندب

ومثله للأعشى:

كريما شمائله من بني
معاوية الاكرمين السنن

والسنة: الصورة وما أقبل عليك من الوجه، وقيل: سنة الخد صفحته[١]أهـ.

وقال الأزهرى: السنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، والسنة الطبيعة وبه يفسر بعضهم قول الاعشى السابق.

كريما شمائله من بني
معاوية الاكرمين السنن[٢]

وقد سبق بيان أن بعضهم فسر السنن في هذا البيت بالوجوه، أما رأى البعض الآخر فمعناها الطبيعة.

وقال الراغب: سنة النبي {صلى الله عليه وسلم} طريقته التى كان يتحراها، وسنة الله عز وجل قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته[٣] والسنة السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها
فأول راض سنة من يسيرها

وفي الكتاب العزيز: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سُنّة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا﴾ (سورة الكهف الآية/٥٥)، قال الزجاج: سنة الأولين أنهم عاينوا العذاب، وسننتها سنا واستننتها: سرتها، وسننت لكم سنة فاتبعوها، وفي الحديث: «من سن سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة»[٤]، يريد من عملها ليقتدى به فيها، وكل من بدأ أمرا عمل به قوم بعده قيل هو الذى سنه.

وقد تكرر ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيها الطريقة والسيرة وإذا اطلقت في الشرع فانما يراد بها ما أمر به النبي {صلى الله عليه وسلم} ونهى عنه وندب اليه قولا وفعلا، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة أى القرآن والحديث[٥] أهـ.

وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة بمعنى العادة المستمرة والطريقة المتبعة فقال تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ (سورة آل عمران آية/ ١٣٧)، وقال عز وجل: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ (سورة الاسراء آية/ ٧٧)، وقال تعالى: ﴿سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (سورة الفتح آية/ ٢٣).

تعريف السنة في الشرع:

ظهرت للسنة تعريفات مختلفة في لسان أهل الشرع، وكان هذا حسب اختلاف الاغراض التى اتجه اليها العلماء من ابحاثهم، فبعد أن تشعبت العلوم التى تبحث في السنة برزت هذه التعريفات محددة الغرض في كل اتجاه، «فعلماء أصول الفقه عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية، وعلماء الحديث عنوا بنقل ما أضيف الى النبي {صلى الله عليه وسلم}، وعلماء الفقه عنوا بالبحث عن الاحكام



أ.د. احمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة

الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه، والمتصدرون للوعظ والارشاد عنوا بكل ما أمر به الشرع أو نهى عنه»[٦].

أما علماء الاصول: فعرفوا السنة بأنها هى كل ما روى عن النبي {صلى الله عليه وسلم} مما ليس قرآنا من أقوال أو افعال أو تقريرات مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي.

وبعض الأصوليين أطلق لفظ السنة على ما عمل به أصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه سواء كان ذلك في القرآن أو مأثورا عن الرسول عليه الصلاة والسلام أو اجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف وتدوين الدواوين.

وأما علماء الفقه: فعرفوا السنة بأنها: هي ما ثبت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} من غير افتراض ولا وجوب فهى عندهم صفة شرعية للفعل المطلوب طلبا غير جازم، ولا يعاقب على تركه «وتطلق على ما يقابل البدعة كقولهم: فلان من أهل السنة»[٧] أ.هـ.

السنة في لسان علماء الوعظ والارشاد: هي المقابلة للبدعة، فيقال عندهم: فلان على سنة اذا عمل على وفق ما عمل عليه النبى {صلى الله عليه وسلم} سواء كان ذلك مما نص عليه في الكتاب العزيز أولا، ويقال: فلان على بدعة اذا عمل على خلاف ذلك.

السنة في اصطلاح المحدثين: هى أقوال النبى {صلى الله عليه وسلم} وافعاله وصفاته وسيره ومغازيه وبعض اخباره، وقصر بعض العلماء التعريف على (أقوال النبي {صلى الله عليه وسلم}

وافعاله وأحواله)[٨]، وهو يشتمل على ما سبق، لأن الأحوال تتضمن اخلاقه الكريمة ، وصفاته العظيمة وتتضمن افعاله الحسنة، وقال بعض العلماء هى «ما أضيف الى النبى {صلى الله عليه وسلم} قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة»[٩]. والتعريفان متقاربان. ويتفق كل منهما في أن السنة النبوية في اصطلاح علماء الحديث النبوى هى أقوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية، فيدخل في هذا معظم ما يذكر في سيرته كوقت ميلاده ومكانه وتحنثه في غار حراء، وغير ذلك مما يذكر قبل البعثة أو بعدها.

منزلة السنة في الدين :

السنة هى الأصل الثانى من أصول الاسلام ، أجمع فقهاء المسلمين قديما وحديثا من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى يومنا هذا الا من شذ من بعض الطوائف على الاحتجاج بها واعتبارها المصدر الثانى للدين بعد القرآن الكريم فيجب اتباعها وتحرم مخالفتها، وقد تضافرت الادلة القطعية على ذلك فأوجب الله سبحانه على الناس طاعة رسوله {صلى الله عليه وسلم} وبين انه عليه الصلاة والسلام هو المبين لما أنزل من القرآن، وذلك بعد أن عصمه من الخطأ والهوى في كل أمر من الأمور ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو الا وحى يوحى * علمه شديد القوى** ﴾ (سورة النجم الآيات/ ٣ - ٥)، كما عصمه من الناس حين أمره بتبليغ ما أنزل اليه. قال تعالى: ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ (سورة المائدة آية/ ٦٧).

فهو إذا قد مهد لرسوله طريق الدعوة وذلل له مهمة تبليغها فبين سبحانه وتعالى للناس ما يأتى:

أولا : وجوب طاعة الرسول {صلى الله عليه وسلم} ..

ثانيا: أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} هو الذى يبين للناس كتاب ربهم سبحانه وتعالى..

وهذان الأمران متلازمان في اثبات حجية السنة لأن الله تعالى أوجب طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام لأنه مبين للناس ما أنزل اليهم، قال الشاطبي: (فاذا عمل المكلف وفق البيان أطاع الله فيما أراد وأطاع رسوله في مقتضى بيانه، ولو عمل على مخالفة البيان عصى الله تعالى في عمله على مخالفة البيان إذ صار عمله على خلاف ما أراد بكلامه وعصى رسوله في مقتضى بيانه)[١٠].

وسأتناول الحديث عن هذين الأمرين وهما وجوب طاعة الرسول {صلى الله عليه وسلم} وبيان أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذى بَيّن للناس ما نزل اليهم:

وجوب طاعة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

فرض الله سبحانه وتعالى طاعة رسوله {صلى الله عليه وسلم}، وورد الأمر بها في القرآن الكريم على وجوه كثيرة تختلف باختلاف أحوال المخاطبين ومشاربهم ونياتهم، فمنهم اليهودى الذى يحتاج الى كثرة الأدلة والمنافق الذى يحتاج الى اسلوب التهديد والمؤمن الذى يقبل الأمر ويعرف هداية الله من أقرب طريق. وقد سلكت آيات القرآن الكريم في بيان ذلك مسلكا مناسبا ونهجت منهجا حكيما:

١ - فقد دلت مرة على وجوب طاعة الرسول، بالأمر بالإيمان بالرسل «وهذا يستلزم وجوب طاعة الرسول {صلى الله عليه وسلم}، من ذلك قوله تعالى:

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله﴾ (سورة النساء آية/١٧١)، {وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم} (سورة آل عمران آية/ ١٧٩). فالأمر بالايمان بالرسل مع الايمان بالله لا يكون الا اذا كان مع الايمان تصديق لما يبلغه الرسل عن الله واذعان وطاعة لهديهم على هذا فرسولنا صلوات الله وسلامه عليه يجب الايمان به للأمر بالايمان بالرسل وطاعته واجبة كطاعتهم التى استلزمها الأمر بالايمان بهم.

٢ ـ ودلت الآيات أيضا على وجوب طاعة الرسول {صلى الله عليه وسلم}، باقتران الأمر بالايمان به مع الأمر بالايمان بالله سبحانه قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزَّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ (سورة النساء آية/١٣٦). وقال الله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ (سورة التغابن آية/٨). وقد اظهر الله تعالى في هذه الآيات وغيرها مكانة نبيه {صلى الله عليه وسلم}، فنص على الايمان به ولم يكتف بالأمر العام السابق رغم دخوله فيه، وذلك لأن رسالته خاتمة وبعثته عامة فاقتضت الحكمة أن يخص بمزيد عنايته ويفهم من ذلك الأمر بطاعته قال الامام الشافعى رضى الله عنه: (وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذى أبان جل شأنه أن يجعله علما لدينه لما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن من الايمان برسوله مع الايمان به فقال تبارك وتعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد﴾ (سورة النساء آية/١٧١)، وقال: ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ (سورة النور آية/٦٢)، فجعل كمال ابتداء الايمان الذى ما سواه تبع له الايمان بالله ثم برسوله[١١]. (أ.هـ).

٣ ـ كذلك دلت الآيات على وجوب طاعة الرسول {صلى الله عليه وسلم}، بايجاب الله تعالى طاعة الرسل قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله﴾ (سورة النساء آية/ ٦٤)، فطاعة الرسل إذاً هى الهدف من إرسالهم، ورسولنا {صلى الله عليه وسلم}، كواحد من الرسل داخل في مضمون الحكم العام فينطبق عليه الحكم بوجوب طاعته لا سيما والرسل قبله كانت شرائعهم خاصة بطائفة معينة أما رسولنا عليه الصلاة والسلام فشريعته عامة وخاتمة، لذا كانت طاعته آكد وألزم.

٤ ـ اقترن الأمر بطاعة الرسول بالأمر بطاعة الله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين﴾ (سورة آل عمران آية/ ٣٢)، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (سورة النساء آية/ ٥٩)، والناظر الى الآيات الواردة في وجوب طاعة الرسول {صلى الله عليه وسلم}، يرى أن منها ما جاء بالأمر بطاعة الله مقرونا بالأمر بطاعة الرسول بالعطف بالواو كالآية الأولى حيث يفيد ذلك مطلق الاشتراك والجمع بينهما، أو بطريق العطف بها مع اعادة العامل حيث يفيد ذلك تأكيد عموم الطاعة في كل ما يصدر عن الرسول {صلى الله عليه وسلم}، ومنها ما جاء بتكرار العامل في شيئين مع العطف على الأخير بدون تكرار العامل كقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾، بدون تكرار العامل في عطف أولى الأمر. وهذا يدل على

أن أولى الأمر ليس لهم طاعة مستقلة، وليس لهم تشريع خاص يصدر عنهم يخالف الاسلام (وإنما يطاعون فيما شأنه أن يتلوه ويباشروه في اطار من الدين الذى شرعه الله قرآنا كان أو سنة)[١٢]، فطاعة الرسول إذاً واجبة في كل ما أتى به سواء كان في الكتاب الكريم أو ليس فيه.

٥ - أمر الله بطاعة الرسول على الانفراد قال الله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (سورة النساء آية/ ٦٥)، وقال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ (سورة النور آية/ ٥٦)، وقال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (سورة الحشر آية/ ٧).

ففي هذه الآيات نص صريح على وجوب طاعة الرسول والتسليم لحكمه واتباعه، وهذه الطاعة في حال حياته وبعد وفاته، ففى حال حياته كان الصحابة يتلقون أحكام الشرع من القرآن الذى أخذوه عن رسولهم {صلى الله عليه وسلم}، حيث كان يبين لهم ما أنزل اليهم وحيث كان يبين لهم كثيرا من الأحكام حين تقع لهم الحوادث التى لم ينص عليها في القرآن فهو اذا كان يطبق لهم الأحكام من حلال أو حرام مما كان مصدره القرآن أو الوحى الذى يوحيه الله له ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم﴾ (سورة الأعراف آية/ ١٥)، وقد حث الله سبحانه وتعالى على الاستجابة لما يدعو له الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ (سورة الأنفال آية/ ٢٤)، ولم يبح الله لمؤمن ولا مؤمنة مخالفة حكم الرسول أو أمره. قال الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ (سورة الأحزاب آية/ ٣٦)، وقد كان المسلمون ملتزمين حدود أمره ونهيه ومتبعين له في عبادتهم ومعاملاتهم وقد بلغ من طاعتهم للرسول واقتدائهم به أنهم كانوا يفعلون ما يفعل ويتركون ما يترك ولم يجز واحد منهم لنفسه مراجعة الرسول الا اذا كان هناك أمر غريب عن عقولهم فيناقشونه ليعرفوا الحكمة فيه فقط كما لم يجز واحد منهم مراجعته في أمر، (إلا اذا كان فعله أو قوله اجتهادا منه في أمر دنيوى كما في غزوة بدر حين راجعه الحباب بن المنذر في مكان النزول)[١٣]، ومثل هذا انما حدث تطبيقا لمبدأ الشورى في الاسلام.

واذا كان الحال هكذا في حياة الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فانه أيضا تجب طاعته واتباع سنته بعد وفاته، لأنه صلوات الله وسلامه عليه انتقل الى الرفيق الأعلى بعد ان اطمأن تماما على أنه أرسى معالم الدين وأدى الامانة الإلهية على منهاج الحق ووصى المسلمين أن يطيعوه ويتبعوه بعد وفاته تمسكا بالكتاب والسنة وسيرا على هديهما كما قال {صلى الله عليه وسلم}، (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى)[١٤]، وكما وجب على الصحابة بنص القرآن اتباع الرسول وطاعته في حياته وبعد مماته كما في الحديث السابق وجب على من بعدهم من المسلمين اتباع سنته بعد وفاته، لأن النصوص التى أوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن حياته ولا بصحابته دون غيرهم، ولأن العلة جامعة بينهم وبين من بعدهم وهى أنهم أتباع لرسول أمر الله باتباعه وطاعته[١٥]، لهذا كله تلقى

الصحابة السنة النبوية وبلغوها إلى من بعدهم.

الرسول {صلى الله عليه وسلم}، بيَّن للناس كتاب ربهم سبحانه وتعالى:

رواية السنة وكتابتها:

العهد النبوي :

اصطفى الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ليبلِّغ الرسالة الإلهية الى الناس جميعا، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأعد الله تعالى رسوله {صلى الله عليه وسلم}، اعدادا كاملا فربّاه بعنايته، وكلأه برعايته وعصمه من الناس وعلمه ما لم يكن يعلم، قال تعالى: ﴿**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك، وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**﴾ (سورة النساء آية/ ١١٣).

وقام الرسول {صلى الله عليه وسلم}، بأداء الرسالة خير قيام، وأدى الأمانة الإلهية على أكمل وجه وتحمل في سبيلها ما تحمل وصبر واستعذب الأذى حتى أرسى دعائم الدعوة وأقام دين الله تعالى.

العوامل التى دفعت الصحابة الى العناية بالسنة:

تضافرت عوامل ثلاثة حفزت همم المسلمين الى الاقبال الشديد على السنة الشريفة ومدارستها:

أولا : القدوة الحسنة التى تمثلت في الرسول {صلى الله عليه وسلم}، قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ (سورة الأحزاب آية/ ٢١).

ثانيا: ما تضمنته آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من الحث على العلم والعمل، بل كانت أولى آيات الوحى الإلهى من القرآن دعوة صريحة الى العلم، توجه أنظار البشرية اليه، وتحض عليه، قال تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم**﴾ (سورة العلق الآيات/ ١ ـ ٥)، وقال تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**﴾ (سورة التوبة آية/ ١٢٢)، كما حض الرسول {صلى الله عليه وسلم}، على طلب العلم وتبليغه، عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم}، يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»[١٦]، وقال {صلى الله عليه وسلم} «نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرُبَّ حامل فِقه غير فقيه ورُبَّ حامل فِقه الى من هو أفقه منه»[١٧].

ثالثا: الاستعداد الفطرى ، والذوق العربى الأصيل والذاكرة الواعية الأمينة التى كانوا عليها، وقد حركت هذه العوامل قلوب المسلمين للالتفاف حول رسولهم صلوات الله وسلامه عليه، لينهلوا من معين سنته المطهرة التى وجدوا فيها مادة خصبة لدنياهم وأخراهم، تكفل لهم سعادة الدارين، لأن أحكامها الكريمة وآدابها الفاضلة تتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق وتتعلق بجميع آدابهم وأحوالهم.

ونهج النبي {صلى الله عليه وسلم}، معهم منهج القرآن، يتدرج في انتزاع الشر والباطل، ويعمل على غرس الخير والحق، ويفتيهم في مسائلهم في كل مكان حسبما اتفق في الحل والترحال، وكان

«المسجد» هو المكان المتعارف الذى تعاهدوا على حضور المجالس العلمية فيه، تلك المجالس التى يعقدها لهم رسولهم {صلى الله عليه وسلم}، تشرق بنور الله، وتنبثق منها الروحانية الصافية، فيتعلمون ويتفقهون ويعبدون فيها ربهم ويسبحون بالغدو والآصال. وكان الرسول {صلى الله عليه وسلم}، يتبع معهم أسمى الطرق في التعليم: ويتوخى مخاطبتهم بلغاتهم ولهجاتهم وعلى قدر عقولهم متواضعا حليما، ولم يحرم النساء من حقوقهن في العلم وإنما خصص لهن وقتا يتلقين فيه العلم.

وقد بلغ من حرصه {صلى الله عليه وسلم}، على تعليم المسلمين أنه كان يكرر القول ثلاثا حتى يفهم عنه، وربما طرح المسألة على أصحابه[١٨]، ليختبر افهامهم، ويجذب انتباههم، ويتحرى أن يكون التدريس والموعظة في الوقت الملائم والظروف المناسبة التى يتسنى لهم الحضور فيها، وتكون عقولهم يقظة وواعية يعد صلاة الفجر وبعد العشاء ونحو ذلك.

تلقى الصحابة للحديث النبوي :

حرص الرسول {صلى الله عليه وسلم} على تبليغ المسلمين سننه الشريفة وحبب الى أصحابه رضوان الله عليهم حفظ الحديث وتبليغه، فوضع منهج التلقي والتحديث، وأرسى بينهم قاعدة التثبت العلمى التى ساروا عليها، واتخذوها منهجا في الرواية بعد ذلك وسار الصحابة في حرصهم على حضور مجالس الرسول {صلى الله عليه وسلم}، الى جانب ما يقومون به من أمور المعاش.

واذا تعذر على بعضهم الحضور يتناوب مع غيره كما كان يفعل عمر رضى الله عنه، قال: «كنت أنا وجار لى من الأنصار في بنى أمية بن زيد وهى من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك»[١٩].

ولم يكن يتسنى للجميع سماع الحديث من الرسول {صلى الله عليه وسلم}، لما كانوا يقومون به من أعمال فكانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من أقرانهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه، كما كانت القبائل البعيدة تبعث الى النبي {صلى الله عليه وسلم}، من يتعلم أحكام الدين منه ثم يعود اليهم ليرشدهم ويعلمهم، وهكذا عاش الصحابة مع رسولهم {صلى الله عليه وسلم}، يشاهدون تصرفاته في عباداته ومعاملاته وإذا عنَّ لهم أمر من الأمور يحتاجون للبيان فيه رجعوا إليه يسألونه فيجيبهم، ويفتيهم.

كما كان {صلى الله عليه وسلم}، يعلم النساء أمور الدين ويخصص وقتا يجلس لهن فيه وكانت أمهات المؤمنين على درجة سامية من العلم، لذا وجد النساء عندهن الاجابة على أمورهن وأحوالهن التى يمنعهن الحياء من التصريح بها أمام الرسول عليه الصلاة والسلام كالأمور الخاصة بهن.

وإلى جانب هذه العوامل السابقة كانت هناك طرق كثيرة ساعدت على انتشار السنة، وقوَّى نشاطها منها اجتهاد الرسول {صلى الله عليه وسلم}، في التبليغ وأثر أمهات المؤمنين الذى لا ينكر، ومن ذلك بعوثه صلوات الله وسلامه عليه الى القبائل لتعليمهم وإرشادهم، وكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام، كما كان لغزوة الفتح أثر كبير في نشر كثير من السنن حيث قام النبي {صلى الله عليه وسلم}، خطيبا بين ألوف المسلمين وغيرهم معلنا العفو عن أعدائه ومبينا كثيرا من الأحكام التى

تناقلها الناس وحملوا توجيهه وإرشاده الى أهلهم.

وبعد أن استتب الأمر يمم النبي [صلى الله عليه وسلم]، وجهه شطر المسجد الحرام حاجا ومعه ألوف من المسلمين ألقى فيهم خطبته الجامعة[٢٠] التى تعتبر منهاجا عاما للدعوة الاسلامية تضمنت كثيرا من الاحكام والسنن وفيها بيَّن الرسول [صلى الله عليــــه وسلم]، مناسك الحج ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الاسلام، فكانت من أعظم عوامل انتشار السنة في كثير من القبائل والعشائر.

ومعلوم أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا في مستوى واحد من العلم بل كانت تتفاوت درجاتهم العلمية ما بين مكثر ومقل ومتوسط تبعا لظروف كل واحد منهم، إذ كان من بينهم البدوى والحضرى، والمنقطع للعبادة، والمشتغل بأمر المعاش فكان أكثرهم علما أسبقهم اسلاما كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود، أو أكثرهم ملازمة لنبيه [صلى الله عليه وسلم]، كأبى هريرة، أو أكثرهم كتابة كعبد الله بن عمرو بن العاص.

ولكن السمات العامة للمسلمين آنئذ تبرز لنا الدوافع القوية التى حفزتهم على تلقى السنة النبوية حتى أودعوها حوافظهم القوية وصدورهم الأمينة مما جعل السنة الشريفة محفوظة جنبا الى جنب مع القرآن الكريم، وأهم تلك الدوافع هى اقتداؤهم بنبيهم واستعدادهم الفطرى واستجابتهم للقرآن والسنة ■

ـ للدراسة صلة ـ

الهوامش :

(١) لسان العرب جـ ١٣ ص ٢٢٤ ط بيروت.

(٢) تاج العروس جـ ٩ص ٣٤٤ ط بيروت.

(٣) المرجع السابق.

(٤) وروى الامام مسلم عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، : «من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنَّ في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» صحيح مسلم جـ ٢ ص ٧٠٥، وأخرجه الترمذي بلفظ «من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئا ومن سنَّ سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئا» الترمذى جـ ٤ ص ١٤٩ وقال حديث حسن وأخرجه الامام أحمد بنحوه في مسنده جـ ١ ص ١٩٣ الساعاتى وأخرجه الدارمي جـ ١ ص ١٠٧.

(٥) لسان العرب جـ ١٣ ص ٢٢٥ ط بيروت.

(٦) الحديث والمحدثون ص ٠١

(٧) ارشاد الفحول ص ٣١.

(٨) تدريب الراوى ص ٥.

(٩) قواعد التحديث ص ٦١.

(١٠) الموافقات (٤ : ١٩).

(١١) الرسالة للامام الشافعى ص ٧٣.

(١٢) السنة النبوية ومكانتها في التشريع ص ٥٨.

(١٣) السنة ومكانتها في التشريع ص ٦٦.

(١٤) أخرجه الحاكم في المستدرك وفي جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٨٠ والموطأ شرح الزرقانى، والترغيب والترهيب.

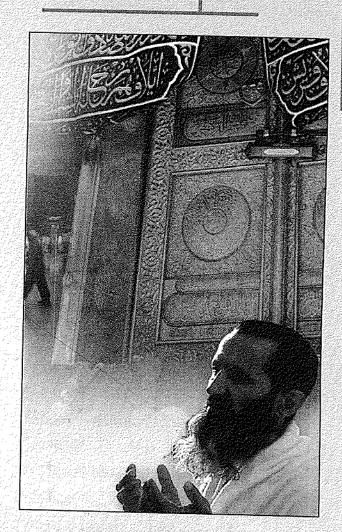
(١٥) السنة ومكانتها في التشريع ص ٦٧.

(١٦ـ ١٧) فتح البارى جـ ١ ص ١٥٠، ١٥١ والمسند عن أبى هريرة جـ ١٢ ص ١٨٠ ورواه ابن ماجه جـ ١ ص ٤٩ ومجمع الزوائد (١ : ١٢١).

(١٨) فتح البارى جـ ١ ص ١٣٦.

(١٩) فتح البارى جـ ١ ص ١٦٧.

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ٣٣٣ ط الشعب.



مناجاة

أنا ،

يا باري الأكوان ،

آيةُ كونْك الأسمَى ،

فكُنْ منّي رضا كونْي !

إلهي ،

ثارَ في أمني قطا خوفيْ ،

إليك ، ومنك ، تحدو بي عناويني !

إلهي ،

إنْ زهوتُ ، فأنت أشواقي ،

قوافي الغيم تُزْهرُ

في بساتيني !

لك ، اللهمَّ ، حكْمُ ،

فيه حلْمُ ،

فيه علْمُ بالموارى في شراييني

فسُقْني ، سرْب أطيار

لأعشاش الأمان الخُضْر!

صُغْ صوتي وتلحيني !

ولا تحرمْ يمامة صدري الأُوْلى ،

فتكسر ريش هذا الحُبِّ بالطِّيْن !

تغني بين أغصانِ المثاني ،

سال منها النورُ في جرحي

لتبْريني !

لقد أسلمتُ أنفاسي ،

فَصُبَّ اللازورد عليَّ في أقصى موازيني !

بناصيتي وأقدامي ،

بإقدامي وإحجامي ،

برئتُ إليك من ذاتي !



د. عبد الله بن احمد الفيفي
كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

برئتُ إليك ،
يا باري الورى ،
منّي !
إليك (أنا) !
فخذني من إراداتي !
وحرّرني من الماضي ،
من الآني ،
من الآتي ،
ومن عادات عاداتي !
يقول الصوت :
«قد سمعتْ
وقـــد وســـعتْ أنيْن الكوْن كُلّ الكونِ
كلْماتي» !
لقد ضاقتْ بي الأسْماعُ ،
والأوجاعُ ،
إنْ ضاقتْ عن الرحمن أناتي !
دمي نهرٌ سرى ،
أنتَ الذي لوَّنتهُ ،
أنت الذي أحصى كُريَّاتي !
فأجْر دمي ،
وأقْر فمي ،
ولكنْ ..

في ثرى ما شئت أن يأتي من الآتي !
يديْ ،
رجليْ ،
دعوتُك، ربِّ ، لا تُطْلقْهُما منِّي !
ولا تُرْسلْ شُويهاتي !
بغير حماك، يا ربِّ !
وكبّلني بحبل رضاك ،
يا أشهى اعتقالاتي !
وخُذْ عيْني ،
إذا ما أبْصرتْ
ما ليس يُرضي عَيْنَكَ ، اللهمَّ، عن عيْني !
وأذنيْ ،
دفتريْ السِّرِّيَّ ،
مزِّقْهُ !
ولا تفضحْ بأذنيْ كُلَّ مكْنُوْني !
إلهي ،
(صاح أيوبُ) :
«إذا ما صرْتَ في كُلِّي ،
فكُلِّي ليس يعنيني !»

مغالطات وأباطيل



□ لقد استوقفنا عدد هام صدر لمجلة «علم وحياة»[١] الفرنسية تطرّق لملف الكتابة بين العصور والأقوام والديانات. وخصص كما هو متوقع فصل للكتابة العربية حرره أحد الباحثين الفرنسيين[٢]. وكعادة أغلب المستشرقين عمد صاحب الفصل الى بث بعض الآراء التى تخالف ما استقر في تاريخ المسلمين من ثوابت، كما ألقى الباحث المذكور أقوال حق يراد بها باطل فيما نزعم.

وقد رأينا أن نحيط القارىء علما ببعض الأفكار التى أوردها صاحب الفصل لنبين ما ادعيناه بشأنه من مخالفة ثوابت المسلمين ومن ارادة الخلط أو التشويه. على أننا لا نزعم أننا ننتصب متصدين له بالرد والإفحام فللإسلام رب يحميه وعلماء يعلمون رد كيد المتزيدين.

وحسبنا في هذا المقام التنويه بأن من المستشرقين من لم يزل ينقب في تاريخ العرب المسلمين وينقر عساه يظفر بما يضلل به الرأي العام الغربي[٣] - فأنتم تعلمون ولا ريب - أن جمهور قراء المجلة المذكورة هم المتقنون للسان الفرنسي والغالبية الساحقة من هؤلاء تنتمي الى الديانة النصرانية أو هم لائكيون أولا دينيون، فالباحث المذكور يحاول تعريفهم تعريفا أكاديميا مرجعيا موثقا بالجداول والصور والكشوفات الأثرية بالكتابة العربية، ولكن من خلال ذلك التعريف يصطدم القارىء ببعض المعطيات والأفكار التى تسربت نرى أنها تشوه صورة الإسلام.

فقد اعتبر الباحث المذكور أن اتخاذ الحروف العربية في كتابة لغات غير سامية نحو الأوردية التى يتكلم بها الباكستانيون والفارسية التى يتكلم بها الإيرانيون والتركية العثمانية التى كانت كتابة الخلافة العثمانية، يرى أن اتخاذ الحروف العربية في كتابة تلك اللغات ليس أمراً عمليا وإنما فرضته

العقيدة والانتماء الإيديولوجي وحجته في ذلك أن العربية عنده قليلة الحركات (٣ قصيرة و٣ طويلة) فهي لا تستوعب عمليا بعض اللغات الهندية الأوروبية كالفارسية وغيرها مما تعد أثرى من العربية في حركاتها. فقد أخرج الباحث فكرته هذه مخرج الموضوعية حتى ليعجب القارىء كيف نتهمه بالتشويه في هذا السياق. ولكن ألا ترى أنه عندما ذكر بعض لغات المسلمين التى تكتب بالحروف اللاتينية (اللغة الصومالية واللغة التركية) لم يعلق على ذلك، ولم يقل هي من باب اتباع المغلوب للغالب بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى وإسقاط نظام الخلافة وبعد احتلال الحبشة من قبل الأوربين، وإنما اعتبر ذلك مقتضى من مقتضيات التحديث.

لاحظ الكيل بمكيالين واعتماد المعايير المزدوجة: فإذا استعمل غير العرب كتابة العرب عُد ذلك ضرباً من التحيز الإيديولوجي ورضوخا لسلطان العقيدة، أما إذا غيّر المسلمون حروف العربية الى حروف لاتينية سُمي ذلك حداثة وركوباً لقاطرة التقدم أو على الأقل اعتبر ذلك أمراً طبيعيا لا دخل للإيديولوجيا ولا للاستعمار فيه.

أما الأمر الثاني الذى ادعى فيه صاحب الفصل المذكور على الإسلام

صابر محمود الحباشة

- تونس -

ادعاء لا مراء فيه، فقوله عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] انه يعرف القراءة والكتابة محتجا بكونه قبل البعثة كان تاجرا، ويرى ان أمية الرسول أمر ادعته كتب السيرة المتأخرة ولم يرد نص قديم يثبت أمية الرسول. والذى يستوقف الانتباه في هذا الرأي طابعه التبسيطي إذ يقوم في شقه الأول على قياس مضمر مقدمته الكبرى: كل تاجر يعرف القراءة والكتابة، ومقدمته الصغرى: الرسول تاجر، والنتيجة: الرسول يعرف القراءة والكتابة.

وهذا القياس مغالط من وجوه. أقربها الى الذهن أنه جعل الأميين لا يستطيعون التجارة وذلك ظنا منه أن الأمي لا يحسن الحساب، فهذا تبسيط مخل. فليس كل تاجر يحتاج الى القراءة والكتابة، والى عهد قريب كانت نسب الأمية عالية ولم نر الناس توقفوا عن التجارة بدعوى أنهم لا يحسنون القراءة والكتابة.

أما قوله إن أمية الرسول [صلى الله عليه وسلم] أمر ابتدعه أصحاب كتب السيرة المتأخرون (ha-giogrophies) فلا نسلم بقوله إذ

الأردية والفارسية والتركية، كلها كانت تكتب بالحرف العربي

القرآن يصرح بحقيقة أمية الرسول، قال تعالى: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** (الجمعة/ ٢).

فضلا عن السنة النبوية، ففي صلح الحديبية عندما رفض المشركون أن يكتب في المعاهدة أن محمدا رسول الله، استجاب لهم الرسول وقال لعلي بن أبي طالب وكان يكتب المعاهدة، أمحها فأبى، فقال له الرسول أرنيها ففعل فمحاها الرسول بيده.

لو كان الرسول غير أمي لما طلب من علي أن يريه العبارة التى أراد شطبها. ولو كان الرسول غير أمي لكان القرشيون المشركون أعلم الناس بذلك ولأخذوه على سؤاله عن العبارة وهو يعرف القراءة.

ثم لو كان يعلم القراءة والكتابة لماذا اتخذ كتبة للوحي؟ وحتى عندما اتهمه المشركون فقد قالوا **﴿اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾** (الفرقان/ ٥) ولم يقولوا (كتبها) مما يدل على استعانته بغيره، أي استكتبها.

كما أننا نعلم أن جبريل عليه السلام يعرض القرآن على الرسول في كل رمضان مرة، فكل هذه النصوص من القرآن والسنة الصحيحة عند جمهور المسلمين وغيرها لا تترك شبهة عدم أمية الرسول إلا شبهة مردودة لا حجة للقائل بها إلا الكيد والتلبيس.

وأما الأمر الثالث الذي زعمه الفرنسي محرر مقال الكتابة العربية في مجلة «علوم وحياة» الفرنسية، فهو أمر متداول عند كل الطاعنين للإسلام، وهو ادعاؤه ـ ضمنيا ـ أن القرآن من اختراع الرسول، ذلك أنه استشهد بآية قائلا إن القرآن الذي أراده الرسول ذا لسان عربي مبين، فكأن الرسول يتدخل في الوحي. وهذا من أكثر الآراء الفاسدة التى تأتي على ألسنة طائفة من المستشرقين لووا رؤوسهم وأصروا واستكبروا استكبارا علوا في الأرض بغير الحق. فأبوا أن يعاملوا الإسلام معاملة الدين السماوي، الدين التوحيدي الإبراهيمي الخاتم، بل جعلوا ينقرون عن نقاط يرون فيها نزعا لقداسة هذا الدين.

والرأي عندنا أن أغلب المستشرقين الذين ينحون هذا المنحى، إنما يقيسون الإسلام على المسيحية ويقيسون القرآن على الأناجيل المحرفة، فهذه كتبت بعد أن رفع المسيح عليه السلام، لذلك تجد بينها تفاوتا. أما القرآن، فقد أشرف الرسول على كتابته إثر نزوله منجما وحرص الخلفاء الراشدون على جمعه في مصاحف متشددين في أخذ آياته عن صدور حفظته تشدداً. ولكن ساء المستشرقين تأثير النص القرآني في المسلمين، فأرادوا له كيدا ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

إن هذه العجالة التى أتيناها لا تغني عن رد

العلماء المختصين على هذا الباحث الفرنسي ولا سيما بلغته ليكون ذلك أنقع للسمّ وأقنع للحسم.

والله من وراء القصد ■

الهوامش :

(١) مجلة «علم وحياة»، العدد ٢١٩، يونيو ٢٠٠٢م.

(٢) Christion Julien Robin: Morde Arabe, L,Islam une eciture reformee a Laube de L science , re p.p. 104 - 115.

(*) كريستيان جوليان روبين: مدير بحوث في مركز البحث العلمي الفرنسي القومي ومدير مخبر الدراسات السامية القديمة، في الكوليج دي فرانس، باريس.

(٣) أنظر على سبيل المثال قوله متهجما على القرآن الكريم: «مسألة أخرى تطرح تتعلق بتجانس النص القرآني ولعل تجميعه (انتحاله) (Compilation) تم خلال فترة طويلة نسبيا يمكن أن تتجاوز القرن» هذا الطعن في مستوى المصحف القرآني يعضده المستشرق نفسه بطعن آخر في مستوى المضمون، يقول «إن تحليل القضايا الواردة في القرآن يوضح وجود افكار أجنبية عن الجزيرة العربية، هي خاصة بالديانتين اليهودية والمسيحية» فهو يتغافل ـ لأننا نعرف أنه يعلم ذلك ـ عن وجود عرب نصارى وعرب يهود قبل البعثة وعند البعثة المحمدية ولكنه يواصل غيّه مدّعيا أن «الطريقة التى تعرض بها المصادر الشرق أوسطية للقرن السابع الميلادي (الأول الهجري) للفتح الإسلامي، لا تقوم سوى بافتراض أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] يقع في مسار اعتقاد اليهود في انتظار المهدي (Mes-sianisme).

وتوجد أطروحة اخرى حديثة، ترى أن النص القرآني وقعت صياغته صياغة متأخرة بتعديل النقاط التى تميز الحروف المتشابهة وتتوقع هذه الأطروحة وجود وثائق محررة باللغة الآرامية النصرانية (أو السريانية)، تقف وراء الخط العربي الحالي» ولا يتورع كريستيان جوليان روبين عن هذا الزيغ الذي يعرض نظريات لا دليل عليها ولا غاية من ورائها إلا بث البلبلة في عقول الذين يريدون معرفة الإسلام واللغة العربية، بل ها هو يثني على اليهود، قائلا «وخارجا عن بعض الباحثين الإسرائيليين تحديدا الذين يواصلون في أناة طبع المصادر الإسلامية ودراستها ويبحثون عن كل المعطيات القابلة للتحقق بفضل التجميعات، خارجا عن هؤلاء، فإن الاتجاه العام ينحو نحو الرفض الجذري: الإسلام الذي نعرفه نشأ في العراق بعد منتصف القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري) على يد مثقفين من أصل يهودي أو مسيحي، استجابة للحاجات الإيديولوجية للامبراطورية التى كانت في طور النشأة. وهو إسلام لم يأخذ شيئا ذا بال من الهداية المحمدية. زد على ذلك هل يعقل أن يكون مهد تلك الديانة غرب الجزيرة العربية والحال أنها منطقة تتميز بالتخلف (الفقر المادي والعقلي لعالم الرّحّل) والعزلة؟» (علم وحياة ص ١١٠).

إن الروح الحاقدة لتشف من وراء السطور، إن نبرة استشراقية معادية للإسلام تلوح قارئة تاريخ الإسلام بالمقلوب: فمكان أن يشيد بروح التسامح في الإسلام إذ أكرم أهل الكتاب، يدّعي أن اليهود والنصارى هم الذين أسسوا الإسلام الذي نعرفه» وكم هي غريبة هذه العبارة من باحث من المفترض أن يكون أكاديميا . فالباحث معجب رغم أنفه بالحضارة الإسلامية ولكنه ساءه أن تنسب الى العرب، فهو بحق مضاد معاد للسامية جاحد للحقيقة حتى وإن توارى خلف تقية اليهود الذين لم يدخر جهدا لمدحهم.

المستشرقون واللغة العربية

- الرؤية والتناول -

□ ***لقد كان من نتائج غزارة التراث العربي الاسلامي وامتداده في الزمان والمكان أن أصبح تراثا عالميا إنسانيا لا يمكن أن يتجاوزه أو يتجاهله المؤرخون للحضارات الانسانية . . فلقد توزع وانتشر في أصقاع الأرض بحيث يجد الباحث نفسه مجبورا على التعامل مع ظاهرة تكون فريدة من نوعها على صعيد التراث الانساني، وهي أنه لا يملك أن يبحث اي موضوع من موضوعات التراث العربي الاسلامي دون الاستعانة بما كتبه أو حققه أو أصله، أو أنتجه الآخرون، وبقدر ما لهذه الظاهرة من ميزات ايجابية على الصعيد الأكاديمي بقدر ما تدفعنا الى وضعها في مواقعها الملائمة لها، حتى نتمكن من تنمية وبلورة الاصالة في تراثنا الفكري ماضيا وحاضرا من جهة وابراز مدى امتداد جهودنا الفكرية في التراث العلمي من جهة أخرى.***

ونحن في عالمنا الاسلامي نريد ان نعيد صياغة حياتنا الفكرية بما يتلاءم مع متطلبات العصر ولا سبيل الى تصوير الحياة بغير استكشاف عناصر القوة لهذه الحضارة.

واذا كانت بعض عناصر هذه الحضارة هي خبرات واضافات وافدة رافدة، ساكنة في جسم كياننا المعرفي الثقافي، فإننا مدعوون الى النظر اليها من زوايا متعددة، وبقراءات مختلفة بقدر تعدد واختلاف المنطلقات الصادرة عنها.

وليس في مقدورنا أو في نيتنا ان ندرس الحركة الاستشراقية بكل ابعادها ونزعاتها وتوجهاتها في هذا العرض المحصور في مجال علاقة اللغة العربية بالدراسات الاستشراقية، وليس في نيتنا كذلك ولأسباب منهجية أن نعقل الخلفية الفلسفية، أو السياسية التى انطلقت بالدراسات الاستشراقية، وليس في نيتنا كذلك ولأسباب منهجية أن نعقل الخلفية الفلسفية، أو السياسية التى انطلقت منها هذه الحركة ، حيث سنجد أن كثيرا من القضايا الأدبية واللغوية التى عالجها المستشرقون يسهل تفسيرها وتبريرها وفهمها في ضوء الخلفية الفكرية التى سنحاول ان نميط عنها اللثام في الفقرات القادمة.

وأول ما يجب أن يعرفه الدارس للتراث الاسلامي أن المنهج الاستشراقي الغربي يختلف عن المنحى العلمي الذى سلكه نخبة من الأعاجم عندما اعتنقوا الاسلام وساهموا في النهضة الفكرية والعلمية التى عرفها الاسلام في تلك الفترة المبكرة من تاريخه.. فلقد كان هؤلاء العلماء الأفذاذ الرواد ينضوون تحت لواء الاسلام عقيدة، وفكرا، وكانوا ينطلقون من

مواقع انتماء واعتزاز وتمسك بالعقيدة وكان هدفهم خدمة القرآن، ولغة القرآن الكريم.

فجاء انجازهم نتاجا متأصلا في أرض الحضارة الجديدة يساير الرسالة الاسلامية وينسجم مع اهدافها السامية ويدخل في نطاق تفكير دعاتها.

يقول الزمخشري [١] :

«الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن انفرد عن صميم انصارهم وأمتاز. وانضوى الى لفيف الشعوبية وأنحاز».

ويقول البيروني :

«ديننا والدولة عربيان توأمان. وترفرف على احداهما القوة الالهية، وعلى الأخرى اليد السماوية». وكم احتشد طوائف من التوابع في الباس الدولة جلابيب العجمة، فلم يتفق لهم في المراد سوق، ما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمسا، فتقام الصلوات، بالقرآن العربي المبين.. **والهجو بالعربية احب اليّ من المدح بالفارسية.** وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم، قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه، وكسف باله، واسود وجهه وزال الانتفاع به اذ لا تصلح هذه اللغة الا للأخبار الكسروية والأسهار الليلية.

ولكننا عندما نريد دخول عالم الاستشراق واكتشاف ما فيه فإن أول ما يستوقفنا هو أن مفهوم الكلمة (الاستشراق - مستشرق) تفيد في كل سياقاتها. وترجماتها ومستوياتها الدلالية معنى مركزيا واحداً هو دراسة «الآخر». بكل ما تعنيه كلمة الآخر من بعد وتميز واختلاف، وغرابة،

د. عبدالكريم بكري

مدير المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية - الجزائر - وهران

وغموض. وهو مفهوم يهيء الانفس في العصور الجديدة الى ربط الشرق بالغرب مع الايحاء بأن الغرب هو صاحب اليد العليا، وصاحب الدور الاكبر في النهضة العربية الحديثة وهو الذي له الفضل في اكتشاف الحقائق واخراج الكنوز المعرفية وفي وقت كان العالم الاسلامي يعيش عيشة ركود واسترخاء وكانت حالته تدعو الى تمثيله وقيادته والتفكير له.

يقول ادوارد سعيد:

اذا كان جوهر الاستشراق هو الذي يستحيل اجتثاثه بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية، فإن علينا ان نكون على استعداد لنلاحظ كيف ان الاستشراق في تناميه، وفي تاريخه اللاحق قد عمق هذا التمييز[٢].

ان هذه النظرة الاستعلائية للواقع الاسلامي وللتراث الاسلامي هي التى ميزت الحركات الاستشراقية عن غيرها من الحركات الاستكشافية التى عرفها الاسلام في تاريخه الطويل. فلقد مر زمان احتل فيه الاسلام مكانه، واحدث فيه ما احدث، وأثر في حركته تأثيرا اجبر علماء أوروبا وطلابها على السواء الى دراسته من موقع التلمذة والتسليم والاكتشاف وبلغ اعجابهم باللغة العربية لغة العلوم حدا انساهم لغتهم الأصلية.

وهذا نص نلتقطه من مدينة قرطبة وبلسان احد رجال الدين في القرن التاسع الميلادي نقرأه ولسان حالنا يقول: ما أبعد البارحة عن اليوم!! يقول هذا

الرجل: «**أن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب، وحكاياتهم ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين لا ليردوا عليها وينقضوها وانما ليكتسبوا من ذلك اسلوبا عربيا جميلا صحيحا، وأين تجد الآن واحداً من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت عن الأناجيل المقدسة ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل؟ إن الموهوبين في شبان النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب خليقة بالاعجاب. فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا اليها انتباههم..** يا للألم !! لقد نسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد بين الألف واحداً يكتب منهم يستطيع أن يكتب الى صاحب له كتابا سليما من الخطأ. فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها في اسلوب منمق، بل هم ينظمون في الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا[٣].

وانما أوردنا هذا النص، وأجرينا تلك المقارنة لأهمية النتيجة التى نريد الوصول اليها، حيث إن هناك فرقا بين أن يكون التواصل بين حضارتين قائما على أساس الرغبة في الاكتشاف والتحصيل والتعاون، والتكامل وبين أن يكون أساسه الاستهانة والهيمنة والاستعلاء، مما يحجب كثيرا من الحقائق ويصبغ النتائج بأصباغ عقد التفوق فلقد بلغت درجة الشعور بالتفوق حدا جعلت بعض المستشرقين يذهب الى **أن الأدب العربي انما اصبح جميلا، ومقبولا، لأنه صيغ وأعيدت صياغته حتى يتاح له أن يتذوقه الناس ويصبح في مستوى رقي الانسان الغربي**[٤].

ومن الجوانب المشرقة التى نذكرها لطائفة من المستشرقين إسهامهم بنصيب وافر في إحياء التراث العربي الاسلامي واخراجه للناس على الخصوص بمنهج منظم دقيق، وذلك بما تهيىء لهم من سبق في أدوات البحث، ومناهج الانتاج والتحقيق.

بهذه المنهجية التى تمتاز بالاحتراز اكثر مما تعتمد على الاطلاق والتعميم، نود ان نعرض جهود المستشرقين في درس اللغة العربية ونود نقول بادىء ذي بدء أن اتقانهم (المستشرقين) للغة العربية لم يكن في مستوى المؤهلات المنهجية والعلمية التى كانوا يمتلكونها وفي اعتقادي الشخصي، ان هذا الضعف، أو القصور في ادراك أسرار العربية مرتبط أساسا بالخلفية الفكرية التى تحدثنا عنها وبالأهداف المراد الوصول اليها. ومما لا شك فيه أن حب اللغة العربية لم يكن أول هذه الأهداف.

التراث العربي والاسلامي لغزارته واتساعه وموضوعيته فرض نفسه عالميا

وفي ذلك يقول الأستاذ **احمد شاكر** وهو يصف مؤهلات المستشرق :

«إنه فتى اعجمي ناشىء في لسان أمته، وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها (ألماني، انجليزي، فرنسي) حتى استوى في العشرين من عمره، والخامسة والعشرين، فهو قادر، أو مفترض أنه قادر تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهل، ومفترض أنه مؤهل أن ينزل في ثقافة ميدان المنهج، وما قبل المنهج بقدم ثابتة. نعم هذا ممكن أن يكون كذلك، ولكن هذا

الفتى يتحول فجأة عن سلوك هذه الطريق ليبدأ في تعلم لغة أخرى، هي العربية **هنا مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعا، يدخل قسم اللغات الشرقية في جامعة من جامعات الاعاجم فيبتدىء تعلم ألف باء تاء، وابجد هوز، ويتلقى العربية نحوها وصرفها، وبلاغتها، وشعرها، وسائر آدابها، وتواريخها عن أعجمي مثله وبلسان غير عربي، ثم يستمع الى محاضرات في آداب العرب وأشعارها، أو تاريخها، أو دينها، أو سياستها، أو لسانها بلسان غير عربي ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل ثم يتخرج لنا مستشرقا يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والدين العربي**[٥].

«الهجو بالعربية أحب الي من المدح بالفارسية»

ولقد أقرّ المستشرق جويدي بعجز الواحد منهم عن ادراك اسرار اللغة العربية وفهم طرائقها في التعبير يقول: «قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به الا نبي، وكيف بي وأنا ايطالي كان مسقط رأسي في روما، ونشأت في الغرب ولم يتح لي ان اجلس الى العلماء الشرقيين، والنحاة واللغويين الذين لا تزال تزدان بهم هذه المدينة الزهراء التي يمكن أن نقول إنها منار الأدب العربي، ومهما وجدت في الغرب من الوسائل العديدة لدراسة حياة العرب الروحية، فما سد هذا مسد محادثة الأدباء الشرقيين، وهي العملية التي لابد منها لإدراك كنه الأدب العربي[٦].

وبسبب من ذلك اي بسبب ضعفهم ونقص تمرسهم وعدم انغماسهم في الأجواء المشبعة بالفصحى نجد أن معظم جهودهم قد انصبت على التحقيق والتأريخ، والمقارنة اكثر مما اهتمت بالجوانب البلاغية والجمالية في اللغة العربية، أو النواحي الاعجازية في القرآن الكريم [٧].

ومن المجالات التي أبدع فيها المستشرقون وفتحوا فيها نهجا متميزا، تحقيق المخطوطات العربية في كل العلوم والفنون والآداب، حيث بذلوا جهداً كبيرا لإخراج المئات من المخطوطات التي كانت مغمورة، أو مهجورة وأسسوا قواعد وضوابط لهذا العمل الكبير الذي وإن لم يكن مجهولا تماما عند العرب كما يقر بذلك بعضهم فإنهم تركوا بصمات واضحة على صفحات الكتب التراثية التي تزخر بها المكتبات العربية والاسلامية وقد تخرج على يد هؤلاء العلماء الرواد العشرات من العرب والمختصين في فن التحقيق.

وهكذا اخرجت الى الناس المئات من المؤلفات الضخمة في مختلف العلوم، وقد زودت بالشروح والتعاليق والملحقات، والخرائط والاحصاءات والرسوم والجداول وغير ذلك من المعارف التي تؤصل المتون وتبسطها وتزودها بالشروح الكافية.

دراسة الأدب والتأريخ للعصور الأدبية :

فلقد أصبح الأدب العربي بفضل هذه الحركة يدرس بمنهج وصفي تاريخي يقسم في ضوئه التراث الأدبي الى أحقاب زمنية لكل حقبة خصائصها وسماتها وميزاتها وملابساتها.

وهكذا قسم الأدب العربي الى خمسة عصور:

١ ـ عصر ما قبل الاسلام ويشمل كل الفترة التى سبقت ظهور الاسلام.

٢ ـ عصر ظهور الاسلام حتى نهاية العصر الأموي.

٣ ـ عصر الدولة العباسية حتى نهايتها على أيدي المغول عام ١٢٥٠م.

٤ ـ عصر ما بعد سقوط بغداد حتى مجيء نابليون بونابرت الى مصر عام ١٧٩٨م.

٥ ـ عصر النهضة الحديثة.

«ان الموكوبين في شبان النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابها»

وقيمتها العلمية أقبل العلماء على ترجمتها والاهتمام بها حيث احتفل بها المهتمون المعاصرون لظهورها. من أمثال **أحمد أمين واسماعيل مظهر وعبد الوهاب عزام، ومحمد كرد علي.**

ولقد اصبح هذا السفر الضخم الذي تصدى له اكثر من ٥٠ مشرفا، مصدرا من مصادر اللغة العربية وآدابها وعلومها وأعلامها، اذ لا يكاد يخلو اي بحث في مجال العلوم الاسلامية من روافد هذا العمل الضخم.

ولقد اقترح مستشرقون آخرون تقسيمات أخرى لا تختلف كثيرا عن تقسيم بروكلمان[٨]. والمهم في كل هذا أنهم سهلوا على الطالب دراسة الأدب وتفسير ظواهره بالاعتماد على التطورات السياسية والتاريخية وسرعان ما انعكس هذا النهج الجديد في دراسة الأدب على العلماء العرب والمسلمين، رواد النهضة وحملة مشعل الاصلاح والاحياء والتجديد.

وقد بلغ تأثير المدرسة الاستشراقية في اوساط العلماء والمفكرين حدا جعل **طه حسين** يتساءل كيف يتصور أستاذ للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى اليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة.

دائرة المعارف الاسلامية :

ولقد ضمت طائفة من المعارف وجمهرة من أعلام المسلمين، قدمتها بطريقة ميسرة ونظرا لأثرها الكبير

فهرسة القرآن الكريم :

واذا كان المستشرقون لم يستطيعوا أن يفهموا القرآن كما فهمه المفسرون الأوائل، وكما نتذوقه نحن ابناء العربية، فإنهم قدموا أعمالا جليلة في مجال فهرسة القرآن، وتوثيقه، وترجمته. ومن بين هذه الأعمال تحقيق كتاب التفسير ـ الكشاف للزمخشري، والاتقان للسيوطي ـ والعمل الجليل الذي قام بها المستشرق «فلوغل» أول من ألف معجما مفهرسا للقرآن الكريم وسماه: نجوم الفرقان في أطراف القرآن. وهو العمل الاحصائي الابجدي الذي اعتمد عليه محمد فؤاد عبد الباقي في موضوع: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم».

ويمكن أن نمضي في غرض الدراسات العلمية والاحصائية التى قام بها المستشرقون ولكننا نكتفي بالقول: بأن هذه الجهود لم تقف آثارها وتبعاتها عند النص القرآني بل لقد استفاد منها الدرس اللغوي

والنحوي والمعجمي، الى غير ذلك مما يمكن أن ندرجه في باب أثر القرآن الكريم في الدراسات اللغوية.

في النحو العربي :

لم يستطع علماء الغرب، والمستشرقون بالخصوص أن يتخلصوا من فكرة تبعية الفكر العربي الاسلامي للفلسفة اليونانية، لذلك لم يسلموا بأصالة النحو العربي فافترضوا ثم اقتنعوا بأن أصول النحو العربي مقتبسة من النحو اليوناني فهم يعتقدون أن الفكر الاسلامي بأسره عالة على الثقافات الأجنبية، وعلى الفكر اليوناني بصفة خاصة، ويزعمون أن الفلسفة الاسلامية ظلت طول حياتها فلسفة انتخابية قوامها الاقتباس مما ترجم من كتب الاغريق حيث لا تجد فيها شيئا مما ابتكره ابناؤها.. وإذا كان الفكر الاسلامي ليس الا مجرد محاكاة وتقليد لأرسطو وضرب من التكرار لآراء، وأفكار يونانية فمن الطبيعي أن تكون أصول النحو العربي نسخة معدلة من أصول النحو اليوناني ومن مفاهيم النحو اليوناني - حسب ظنهم - أما كيف وقع هذا النقل من النحو اليوناني، فالجواب عندهم جاهز، وميسور ألم يوضع النحو العربي في العراق؟ ألم يكن للسريان (ورثة اليونان) وجود في العراق؟.

فكيف لا يقع النقل وكيف لا يحدث التأثير؟ لذلك لم يعد غريبا أن نرى الموسوعة الاسلامية المكتوبة كما قدمنا بأقلام جهابذة المستشرقين تقرر أن المفاهيم النحوية الاساسية انما أخذت عن المنطق الأرسطي الذي انتقل عن طريق العلماء السريان الى العرب[٩].

وليس يخفى ما في هذه الآراء من غرابة بكل ما تحمله كلمة غرابة من معاني البعد عن حقيقة اللغة العربية، والجهل بتاريخها وتطورها.

فوضع النحو العربي لم يكن في حاجة الى فلسفة، أو فكر أو ثقافة أجنبية لأن النحو العربي كان موجودا في أذهان الشعراء والخطباء العرب، وتجلت مظاهره وملامحه في النصوص الشعرية والنثرية حيث نجد أن كل الأساليب الأدبية في العصر الجاهلي تسير على وتيرة وحركات متفقة عند اداء المعاني المتشابهة وهذا لا يمكن أن يصدر عن مبدع خالي الذهن من قواعد تضبط خطابهم السليقي، هذه الظاهرة هي التى جعلت ابن فارس يجزم بأن النحو العربي كان موجودا منذ القديم وأن أبا الأسود الدؤلي عمل على احيائه وتجديده.

وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد رحمه الله عندما سئل عن العلل التى يعتل بها.

فقيل له: عن العرب أخذتها ام اخترعتها من نفسك؟.

فقال : «ان العرب نطقت على سجيتها وطباعتها وعرفت مواقع كلامها وإن لم ينقل ذلك عنها»[١٠].

أما أن يكون النحو العربي قد استفاد بعض الاستفادة من اليونان في مجال

التواصل القائم على التكامل والتحصيل والتعاون بين الحضارات افضل واجدى من محاولات الهيمنة والاستعلاء

إرساء الأصول والكليات العامة التي يقوم عليها النحو العربي فان ذلك مما لا نستطيع إنكاره في ضوء ما نعرفه عن حركة الترجمة والنقل التي عرفتها الحضارة الاسلامية في العصر العباسي.

قال ليتمان : «اختلف الأوروبيون في اصل هذا العلم، فمنهم من قال إنه نقل من اليونان الى بلاد العرب، وقال آخرون: ليس كذلك، وانما كما نبتت الشجرة في ارضها كذلك عند العرب، ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا وهو أنه ابدع العرب علم النحو في الابتداء، وانه لا يوجد في كتاب سيبويه الا ما اخترعه هو والذين تقدموه، وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة عند العرب مختلف، قال سيبويه: الكلام اسم وفعل، وحرف، ثم جاء المعنى، وهذا تقسيم أصلي، أما الفلسفة فينقسم فيها الى اسم، وكلمة ورباط، وهذه الكلمات ترجمت من اليونانية الى السريانية، ومن السريانية الى العربية، فسميت هكذا في كتب الفلسفة وفي كتب النحو أما كلمات اسم وفعل وحرف فانها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت[١١].

وما يهمنا في هذه الآراء الصادرة عن بعض المستشرقين المكتشفين للعربية بمنظار التراث اليوناني هو أنها عملت على تلوين بعض المفكرين والكتاب بنزعاتهم وتوجهاتهم، فلقد سايروا آنذاك آراء المستشرقين السابقة وأيدوها واقتنعوا بفكرة تبعية النحو العربي للفكر اليوناني.

يقول أحمد أمين: «ولأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل الاسلام وكان لها قواعد نحوية، فكان من السهل أن نوضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية خصوصا واللغتان من أصل سامي واحد[١٢].

ويقول الأستاذ احمد حسن زيات: «في ظننا أن أبا الأسود الدؤلي لم يضع النقط من ذات نفسه، وانما يرجح أنه ألم بالسريانية، فقد وضع نحو السريانية قبل نحو العربية»[١٣].

ولقد قرر طه حسين في احد مؤتمرات الاستشراق، أن البيان العربي منذ نشأته كان في جميع اطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية اولا وبالبيان اليوناني أخيراً.. وانتهى الى أن أرسطو ليس هو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنه الى جانب ذلك كان معلمهم الأول في علم البيان[١٤].

من الجوانب المشرقة للمستشرقين احياؤهم للتراث العربي والاسلامي واخراجه للناس تحقيقا وطباعة

وهكذا اطمأن رواد الحركة الاستشراقية الى انهم غرسوا في اذهان المسلمين تبعية مزدوجة: تبعية للفكر اليوناني الضارب في القدم وتبعية أخرى للفكر الاستشراقي الحديث في كل ما يذهب اليه.

ومن مظاهر النظرة الاستشراقية

وتبعية اللغويين لهذه النظرة ما ذهبوا اليه من أن وجود المثنى في اللغة دليل على تخلفها، فهم يرون أن اللغة الراقية سرعان ما تتخلص من ظاهرة المثنى.

ولست أدري كيف استقر في اذهان هؤلاء السادة أن يكون وجود المثنى في لغة ما دليلا على حضارة متخلفة وكيف يدل اختفاؤه على التقدم الحضاري؟![١٥].

أما الأمر الذي يحير الباحث الدارس لهذا الموضوع هو كيف يكون التوسع في التعبير عن الأعداد وتحديد الكمية تخلفا بينما يكون الاقتصاد في التعبير عن الأزمنة تخلفا ايضا، فهم يرون أن اللغة العربية متخلفة في مجال التعبير عن المراحل الزمنية المختلفة لأنها تخصص صيغتين فقط للزمن والذي يعرفه فقهاء علم اللسان هو أن لكل لغة خصائصها وطرائقها في التعبير عن الأشياء والأحياء والمعاني حيث لا يتصور وضع ضوابط وقواعد عالمية كقواعد السياقة تسير عليها لغات العالم مثلا.

هذه هي القناعات التى استقرت في اذهان بعض المستشرقين فيما يتعلق بمكانة اللغة العربية في عالمنا المعاصر حيث حكموا عليها بالضعف والتخلف وعدم الاستجابة لمتطلبات العصر ورتبوا على ذلك نتيجة حتمية لمقدمات عملوا على ترسيخها نتيجة حتمية هي الدعوة الى التخلص من العربية الفصحى، واستبدال العامية بالكلام العربي الفصيح، واحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية.

الفلسفة الاسلامية ظلت طول حياتها فلسفة انتخابية قوامها الاقتباس والتقليد من الاغريق وغيرهم.. هكذا يزعمون

إن حروف الهجاء العربية في نظر أحدهم غير كافية لمقتضيات الزمن الحاضر، ولا لألفاظ اللغة العامية التى يتكلم بها في مصر، وأن الطريقة الفضلى هي أن نكتفي باللغة العامية على أن تكتب بالحروف اللاتينية وتوضع لها قواعد[١٦].

ولقد أنجبت هذه الدعوات خصوما للفصحى من أبناء العربية فباركوا وتحمسوا، ودعوا الى التعجيل بالتنفيذ، من بينهم أنيس فريحة في لبنان، وسلامة موسى في مصر.

وعلى أية حال فإننا لا نرى جدوى من التعليق على نظرات متعجلة طافية فوق سطح الواقع اللغوي لأن الزمن قد تجاوزها، ونتساءل في آخر وقفة لنا مع هذا البحث:

هل من فائدة نجنيها، أو درس نستخلصه من السيرة، أو المسيرة العلمية لهؤلاء الرجال؟

لعل الجواب على جزء من السؤال يقدمه لنا مستشرق كان - يوما - في موقع أخذ من عطاء الحضارة الاسلامية، مع اجراء تغيير بسيط وهام في نفس الوقت هو احلال كلمة: «عربي» محل «أوروبي» واحلال كلمة «غرب» محل كلمة «شرق».

يقول فيما تلخيصه ان الأهم فيما نأخذه من الشرق هو أن نتمثل ونهضم وهذه هي الخاصية التى تميز العقل الأوروبي أن دورنا أن نحافظ على قوة

الاختيار، قوة الادراك، قوة تحويل كل شيء، الى جوهرنا نحن[١٧].

ولاستكمال الجواب أقول مع القائل:

«وددت لو استغربنا كما استشرقوا، وددت لو اتبعنا آثارهم، ومخترعاتهم ونقلناها الى العربية، ولم نكتف بدراستها في لغتهم، أو نقلها كما هي في لغاتهم، لو فعلنا ذلك لأغنينا اللغة العربية وأمددنا النشء الجديد بكل أنواع الثقافات»[١٨] ■

الهوامش :

(١) انظر نص الزمخشري، والبيروني في كتاب مقدمة كتاب حركة التعريب في العراق، د/ احمد مطلوب معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ١٩٨٣.

(٢) د/ إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الانشاء، ترجمة كمال أبو ديب ص ٧٣ ط:١٠ ١٩٨١ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت.

(٣) أحمد سما يلوفتش فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ص ٦٧/٦٨، دار المعارف مصر ط ١٩٨٠.

(٤) ادوارد سعيد . الاستشراق ص ١٥٠.

(٥) على بن ابراهيم النملة: مصادر المعلومات عن المستشرقين استقراء المواقف ص ٢٣ ، مطبوعات الملك فهد. الرياض ١٩٩٣م.

(٦) أنور الجندي: اللغة العربية بين حماتها وخصومها ص ٢٩، مطبعة الرسالة، القاهرة .

(٧) يقول الأستاذ محمد علي الصغير: «إن الفهم الذي عالج به المستشرقون *القضايا القرآنية* يبتعد كثيرا عن الفهم الذي نعالجها به نحن فالدراسات *البيبلوغرافيا* هدف مركزي لديهم، وضبط *الوقائع التاريخية* مهمة جديرة بالبحث.. أما نواحي *الاعجاز*، فهو مما يخص المسلمين، وقضايا *البلاغة* شؤون عربية لا يحسنها غير العرب، انظر (المستشرقون والدراسات القرآنية) ص ٨٥ ـ ٨٦ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٧م.

(٨) راجع: د/ احمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي ص ٥٦٣ ـ ٥٦٦.

(٩) الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص ١٨٠ وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٤م.

(١٠) انظر النص كاملا في الايضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق د/ مازن مبارك ص ٦٥ ـ ٦٦، بيروت ١٩٧٣م.

(١١) محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص ١٥ ط: ٢، ١٩٦٩م مطبعة السعادة ، القاهرة.

(١٢) أحمد أمين. فجر الاسلام ص ١٣٨ ط ٨، ١٩٦١م، مصر ـ القاهرة.

(١٣) أحمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي ص ٢٠، القاهرة.

(١٤) يراجع مقالة د/ طه حسين والفكر اليوناني في مجلة المنهل السعودية عدد سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٦م العدد ٥٣٥.

(١٥) يراجع على سبيل المثال: د/ حسن عون: دراسات في اللغة والنحو العربي ص ٥٦، معهد البحوث والدراسات العربية.

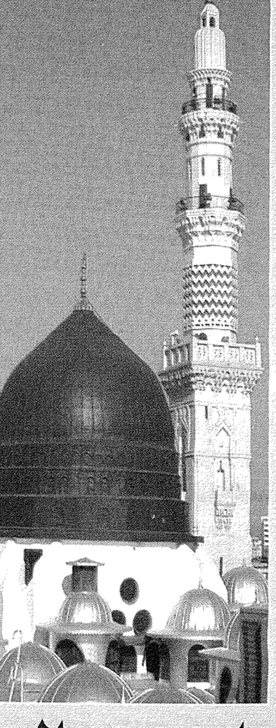
Le Duel dans La Langue semetique P.30.31

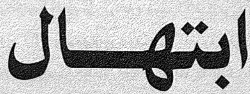
La Philosophie de la Grammaire Arabe P.287

(١٦) أنور الجندي *اللغة العربية بين حماتها وخصومها* ص ٥٥ ـ ٦٠.

(١٧) ادوارد سعيد *الاستشراق* ص ٢٥٦.

(١٨) سمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ص ٣٥، دار المعارف ، مصر ١٩٨٠.





الشاعر السينيغالي/ د. محمد علي ديا

أستاذ بجامعة الشيخ أنتاديوب بداكار -السينيغال-

حـازوا المفـاخـر دون أي تكسُّبِ
هبـة الإله لخـيـرة النجـبـاء

هم أصلُ أحمدَ خيرِ منْ وطيء الثَّرى
فـرْعٌ سـمـا بالأصل فـوْق عـلاء

أصلُ النبي مـحـمـد نور الهـدى
قـاد الخليـقـة نحـو ربٍّ سـمـائي

في الجـود بلْ في الدّين دون مُنازع
هُمْ قـادة منْ أكـبـر الكبـراء

يا منْ مـلأتَ القلبَ حُـبّـا قْـد طغى
في النَّفْس بلْ في الروح والأعضـاء

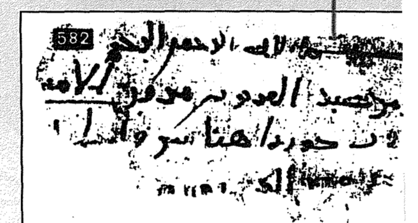
يا خـيـر منْ قـاد البـريَّة كلَّهـا
قـد جـاءكُمْ عـبْـدٌ منَ الضـعـفـاء

يـرْجُـو تفـضُّل رَبّه دون الورى
ربِّ الخـلائق دونما اسـتـثناء

إنا لنرجـو منك يا ربَّ السّـمَـا
يوم الجـزاء تُنيلُنا بلقـاء

يـا ربّ صلّ علـى النبـيّ المصطفى
والتـابعين لـه من القُـدمـاء

هذا الذي قـد جـاده ربُّ السـمـا
فـالحـمـدُ لله العظيم ثنائي



بردية عربية مؤرخة بين أعوام ٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٦ م . تنسب لعهد الوالي الأموى عبدالعزيز بن مروان - محفوظة في مكتبة فيينا القومية بالنمسا برقم سجل (PERF. No.582)

البرديات العربية وأبرز الدراسات حولها

□ البرديات العربية وثائق تاريخية ثابتة لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك، كتبت على نوع من الورق يصنع من نبات البردى الذى ينتمى الى الفصيلة السعدية التى تنمو نباتاتها في المستنقعات العذبة المياه والحقول الزراعية وعلى شواطىء الترع والمصارف[١] وغيرها.

ولقد عاصر هذا الورق سنوات الفتح الأولى لمصر ولعل الدليل على ذلك وجود العديد من نصوص هذه البرديات تنسب لعهد الخلفاء الراشدين غالبيتها محفوظ في مجموعة الأرشيدوق راينر في فيينا بالنمسا، وكما هو معلوم لدى الباحثين أن أقدم وثيقة بردى عربى مؤرخة حتى اليوم هي البردية التى يطلق عليها «بردية اهناسيا» المؤرخة في شهر جمادى الأولى سنة ٢٢هـ[٢].

هذا وتجدر الإشارة الى أن نبات البردى قد حظى بعناية خاصة من قبل ولاة مصر بداية من النهوض بثروة مصر الزراعية ومنها عهد الخلفاء الراشدين وحتى العهد العباسي وتجلت هذه العناية عندما حرص عمرو بن العاص[٣] على النهوض بثروة مصر ومنتجاتها الزراعية ومن بينها مصانع ورق البردى ومزارعه التى كانت منتشرة في العديد من مدن وقرى مصر في الوجهين القبلى والبحرى. ولعل أشهرها مدينة الأسكندرية ومدن أخرى مثل: وسيم وبوره وبحيرة الفيوم وفي وادى النطرون وبركة قارون وبحيرة المنزلة ودمياط.. وغيرها[٤].

الموضوعات التى تناولتها نصوص البرديات العربية:

يصعب على المرء تحديد موضوعات معينة كتبت في لفافات البرديات العربية وذلك لأن البردى كان يعتبر المادة المفضلة في الكتابة.. وخاصة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ولذلك فإن غالبية المكاتبات الإدارية الصادرة عن دواوين الدولة في عهد الخلفاء الراشدين والعهدين الأموى والعباسى كانت مدونة في أدراج البرديات العربية. فهناك على سبيل المثال المكاتبات والمراسلات بين الخلفاء والولاة والعمال وأصحاب الجزية والخراج وهناك أيضاً العهود والمواثيق والاتفاقيات وعلاقات حسن الجوار بين الدولة الإسلامية سواء في مصر والشام والعراق وفارس والحجاز وشمال أفريقيا.. وغيرها من الدول الأخرى. هذا بالإضافة لإيصالات الجزية والخراج وقوائم وكشوف العمال والأجراء والحرفيين وأرباب العمل والتجار وأهل الذمة وكل من له علاقه ببيت المال - أيضا هناك الوصفات الطبية والسير والمغازى وبعض آيات القرآن الكريم وبعض النصوص الأدبية والأحاديث النبوية الشريفة والعقود بشتى أنواعها (زواج - بيع - شراء - إيجار - عمل) أيضاً هناك وثائق عتق الرقبه ومجالس الصلح وفض المنازعات والمكاتبات الشخصية بين عامة الناس للاطمئنان وتبادل السلع والصفقات التجارية.

كذلك تضم نصوص البرديات العربية معلومات في غاية الأهمية عن الجنود وأسرهم

د. سعيد مغاوري محمد

باحث بالمجلس الأعلى للآثار قطاع الآثار الإسلامية - القاهرة

وعطاياهم من بيت مال المسلمين - أيضاً هناك معلومات عن الحاصلات الزراعية والسلع الغذائية وسائر الصناعات من معدنيه وخشبيه وجلديه.. وغيرها مع بيان بأسعارها وأشهر تجارها مع أماكن بيعها والمقادير الواجبة كزكاه وضريبه لبيت مال المسلمين[٥].

... وغيرها من المعلومات التى قلما نجدها في مواد أخرى غير نصوص البرديات العربية.

أهمية دراسة نصوص البرديات العربية :

لا شك أن للبرديات العربية أهمية قصوى للدارسين والباحثين في مجال التاريخ والحضارة والفكر والنظم والفنون والآثار والدراسات الاسلامية - ليس لأنها وثائق تاريخية لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك ولكن لكونها تحتوى العديد من المعلومات والبيانات والاحصائيات ولعل الدليل على ذلك أن أرشيف الموضوعات Subjects[٦] في مجموعة الأرشيدوق راينر في ڤيينا بالنمسا وهو المحفوظ حاليا في المكتبة القومية بالنمسا يضم العديد من الموضوعات التى تغطى تقريباً جميع نواحى الحياة في الدولة الاسلامية.. منها على سبيل المثال:

السجلات، التقارير، العقود بشتى أنواعها (زواج - بيع - شراء - إيجار - عمل) المراسلات،

الأجور، الضرائب، المبادلات، العقارات، مسح الأراضي، كشوف العمال والأجراء والحرفيين وأرباب الصناعات، ايصالات الجزية والخراج لأهل الذمه، مقادير الزكاه للمسلمين، المصادرات، الجزاءات، تصاريح المرور والعمل لأهل الذمه، أسماء سفن ومراكب، قوائم الجند وأسماء عيالهم ومقادير عطائهم من بيت مال المسلمين، وأسماء مدن عربية ومصرية وفارسية وروميه، وأسماء رجال الدين المسيحى وألقابهم وأعمالهم ومقدار ثروتهم، وأسماء جنود وعمال، وأسماء قضاه ومحتسبين وعمال جزيه وخراج، وأسماء ولاة ورجال شرطة وعمال الديوان، وأسماء نصارى وبعض أهل الذمه ممن دخلوا في الدين الإسلامي، وأسماء شوارع وطرق وحارات، وأسماء أدوات قتال، وأسماء حرف وفنون وصناعات، وأسماء سلع غذائية وحاصلات ومنتجات ومصنوعات[٧] وغيرها من أسماء خلفاء وولاه من عهد الخلفاء الراشدين وحتى نهاية العهد العباسى وغيرها كثير ومتنوع يصعب حصره.

وفي واقع الأمر أن الباحث المدقق في نصوص البرديات العربية يلاحظ أنها مازالت مجالا خصباً للدراسات التاريخية والحضارية في العصر الحديث ولقد فطن إلى ذلك العديد من الباحثين والمستشرقين في عدد كبير من الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث الأجنبية منذ عشرات السنين.

ويكفى للتدليل على ذلك أن أول كرسى للأستاذية في مجال علم البرديات بما فيها البرديات العربية أنشأته جامعة أكسفورد في انجلترا Oxford University وذلك منذ عام ١٩٠٨م.[٨]، أيضا أنشأت جامعة السربون Sorbonn University في فرنسا معهداً لعلم البرديات Institut de Papyrologie ـ هذا بالإضافة للمعاهد الأخرى في أوربا ومنها أيضاً معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا[٩] Uni-versitat Heidelberg ـ Institut Fur Papyrologie ـ ومعهد البرديات في ليدن بهولندا Papyrologisch Institut ـ هذا بالإضافة للعديد من المؤسسات ومراكز البحوث والدراسات في هذا المجال لعل أبرزها اللجنة الدولية للبرديات ومقرها بروكسل ببلجيكا As-sociatton International De Pa-pyrologues[١٠] ـ ومعهد البرديات في ايطاليا.

Instituto Papirologico ـ هذا بالإضافة للمعاهد وأقسام الدراسات الأخرى المنتشرة في عدد كبير من الجامعات والمعاهد الأمريكية لعل أبرزها أيضاً المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو.

Orintal Institute In Chicago University أيضاً يضم متحف جامعة بنسلفانيا قسماً لدراسة البرديات العربية وغيرها من مراكز البحوث العالمية التى أدركت قيمة هذه الوثائق فأفردت لها ميزانيات خاصة وأعدت لها باحثين ودارسين على درجة عالية من التأنى والصبر والمعرفة العلمية في تناول هذه البرديات

سواء بالصيانة والترميم أو الفهرسة والتصنيف ثم الدراسة والتحليل والنشر.. منها على سبيل المثال، مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس بالقاهرة.

وفي واقع الأمر إن غالبية الأبحاث والدراسات المتوفرة بين أيدينا الآن إنما قام بها عدد من المستشرقين الذين عكفوا لسنوات طويلة على دراسة هذه البرديات لعل أبرزهم على الاطلاق الدكتور أدولف جروهمان الذى تنوعت دراساته وأبحاثه حول وثائق البرديات العربية فلم تقتصر على مجموعات معينه بل تعددت جهوده فشملت عدداً كبيراً من برديات دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ثم مجموعة الأرشيدوق راينر في ڤيينا بالنمسا ومجموعة شوت راينهارت في جامعة هايدلبرج بألمانيا ومجموعة كارل فسلى بالمعهد الشرقى في براغ بجمهورية التشيك.. وغيرها من المجموعات الأخرى[١١].

والبرديات العربية بالغة الأهمية في كشف العديد من الجوانب التى مازالت غامضة في تاريخنا وحضارتنا الإسلامية ومنها على سبيل المثال الجوانب الاجتماعية في الدولة الإسلامية وعلاقة حسن الجوار هذا بالإضافة لكونها وثائق لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك في دحض افتراءات ومزاعم بعض غلاة المستشرقين الذين يحاولون تشويه عظمة الحضارة الإسلامية

الوثائق البردية غيرت كثيرا مما اعتبرنا في السابق حقائق تاريخية

ومنجزات المسلمين الحضارية في شتى مجالات الحياة وليس أدل على ذلك من دحض الافتراء الباطل الذى حاول ترويجه الأسقف ساويرس بن المقفع وهو مسيحى يعقوبى شغل منصب أسقف في كنيسة الأشمونين سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م[١٢] حيث حاول هذا الأسقف ومن تبعه من تلامذته ومن المستشرقين إلصاق التهم الزائفة بسوء معاملة العرب والمسلمين لأهل الذمة واضطهادهم أثناء الفتح وغيرها من المزاعم الباطلة[١٣] ولكن نصوص البرديات العربية وغالبيتها يرجع تاريخها للقرون الثلاثة الأولى للهجرة أى للفترة الزمنية قبل ظهور ساويرس بن المقفع وتلامذته وغلاة المستشرقين تثبت بما لا يدع مجالا للشك عدالة حكام وولاة العرب والمسلمين تجاه أهل الذمة وتكشف كذلك حرص هؤلاء الولاه والحكام على إعطاء أهل الذمة حقوقهم وخاصة فيما يتعلق بأملاكهم من عقارات وأراض ومنازل وممتلكات وغيرها[١٤] - كما تشير أيضا بعض نصوص البرديات العربية مدى ما تمتع به أهل الذمة من ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينيه دون أدنى مساس أو تدخل في شئونهم الداخلية - ويمكننى الاستشهاد ببردية واحدة كفيلة لدحض أى زعم باطل أو افتراء ظالم يحاول النيل من عدالة حكام وولاة أمور المسلمين وهي البردية الشهيرة (بردية أهناسيا)[١٥] المؤرخة في جمادى الأولى سنة ٢٢هـ - وهى عبارة عن إيصال باستلام أغنام من

أهل الذمة لإطعام جنود المسلمين عندما تقدموا لفتح صعيد مصر - ويعلق على هذه الوثيقة النادرة الدكتور أدولف جروهمان بقوله: (إنه في عرف الحروب والغزوات قلما نجد قائداً منتصراً يعطى صكاً أو إيصالا باستلام طعام لإطعام جنوده لشعب منهزم)، وهذه العبارة على الرغم من صغرها إلا أنها تحمل العديد من المعانى والمقاصد السامية التي قلما نجدها اليوم في عرف الحروب والمعارك المعاصرة حيث انتشار الفتك والبطش والنهب والسلب وهتك الأعراض واغتصاب الممتلكات والحرمات وغيرها.

ولكن قائد المسلمين الذى ورد اسمه في البردية ويدعى (عبد الله بن جابر) يعطى أهل الذمة أماناً وإيصالا باستلام طعام وماشية لإطعام جنوده في البر والبحر ومثل هذه الوثائق النادرة كفيلة لدحض كل زعم أو افتراء باطل يحاول بين الحين والآخر نشره مستشرق حاقد أو باحث متعصب.

ولقد ساعدت نصوص البرديات العربية في تصحيح مفاهيم خاطئة لبعض كتب المؤرخين القدامى أمثال عبد الله بن عبد الحكم وابن تغرى بردى وغيرهم - حيث وردت في بعض كتبهم عبارات وتُهَم خاصة بحق الوالى قره بن شريك العبسى ٩٠ - ٩٦هـ/ ٧٠٩ - ٧١٥م فذكرته بأنه (كان أعرابياً جلفا جافياً)[١٦] وبأنه (سيء التدبير خبيثاً ظالماً غشوماً فاسقاً متهتكاً)[١٧] ولكن نصوص البرديات العربية كشفت غير ذلك تماماً فقد أثبتت البرديات التى تنسب لفترة حكمه بأنه كان مثالا للوالى العادل الذى يراقب عماله ويحرص على الرعية كل الحرص ويعطى كل ذى حق حقه حتى مع أهل الذمة فقد أشارت بعض نصوص البرديات العربية مدى حرص هذا الوالى على مخاطبة أحد العمال بالإسراع بالتحقيق في شكوى رفعها أحد الأقباط لأخذ حقوقه من أحد المسلمين.. وغيرها من المعلومات الهامة في حق هذا الوالى[١٨].

كذلك أوضحت نصوص بعض البرديات العربية مدى حرية التعبير عن الرأى الذى مارسه ولاة أمور المسلمين مع طوائف أهل الذمة والسماح لهم بتقديم تظلماتهم للقضاة وولاة أمور المسلمين حتى إن عدداً كبيراً منهم رغب في الدخول في الدين الإسلامى عن طواعية واختيار بفضل سماحة الإسلام وعدالة حكامه وفي هذا يشير يوحنا النقيوسى[١٩] وكان شاهداً للفتح الإسلامى لمصر - حيث ذكر أن أعداداً كبيرة من الأقباط تعلموا اللغة العربية للحفاظ على أعمالهم في دواوين المسلمين ومنهم من أسلم عن طواعية واختيار فكان لهم الحق في الانضمام لجيش العرب الفاتحين.

أكثر مجموعات الوثائق البردية العربية خارج أوطانها

الخلفية التاريخية لخروج مجموعات البرديات العربية خارج الوطن العربي:

منذ أكثر من قرن ونصف تقريباً من الزمان كانت البدايات الأولى لخروج مجموعات البرديات العربية خارج وطننا العربى الكبير وترجع بدايات هذا الموضوع لعام ١٨٢٤م[٢٠] عندما عثر بعض الفلاحين في منطقة سقارة على جرة صغيرة من الفخار وجد بداخلها برديتين عربيتين - تمكن أحد هواة جمع التحف الأثرية في مصر ويدعى (برناردو دروڤيتى) تمكن من الاستيلاء عليهما وكان يشغل قنصل فرنسا بمصر - ونظراً لعدم درايته بمحتواهما - سلمهما الى البارون (سلفستر دى ساسى) الذى اهتم بدراستهما دراسة علمية متأنية - ثم لم يلبث أن نشرهما في مجلة علمية شهيرة تدُعى (Journal de Savants) أي مجلة العلماء[٢١] وبعد هذا النشر ذاع خبر هاتين البرديتين في الأوساط العلمية في أوروبا جميعها وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية الأمر الذى أدى الى وجود العديد من البعثات الأجنبية التى سارعت الى اقتناء البرديتين من الفلاحين أو التجار الذين وجدوا في هذه السلعة رواجاً هائلا بين السفارات الأجنبية في مصر وخاصة الأوربية ولم تمض سنوات قلائل حتى تكونت مجموعات عالمية في غالبية الدول الأوربية[٢٢]. لعل أبرزها كما أشرت من قبل مجموعة الأرشيدوق النمساوى راينر المحفوظة حالياً في مكتبة ڤيينا القومية بالنمسا - وهى مجموعة غنية جداً بالبرديات العربية وعددها التقريبى (١٠٠٠٠٠) مائة ألف وثيقة بردية، المجموعة العربية منها وصل عددها



بردية عربية محفوظة في مجموعة شوت رانيهارت المحفوظة بجامعة هايدلبرج مؤرخة بعام ١٩٦ هـ موضوعها (إيصال جزيه وخراج).

تقريباً (٤٠٠٠٠) أربعين ألف وثيقة نادرة لم يُدرس منها سوى بضع مئات - والباقى رهين الحفظ والصيانة والترميم والفهرسة ثم التحقيق والنشر.

أبرز مجموعات البرديات العربية في العالم:

١ - مجموعة الأرشيدوق راينر في ڤيينا (PER):

تعتبر مجموعة الأرشيدوق راينر المحفوظة في المكتبة الوطنية في النمسا هى أكبر مجموعة بردى عربى في العالم وهي التى يرمز إليها بالرمز (PER) أى برديات الأرشيدوق راينر

Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer in The Nationalbibliothek - Wien.

ويكفى للدلالة على أهمية وضخامة كمية وثائق البرديات العربية المحفوظة في هذه المجموعة

أن الرقم المفهرس فيها وصل الى ١٥٫٩٣٤ (خمسة عشر ألفاً وتسعمائة وأربعة وثلاثين بردية ووثيقة تاريخية)[٢٣]، أيضا أشار المستشرق (جوزيف كارابا تشيك) الذى عكف لسنوات طويله باحثا ومدققاً لبرديات هذه المجموعة الى أن هناك ما يقرب من ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف بردية ووثيقة تاريخية)[٢٤] في هذه المجموعة تنسب فقط لمدينتى الفيوم وأهناسيا - وأعتقد بأن هذا الكم الهائل من برديات مدينتي الفيوم[٢٥] وأهناسيا[٢٦] لو تمت دراسته الدراسة العلمية المتأنية فسوف يكشف العديد من الجوانب التاريخية والفنية والأثرية والحضارية التى ما زالت غامضة في تاريخنا وحضارتنا الإسلامية خاصة وأن غالبية هذه البرديات ينسب للقرون الثلاثة الأولى للهجرة.

ومن ناحية أخرى فإن أحد الباحثين المعاصرين قد ذكر أن مجموعة البرديات العربية المحفوظة في هذه المكتبة وصل تقريباً الى ٤٠٠٠٠ (أربعون ألف بردية ووثيقة تاريخية)[٢٧].

وبالإضافة الى ذلك فإن البروفيسور الدكتور هربرت هراور مدير المكتبة الوطنية في ڤيينا قد أخبرنى بأن هناك عدداً كبيراً من الصناديق والخزانات مليئة بلفافات البرديات العربية مازالت في حاجة الى الصيانة والفهرسة والترقيم ولا يعلم عددها حتى اليوم[٢٨] وتجدر الإشارة الى أن برديات هذه المجموعة قد حظيت بعناية عدد كبير من الباحثين والمستشرقين عبر تاريخها الطويل ربما بسبب ضخامة أعدادها ولأهميتها التاريخية ولتعدد المدن والقرى التى تم تجميعها منها قبل سفرها الى ڤيِنَّا منذ أكثر من قرن من الزمان.

من أبرز هذه الدراسات تلك الدراسة الموسعة التى قام بها المستشرق كارابا تشيك منها:

(أ) - دليل كرابا تشيك لبردى الفيوم[٢٩] يضم هذا الدليل لوحات من نصوص البرديات العربية مصوره من مدينة الفيوم بعضها عبارة عن مكاتبات ديوانية وايصالات جزيه وخراج وعقود بشتى أنواعها وغيرها من الموضوعات، جدير بالذكر أن هذا الدليل طبع في ڤيِنَّا سنة ١٨٨٣م.

(ب) - الكتاب الثاني الذى نشره كاربا تشيك يسمى (دليل مجموعة بردى الأرشيدوق راينر)[٣٠] - صدر أيضا في مدينة ڤيِنَّا بالنمسا سنة ١٨٩٤م وهو يعتبر حقيقة من أهم الكتب والدراسات والفهارس التى صدرت حول هذه المجموعة حتى اليوم يضم العديد من فهارس البرديات من قبطية ويونانية سامية[٣١] وغيرها أما القسم العربى من الكتاب فهو يضم فصلا كاملا عن البرديات العربية بلغ عددها (٩٥٠)[٣٢] (تسعمائة وخمسون) بردية ووثيقة تاريخية نادرة، تبدأ من الفتح العربى لمصر وحتى نهاية عصر المماليك وهي مرتبة ترتيبا زمنيا وتاريخيا وتم ترقيم كل بردية ووثيقة تاريخية مع تعليق موجز من المستشرق كاراباتشيك على نص كل بردية ووثيقة يشمل هذا التعليق تعريف البردية ومكان العثور عليها وتاريخها وموضوعها وحالتها وخلافه، يقع هذا القسم في الدليل من الصفحة رقم ١٣٣ - أما

أرقام[٣٣] البرديات في هذا الدليل أو الفهرست فهى تبدأ من رقم (٥٥٠ حتى رقم ١٤٠٠) أيضا من الدراسات الهامة التى تخصصت في هذه المجموعة تلك الدراسة الشيقة التى قام بها الدكتور أدولف جروهمان والتى تحمل عنوان:

(١) - (وثائق رسمية من البردى العربى)[٣٤] المجلد الأول - طبع فى ڤيينا أيضا سنة ١٩٢٣م وهو يضم قائمة طويلة من برديات هذه المجموعة مع فهرس بأرقامها في المجموعة بصفة عامة شملت تقريبا ٣٠٦ (ثلاثمائة وستة برديات) حرص جروهمان في هذا الدليل على ذكر تعريف موجز لكل بردية ووثيقة تاريخية مع مكان العثور عليها إن أمكن وتاريخها وموضوعها وتوصيفها وخلافه.

(٢) - الكتاب الهام الثانى الذى نشره جروهمان أيضا حول هذه المجموعة يحمل عنوان (مدخل عام في البردى العربى)[٣٥] وقد صدر في ڤيينا سنة ١٩٢٤م أى بعد صدور كتابه الأول بعام تقريبا وفي واقع الأمر إننى أعتبر هذا الكتاب من الكتب البالغة الأهمية في علم البرديات العربية والوثائق التاريخية وذلك لما يحتويه من معلومات وحقائق تاريخية حول البرديات العربية وكيفية العثور عليها وأماكن وجودها ثم المراحل المختلفة لقصة خروجها[٣٦] وتهريبها من مصر ثم بيان

قادة المسلمين امراء عدل ومساواة وزهد في نعيم الدنيا، كما كشفت البرديات

إحصائى بأبرز المتاحف والجامعات والمعاهد العلمية والمؤسسات الثقافية التى سارعت لاقتناء هذه البرديات يشمل هذا الكتاب الضخم تعريفا مفصلا للعمل العلمى المناسب لصيانة وترميم وفهرسة البرديات العربية وكيفية فك هذه اللفافات ثم طريقة فحص البرديات وتصنيفها ثم تحديد لغاتها ونوع الخط والحبر وغيرها من المعلومات الهامة حول هذا العلم (البرديات العربية).

(٣) - ومن الكتب الهامة التى أعدها جروهمان حول هذه المجموعة كتاب نادر أطلق عليه اسم «علم البردى»[٣٧] - تم طبعه في مدينة براغ بتشيكو سلوفاكيا «سابقا» وذلك سنة ١٩٥٥م وهو كتاب شامل عن البرديات العربية وعن نبات البردى وأماكن زراعته في مصر وكيفية الكتابة عليه ونماذج مختاره من نصوص البرديات العربية النادرة في مكتبة ڤيينا القومية بالنمسا.. وغيرها.

جدير بالذكر أيضا أن قصة خروج هذه البرديات من مصر ومن الوطن العربي بصفة عامة الى أوروبا وبالتحديد الى أكبر مجموعة بردى في العالم وهى مجموعة الأرشيدوق راينر ظلت هذه القصة في طى الكتمان طوال أكثر من قرن من الزمان - إلى أن تجرأ أحد الباحثين النمساويين ويدعى هربرت هونجر من كشف خبايا وأسرار

قصة تهريب مجموعات البرديات العربية للمكتبات والمتاحف والجامعات العالمية في أوروبا وأمريكا وخاصة مجموعة مكتبة ڤيينا القومية بالنمسا وذلك في كتاب يحمل عنوان: مجموعة الرسائل المتبادلة بين تيودور جراف وجوزيف كارابا تشيك[٣٨] والأرشيدوق راينر وذلك سنة ١٩٦٢م في ڤيينا بالنمسا وفي واقع الأمر أن هذا الكتاب يكشف

بردية عربية محفوظة في مجموعة جون رايلاندز بمانشستر في إنجلترا موضوعها (كشف بأسماء بعض الأقباط مع توقيعاتهم بأداء الجزيه والخراج)

مدى التقصير والاهمال الذى صاحب خروج هذه المجموعة النادرة من مصر بفضل التخلف والجهل الذى كان عليه بعض الفلاحين[٣٩] والمزارعين وتجار التحف والعاديات في مصر حيث باعوا هذا الكنز الثمين لعدد من هواة جمع التحف والآثار، ويوضح الكتاب نشاط وجهود المستشرق النمساوى جوزيف كارابا تشيك الذى ترك هواية جمع السجاد والنسيج الى هواية جمع البرديات ودراستها ثم جهود صديقه التاجر النمساوى الشهير تيودور جراف الذى كان يقيم في القاهرة لجمع التحف والآثار وخاصة السجاد والنسيج والعملات وغيرها. ويكشف الكتاب عن الدعم المالى السخى الذى قدمه الأرشيدوق النمساوى راينر[٤٠] حيث تكفل بسداد مستحقات التاجر تيودور جراف الذى تمكن من جلب هذه المجموعة من العديد من المدن والقرى المصرية والعربية.

هذا وتجدر الإشارة الى أن هذه المجموعة النادرة قد أودعت باسم الأرشيدوق راينر في احدى القاعات التى حملت اسم زوجته والتى تم إهداء المجموعة البرديه باسمها فيها بعد وهى ألبرتينا في:

Ostcrrcichische Nation-albibliothck/ Papyrussammlung.

٢- مجموعة شوت راينهارت في معهد البرديات- جامعة هايدلبرج بألمانيا (PSR) :

وهى من المجموعات العالمية الهامة وتأتى في الترتيب بعد مجموعة الأرشيدق راينر، ولقد بدأ فى

جمعها C. Reinhardt وبالتحديد في ٣٠ يونيه سنة ١٨٩٧م، وفي عام ١٩٠٤م وبالتحديد في ١٥ يونيه من هذا العام تمكن الباحث Fr. Schott[٤١]. من جلب مجموعة أخرى من البرديات العربية وتم جمع مجموعة C.Reinhardt مع مجموعة Fr. Schott في مكتبة جامعة هايدلبرج وأطلق عليها - Papyri Schott Rcinhardt ثم نقلها حاليا في معهد خاص أطلق عليه معهد البرديات Institut Fur Papyrologie هذا وتجدر الإشارة الى أن هذه المجموعة النادرة قد تم جمعها من العديد من المدن والقرى المصرية فمنها برديات من الفيوم والأشمونين وأهناسيا وأخميم وجبلين وكوم إشقاو والفسطاط.. وغيرها[٤٢].

جدير بالذكر أيضا أن جروهمان قد قام بدراسة بعض برديات هذه المجموعة وتمكن من ترقيم وتصنيف عدد كبير منها ووصل في مشروعه هذا الى رقم (١٥٤١) وذلك سنة ١٩٣٤م[٤٣]، وقام من بعده أحمد الشامى بمواصلة عملية الترقيم والتصنيف في هذه المجموعة ووصل الى رقم (١٧٩٤) وذلك خلال عامى ١٩٦٢/١٩٦٣م[٤٤].

وبالإضافة لأبحاث ودراسات جروهمان حول هذه المجموعة قام أيضا بعض الباحثين والمستشرقين بدراسات أخرى حولها من بينهم المستشرق كارل هنرى بيكر[٤٥] والبرت ديترش وفارنر ديم وغيرهم.

البرديات فضحت الكثير من أوهام وأكاذيب المستشرقين

ويمكن القول إن مجموعة شوت راينهارت المحفوظة في معهد البرديات بجامعة هايدلبرج وصل عددها الى ثمانية آلاف بردية تقريبا ما بين عربية ويونانية ولاتينية وقبطية.. وغيرها. غالبيتها لم يدرس حتى اليوم.

ومن البرديات النادرة في هذه المجموعة عدد من برديات الوالى قره شريك العبسى ٩٠ - ٩٦هـ/ ٧٠٩ - ٧١٥م التى أرسلها الى عماله على قرية كوم أشقا والقرى والضواحى المجاورة لها مثل أهالى قرية بديدس وأهل منية بربرية[٤٦] وغيرها وهى في واقع الأمر بالغة الأهمية للدارسين في مجال التاريخ والحضارة والنظم الإسلامية.

٣- مجموعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (P.Cair. B.E):

تعتبر هذه المجموعة من المجموعات العالمية النادرة وتكمن أهميتها في أن مجموعة كبيرة منها تعتبر مكملة لوثائق وبرديات أخرى محفوظة في مجموعات أخرى نادرة في كل من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا وانجلترا وغيرها.

ولقد بدىء في جمع هذه المجموعة منذ قرنين من الزمان تقريبا وبالتحديد سنة ١٨٩٦م على يد المستشرق برنارد مورتز[٤٧] - هذا بالإضافة لاقتناء الدار لمجموعة أخرى عن طريق الشراء والإهداء ونتائج الحفائر الأثرية

والمضبوطات التى تم العثور عليها مع تجار الآثار وهواة جمع التحف والآثار التاريخية.

ولقد ذكر بعض الباحثين[٤٨] أن عدد برديات هذه المجموعة قد وصل تقريبا لنحو ستة عشر ألف بردية ووثيقة تاريخية مختلفة العصور ما بين فرعونية ويونانية ولاتينية وقبطية أما المجموعة العربية فتقدر تقريبا بنحو ٤٠٠٠ أربعة آلاف بردية عربية.

لعل أبرز دراسة تمت حول هذه المجموعة هي الدراسة الشاملة القيمة التى قام بها الباحث المستشرق أدولف جروهمان والتى حملت عنوان «البرديات العربية بدار الكتب المصرية» في ١٠ مجلدات صدر منها حتى اليوم ٦ مجلدات والباقى في مرحلة التحقيق والطبع والنشر[٤٩]، ويمكن القول أن الدكتور جروهمان قد تمكن من نشر حوالى ٧٨٠ بردية ووثيقة تاريخية من هذه المجموعة النادرة ونأمل أن تستمر البحوث والدراسات حول هذه المجدوعة وأن يتم وضع جدول زمنى لصيانتها وترميمها ثم تصنيفها وفهرستها حتى تكون في متناول الباحثين[٥٠].

٤ـ مجموعة كارل وسْلي في براغ بجمهورية التشيك:

بدىء في جمع هذه المجموعة النادرة سنة ١٩٠٤م فقد اشتراها المستشرق كارل فسلى من تاجر أرمنى في باريس ويبلغ تعدادها ما يقرب من ٨٢٨٢[٥١] بردية، المجموعة العربية منها تتعدى

البرديات العربية لم يدرس منها الا القليل جدا

١٠٠٠ بردية، وتجدر الإشارة الى أن برديات هذه المجموعة قد حظيت بالعديد من الأبحاث والدراسات على مر العصور السابقة، هذا بالإضافة للزيادات والإضافات التى قام بها بعض الباحثين بغرض تنميتها ومضاعفتها.

ولقد تمكن جروهمان من نشر حوالى ٩٦ نصاً من برديات هذه المجموعة النادرة فيما بين عامى ١٩٣٨ ـ ١٩٤٣م[٥٢] .

هذا وتجدر الإشارة الى أن عدداً كبيرا من برديات هذه المجموعة عبارة عن كشوف وإيصالات جزية وخراج وقوائم حسابية لسلع غذائية ومواد تموينية[٥٣] وغيرها.

جدير بالذكر أيضا أن عدداً كبيرا من وثائق هذه المجموعة كتب على الرق والورق «الكاغد».. بعض منه ينسب الى القرنين ٣ ـ ٤هـ/ ٩ ـ ١٠م هذه المجموعة محفوظة حاليا في مكتبة المعهد الشرقى في مدينة براغ Papyri Oricntales C. Wessely Pragenses.

٥ـ مجموعة جون رايلانذز في مدينة مانشستر في انجلترا

بُدىء في جمع هذه المجموعة سنة ١٨٩٩م ـ تمت زيادتها في عام ١٩٠١م حتى وصلت الى ما يقرب من ستة آلاف (٦٠٠٠) درج ولوحة ومخطوط[٥٤].

وفي عام ١٩٠٩م قام المستشرق مرجليوث بنشر حوالى تسع برديات عربية مختارة من هذه

المجموعة. أعقبه الباحث كروم بنشر حوالى ثمانية نصوص أخرى، أما الدراسة الموسعة حولها فقد قام بها ايضا المستشرق مرجليوث سنة ١٩٣٣م حيث تمكن من اصدار فهرس وصفى لبعض برديات المجموعة نشر فيه ما يقرب من ٤٣٠ بردية[٥٥].

أما جروهمان فيقرر أن مدير مكتبة جون رايلاندز قد أخبره في سبتمبر سنة ١٩٣٧م أثناء انعقاد المؤتمر الدولى الخامس لعلماء البرديات الذى عقد في مدينة أكسفورد ـ بانجلترا أن هناك عددا كبير من البرديات العربية لم يتمكن المستشرق مرجليوث من فهرستها وتصنيفها[٥٦].

وترجع أهمية هذه البرديات الى أنها تنسب إلى الفترة الزمنية المبكرة وخاصة القرون الثلاثة الأولى للهجرة وبعضها عبارة عن إيصالات جزية وخراج وكشوف أهل ذمة وقوائم حرفيين ومكاتبات ديوانية وغيرها[٥٧].

٦ـ مجموعة آن أربر بجامعة ميتشجن بالولايات المتحدة الأمريكية:

في واقع الأمر أن عدد برديات هذه المجموعة لا يصل من حيث الكم العددى للمجموعات السابقة ولكننى أعتقد أنها في حالة ازدياد مستمر بفضل الجهود التى تبذل بين الحين والآخر لاقتناء برديات أخرى إما بطريق الشراء أو التبادل العلمى وخلافه.

ولقد بُدىء في جمع برديات هذه المجموعة أثناء الحرب العالمية فقد ذكر الباحث K. Preisendanz أن رصيد جامعة ميتشجن من البرديات بلغ في شهر يونيه ١٩٣١م نحو ٦٥ بردية عربية نادرة[٥٨]، ويذكر جروهمان أن المستشرق كروم قد أخبره أنه في ١٩٣٢/١٢/١٠م قد تم نقل كميات ضخمة من برديات الأشمونين[٥٩] متجهة نحو جامعة ميتشجن بالولايات المتحدة الأمريكية ولم يعلم عددها حتى اليوم، وهى بلا شك مجموعة قيمة ونادرة ينسب أغلبها الى القرون الثلاثة الأولى للهجرة وهى عبارة عن مكاتبات ديوانية وسير ومغازى ووصفات طبية وعقود بشتى أنواعها وايصالات جزية وخراج وقوائم وكشوف عمال وأهل ذمة[٦٠] وغيرها.

جدير بالذكر أيضا أن برديات هذه المجموعة مازالت في حاجة ماسة الى الدراسة والتحليل والنشر.

٧ـ مجموعات أخرى عالمية متنوعة:

وهناك العديد من المجموعات البردية العربية العالمية المتنوعة لا تصل في مستواها العددى للمجموعات السابق ذكرها، ولكنها ايضا بالغة الأهمية لكون أعداد كبيرة منها يعتبر مكملا لبرديات المجموعات السابقة، هذا بالاضافة الى كون بعضها يُعَدّ نادراً جداً بسبب تقدم فترته الزمنية التى تنسب أحيانا الى عهد الخلفاء الراشدين والعهدين الأموى والعباسى. وغالبية برديات هذه المجموعات لم يدرس حتى اليوم.. من هذه المجموعات برديات محفوظة في:

أ - مكتبة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية جمعها المستشرق برنارد مورتز بداية من عام ١٩٢٩م وهي مجموعة متنوعة ما بين أوراق بردي وورق كاغد[٦١].

ب - مجموعة متحف جامعة بنسلفانيا بدىء في جمعها سنة ١٩٠٢م ثم تزايدت بفضل جهود الباحث W.Max Mueller وغيره من الباحثين ولقد صنع لها المستشرق ليفي ديلافيدا Levi Della Vida فهرساً مفصلا. نشرته جامعة بنسلفانيا[٦٢].

جـ - مجموعة متحف برلين وهي في الواقع مجموعة ضخمة ومتنوعة ما بين برديات وأوراق كاغد تنسب لعهود زمنية مختلفة.

د - مجموعة متحف اللوفر في باريس بفرنسا وهي تقريبا حوالى (٣٠٦) بردية عربية نادرة [٦٣].

هـ - مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة - أغلبها من بعض الحفائر الأثرية في الفسطاط والوجه القبلي وغيرها. أيضا يقتني المتحف مجموعة خاصة مهداة من الدكتور هنرى أمين عوض - محفوظة باسمه في قاعة المخطوطات.

و - مجموعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة - لم يعلم عددها.

ز - مجموعة ناصر الخليلى باكسفورد في إنجلترا، وصل عددها التقريبي (٤٠٠) بردية عربية[٦٤].

وغيرها من المجموعات العالمية، هذا بالإضافة للمجموعات الخاصة في مصر والوطن العربى وأوروبا وأمريكا ■

الهوامش :

(١) أنظر فى ذلك: فيفنى تاكهلم ومحمد دراز نباتات مصر - نشرة كلية العلوم - جامعة القاهرة رقم ٢٨ طبعة ١٩٥٠م ج٢ - ص٣ ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية - طبعة القاهرة ١٩٢١هـ ج١ ص ٨٦.

(٢) هذه البردية محفوظة حالياً في مجموعة الأرشيدوق راينر في ڤيينا بالنمسا برقم سجل (PERF. No. 558).

Grohmann (A),: Apercu de Papyrologie arabe. etude de papyrologie Societe Royale Egyptienne de papyrologie. Tome. I.Le Caire. 1932. P.28

(٣) أنظر في ذلك ما رواه (بن تغرى بردى) حيث ذكر أن عمرو بن العاص قد استأذن الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - في انفاق ثلث خراج مصر لتطهير ترعها وبناء وصيانة جسورها والعناية بحاصلاتها الزراعية ومنها بلا شك نبات البردى الذى كان يصدر ورقاً للعديد من الدول المجاورة قبل الاسلام.

بن تغرى بردى (أبو المحاسن جمال الدين): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - طبع وزارة الثقافة بمصر سنة ١٩٦٣ - ج١ ص٣٣.

(٤) أنظر في ذلك: Grohmann (A): From the World of Arabie Papyri, Cairo. 1952. P.31.

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت٨٢١هـ/ ١٤٢١م صبح الأعشى في صناعة الانشا - المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩١٤م - ج٣ ص ٣٠٧، المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٧م المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - طبع القاهرة ١٢٧٠هـ. ج١، ص٤٣.

(٥) سعيد مغاورى محمد، الألقاب والحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية - دراسة أثرية حضارية رسالة

دكتوراه (تحت الطبع) كلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٤م، ص١٥ - ٣٨.

(٦) تعتبر هذه المجموعة هي أكبر مجموعة بردى في العالم - وغالبية بردياتها لم تدرس حتى اليوم.

أنظر فى ذلك: Karabacek. j. Der Papyrus fund Vomel Fayum. Wien 1883. P.5.

عائشة عبد الرحمن: نخائر البردى في مكتبة فيينا (البرتينا)، موسكو ١٩٦٦م ص ٥ - ١١.

(٧) سعيد مغاورى محمد، المرجع السابق ص١٦.

(٨) حسن رجب، البردى سلسلة إقرأ العدد رقم (٤٦٣) ابريل ١٩٨١م، دار المعارف بمصر، ص ١١٨.

(٩) قمت بزيارة هذا المعهد والجامعة في صيف عام ١٩٩٢م والتقيت بمديرة المعهد الدكتورة باريل كرامر والبروفيسور الدكتور رئيف جورج خورى الأستاذ بالجامعة والمشرف على برديات أوربا.

(١٠) هذه اللجنة الدولية لها مؤتمر دولي يعقد كل ٣ سنوات.

(١١) أنظر قائمة المراجع الأجنبية وخاصة فيما يتعلق بمؤلفات وأبحاث ومحاضرات الدكتور أدولف جروهمان. سعيد مغاورى محمد: المرجع السابق ص ٩٩٠ - ٩٩١.

(١٢) أحمد فؤاد سيد: عدالة الحكم الاسلامى لمصر في عصر الولاه (١٨هـ - ٢٥٤هـ) ومظاهر التسامح الدينى بها، في ضوء أوراق البردى العربية - مركز الدراسات البردية - جامعة عين شمس.

(١٣) ساويرس بن المقفع: تاريخ حياة البطارقة - توجد منه ٣ نسخ محفوظة إحداها بالمتحف البريطانى بلندن والثانية بالمكتبة الأهلية بباريس والثالثة في حيازة مرقص سميكه باشا بالقاهرة.

(١٤) انظر في ذلك أيضاً ما كتبته الباحثة الأمريكية نابيا أبوت حيث قالت: «إن معظم المراجع التى تمدنا بمعلومات عن الأمويين ونظام حكمهم كتبها أناس أعداء لهم مثل العباسيين، والمسيحيين من أمثال سويرس بن المقفع».

Nabia Abbott:, The Kurrah Papyri From Aphrodito in The Oriental Institute In Chicago University, 1938. P.57.

(١٥) هذه البردية سبق الإشارة إليها وهى محفوظه حاليا في مكتبة فيينا القومية بالنمسا برقم سجل (٥٥٨).

Grohmann: Apercu. P.28.

(١٦) عبد الله بن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق أحمد عبيد، عالم الكتب - الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م - ص١٣٢.

(١٧) المصدر السابق ج١، ص ٢١٧.

(١٨) ابراهيم أحمد العدوى: ولاية قرة بن شريك على مصر في ضوء أوراق البردى - المجلة التاريخية المصرية - مجلد ١١ سنة ١٩٦٣م. ص ٤٩ - ٥١.

(١٩) Chronique de Jean: Eveque de Nikiou Tescle Ethiopien Publile et Traduit par M.H.La Tenderg (Notices Etesctraits des Manuscrits de la Bibliotheques National et autres Bibliotheques) Paris - 1883. P.585.

(٢٠) عائشة عبد الرحمن: المرجع السابق ص ٢٢.

(٢١) Silvestre de. Sacy: Journal de Savants - Paris. 1825. PP. 462 - 473.

(٢٢) انظر الخطابات المتبادلة بين تجار الآثار وهواة جمع البرديات العربية الأوربيين:

Hunger. (H) Aus der Vorgeschichte der Papyrussammlung der Osterreichischen Nationalbibliothck. Briefe Theodor Grafs. J.V. Karabacek Erzherzog Rainer. Wien 1962.

(٢٣) عائشة عبد الرحمن: المرجع السابق ص ٢٢.

(٢٤) عبد المنعم ماجد: - علم البردى العربى لأول مره - بحث ضمن أعمال ندوة الدراسات البردية - مركز الدراسات البردية - جامعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٨٣م، ص ٣.

(٢٥) Josef von Karabacek: Die Papyrus Erzherzog Rainer - Wien. 1894.

(٢٦) الفيوم إحدى مدن الصعيد الأدنى بمصر - ذكرها

ابن عبد الحكم في القرنين ٢ - ٣هـ/ ٨ - ٩م بقوله: (إن الفيوم في وسط مصر) وذكرها المؤرخ البلاذرى بقوله: (الفيوم بلد مشهوره في مصر) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها - نشر هنرى ماسيه - مطبعة مجلس المعارف الفرنساوى - القاهرة ١٩١٤م، ص ١٢ البلاذرى (أبو الحسن أحمد): فتوح البلدان - طبع القاهرة سنة ١٩٠١م - ص ٧٥٨.

(٢٧) أهناسيا - مدينة تقع في الصعيد الأدنى بمصر وبالتحديد في محافظة بنى سويف - ذكرها المؤرخ المقريزى بقوله (أهناسيا كوره من كور الصعيد) - انظر: المقريزى: المصدر السابق ج١، ص ٢٣٧ - طبعة دار صادر ببيروت، ياقوت (أبو عبد الله ياقوت الحموى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م: معجم البلدان - ط بيروت ١٩٧٩م - ج٢ - ص ٨٤.

(٢٨) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص ٤.

(٢٩) Karahacek.J: Der Papyrus Fund von el Fayum. Wien. 1883.

(٣٠) Karabacek. Fuhrer durch die Papyrus Erzheizog Rainer Wien - 1894.

(٣١) جدير بالذكر أن مجموعة الأرشيدوق راينر تضم في خزائنها مجموعة كبيرة أيضا من البرديات الفرعونية واليونانية واللاتينية والقبطية بالاضافة الى مجموعة البرديات العربية.

(٣٢) انظر الملحق المرفق بهذه الدراسة.

(٣٣) عائشة عبد الرحمن: المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٢.

(٣٤) Grohmann. A:, Protokollen Herausgaben Wien.1923.

(٣٥) Grohmann, A:, Allgemeine Einfuhrung in die Arabischen Papyri

(٣٦) ذكرت الباحثة عائشه عبد الرحمن في تقريرها السابق أن مجموعة الأرشيدوق راينر تقدر بنحو (١٠٠٠٠٠) مائة ألف بردية عربية ووثيقة تاريخية متنوعة من فرعونية ويونانية ولاتينية وقبطية.. وغيرها.. عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ٤٨ - ٤٩.

(٣٧) Grohmann, A:, Einfuhrung und Chrestomathie zur Arabischen Papyrus Kunde. Pragh. 1995.

(٣٨) Hunger. Haus der Vorgeschiehte der Papyrussammlung der Osterrichischen Nationalbibiothek. Briefe Theoder Grafs. 1. V Karabacek Erzherzog Rainer. Wien 1962.

(٣٩) انظر جانبا من الخطابات التى تبودلت بين التاجر جراف والمستشرق كارابا تشيك في تقرير عائشة عبد الرحمن: المرجع السابق ص ٣٨ - ٤١.

(٤٠) من العبارات الهامة التى قالها الأرشيدوق راينر لصديقه جوزيف كارابا تشيك في ١٨٨٤/٦/١٦م بقوله: «الأستاذ العزيز... الأيام القليلة التى أمضيتها في ڤيينا لم تتح لى فرصة زيارتك في مكان عملك.. يسعدنى حقا العثور على برديات جديدة باللغة الاغريقية أو الرومانية أو العربية .. أتمنى أن يتم بنجاح فك أوراق كتاب البردى الذى حدثتنى عنه كى تتاح لي قراءته كله» - عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ٤٣ - ٤٤.

(٤١) عبد العزيز الدالي: البرديات العربية - مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٣م ص ٧٨ - ٧٩.

(٤٢) عبد العزيز الدالى: المرجع السابق ص ٧٨ - ٧٩.

(٤٣) سعيد مغاورى محمد: المرجع السابق ص ٤١.

(٤٤) أحمد الشامى: دراسة في أوراق البردى العربي - دراسة تاريخية وثائقية كلية الآداب - جامعة الزقازيق سنة ١٩٨٣م ص ٦.

(٤٥) كارل هنرى بيكر - مستشرق ألمانى عمل مديراً لجامعة هايد لبرج ثم وزيراً للمعارف بألمانيا وهو أول من نشر نصوصاً برديه من هذه المجموعة وذلك سنة ١٩٠٦م.

C.H. Becker: Arabische Papyri Des Aphrodito Fundes Zeitschrift Fur Assyrologie und verwandte Gebiete B.x.x.1906

(٤٦) سعيد مغاورى محمد: المرجع السابق ص ١٦٣.

(٤٧) عمل المستشرق برنارد مورتز مديراً لدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة في الفترة من ١٨٩٦ - ١٩١١م - تمكن خلال هذه الفترة من جمع كميات كبيرة من هذه البرديات بين أعوام ١٨٩٩ - ١٩٠٥ نشر بعضها سنة ١٩٠٥م في كتابه:

B. Moritz: Arabic Paleography. Acollection of Aradic texts From the First century of the Hidjra Till The year 1000 publication.

(٤٨) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص ٣.

(٤٩) سعيد مغاورى محمد: المرجع السابق ص ٤٥ حاشية ١.

(٥٠) عبد العزيز الدالى: المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠.

(٥١) نشر المجلد الأول بدار الكتب المصرية سنة ١٩٣٤م، ترجمة حسن ابراهيم حسن وطبع بدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٥٥م.

نشر المجلد الثاني بدار الكتب المصرية سنة ١٩٣٦م، ترجمة حسن ابراهيم حسن وطبع بدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٥٥م.

نشر المجلد الثالث بدار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨م، ترجمة حسن ابراهيم حسن وطبع بدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.

نشر المجلد الرابع بدار الكتب المصرية سنة ١٩٦٧م، ترجمة حسن ابراهيم حسن وطبع بدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٦٨م.

نشر المجلد الخامس بدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥م، ترجمة عبد الحميد حسن وطبع بدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٦٨م.

نشر المجلد السادس بدار الكتب المصرية سنة ١٩٦٢م، ترجمة عبد العزيز الدالى وطبع بدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.

(٥٢) Grohmann. A,. Arabisehe papyri aus der Sammlung Carl Wessely in Orientalischen Institut- zu Prag 1938 - 1943.

(٥٣) سعيد مغاورى محمد: المرجع السابق - كتالوج اللوحات - لوحة رقم (٥٤) بردية تنسب للقرن ٣هـ/٩م برقم سجل AR. 1168 ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٥٤) عبد العزيز الدالى: المرجع السابق ص ٩٣.

(٥٥) Margoliouth (D.S): Arabic papyri of the Bodleian library Reproduced by the Collotype process With Transcription and Trans. lation London. 1893.

(٥٦) عبد العزيز الدالى: المرجع السابق ص ٩٣ - ٩٤.

(٥٧) من بينها بردية مؤرخة بعام ١٨١هـ/ ٨١١م محفوظة برقم سجل (old, No. 141 ` Dvi - 12)

د. سعيد مغاورى محمد: المرجع السابق (كتالوج اللوحات) لوحة رقم ٢ ص ٧٠ - ٧١.

(٥٨) عبد العزيز الدالى، المرجع السابق ص ٧١.

(٥٩) الأشمونين، إحدى مدن محافظة المنيا في الصعيد الأوسط بمصر - ذكرها ابن ظهيره بقوله: «وما يعمل بها من الكتاب والأزر يحمل الى سائر الآفاق»، أنظر ابن ظهيره (أبو اسحاق برهان الدين) الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩م، ص ٦٢.

(٦٠) نشرت الباحثة نابيا أبوت بعض برديات هذه المجموعة في دراستها: Abbott (Nabia): Studies in Arabic papyri - Chicago 1995.

(٦١) Abbott (Nabia) Studies - Chicago 1955.

(٦٢) عبد العزيز الدالى: المرجع السابق ص ٧٢ - ٧٣.

(٦٣) أنظر البردية رقم (٦٨) المؤرخة بالقرن ٣هـ/٩م والتى تحمل رقم سجل (Papyrus Louver, inv. Jaen David 52) - سعيد مغاورى: المرجع السابق - كتالوج اللوحات - لوحة رقم (٦٨) ص ١٧٠ - ١٧١.

(٦٤) أنظر في ذلك :

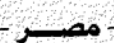
Geoffrey Khan. Arabic Papyri. Selected Matcrial. From The Khalili Collection Oxford University. 1992.



موقف اليهودية التلمودية من الأغيار

□ إن مسلسل الفكر العنصرى، الذى صاغه أحبار اليهود وحاخاماتهم، في التلمود - الذى يمثل الشروح والتعليقات على العهد القديم.. والذى هو ديوان الثقافة المكونة للشخصية اليهودية - إن مسلسل الفكر العنصرى في هذا التلمود يكاد أن يتجاوز حدود تصديق البشر العاديين.. وبدون نماذج من نصوص هذا الفكر العنصرى، لا يمكن فهم الممارسات التى يمارسها الصهاينة اليوم على أرض فلسطين.. فالإبادة التي يشهدها القرن الواحد والعشرون.. هى التطبيق الصهيونى لنصوص ووصايا هذا التلمود.. ففيه حديث عن:

أ. د. محمد عمارة


- مصـــر -

**** إبادة الأغيار في أرض إسرائيل :**

«إن وصايا مثل: «لن تترك حيا أي شيء يتنفس» [تثنية: ٢٠، ١٦] - قد تحولت إلى «محاضرة تربوية» للجنود الاسرائيليين الذين يستدعون إلى الخدمة في قطاع غزة، يقال لهم فيها: «إن الفلسطينيين «مثل العماليق»٠٠ ولقد استشهد حاخام إسرائيلي مرموق - الحاخام «شاؤول يسرائيلي» - بالآيات التى تحض على إبادة الميديين - (سفر الأعداد: ٣١، ١٣ - ٢٠) وخاصة الآية ١٧: «والآن اقتل كل ذكر بين الصغار، وكل امرأة عرفت رجلا ضاجعها» (لاحتمال حملها جنينا) - لتبرير مجزرة «قبية» ٠٠ وحقق هذا الرأى والاستشهاد انتشارا واسعا في الجيش الإسرائيلى»[١].

«فالمبدأ التلمودى - بالنسبة لغير اليهود - ينص على عدم إنقاذهم، رغم تجريم قتلهم صراحة. ويعبّر التلمود نفسه عن هذا المبدأ على النحو التالى: «لا يجب إخراج غير اليهود من بئر، أو دفعهم (في البئر)».

ويفسر موسى بن ميمون (٥٢٩ - ٦٠١هـ - ١١٣٥ - ١٢٠٤م) - ذلك الذى فتحت الدولة الإسلامية أمامه الأبواب ليكون طبيب صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ/ ١١٣٧ - ١١٩٣م)٠٠ وفتحت أمامه الحضارة الإسلامية الأبواب ليكون واحدا من فلاسفتها - يفسر موسى بن ميمون هذا المبدأ التلمودى في التلخيص الذى وضعه للتلمود، والذى أصبح المرجع المعتمد لليهودية في الشريعة التلمودية٠٠ فيقول: «يجب ألا نتسبب بقتل غير اليهود، الذين لسنا في حالة حرب معهم، ولكن يحظر إنقاذ حياتهم إذا كانوا على مشارف الموت»[٢].

فالإبادة لغير اليهود واجبة في حالة الحرب - حتى ولو كانوا نساء أو أطفالا أو أناسا طيبين غير محاربين٠٠ أما في حالة السلم فمحظور إنقاذ حياة أى من هؤلاء الأغيار إذا كانوا على مشارف الموت.

**** علاج المريض اليهودي ٠٠ وتحريم علاج المريض غير اليهودى:**

«لأن الشريعة - التلمودية - تقول: «لا تهمل دم أخيك. وغير اليهودى ليس أخا»٠٠ لذلك، يحظر على الطبيب اليهودى، خصوصا، معالجة غير اليهودى٠٠ فعلاجه حرام، حتى لو كان مقابل أجر٠٠ ولكن إذا كنت تخشاه أو تخشى عداوته فعالجه بأجر، ويحرم عليك القيام بذلك دون أجر».

«ومن المسموح تجريب عقار على وثنى - (أى غير يهودى) - إذا كان ذلك يخدم غرضا معينا»[٣].

«ولقد أفتى الحاخام «حاتام سوفير» - حاخام «برسبرغ» الشهير - (براتسلافيا) - المتوفى سنة ١٨٣٢م - «بأن الأغيار الوثنيين - من المسلمين والمسيحيين - الذين يعبدون آلهة أخرى، يجب عدم دفعهم الى البئر أو إخراجهم منه، بل ويشبهون العماليق أيضا، لذلك فإن المبدأ التلمودى

القتل المنظم للأطفال والنساء والشباب.. وتدمير المساكن .. كلها تطبيق عملي لتوراة اليهود

الداعى لعدم زيادة نسل العماليق ينطبق عليهم. على هذا الأساس، لا يجوز، من حيث المبدأ ، مساعدتهم ولكن يجوز علاج الأغيار ومساعدتهم خلال المخاض إذا كان لديهم أطباء وقابلات من بنى جلدتهم، ويستطيعون الاستعانة بهم بدلا من اليهود»[٤].

«ولقد صيغت هذه المبادىء الشرعية - الهالاكيه - في كتاب صغير - بالانجليزية - عنوانه (الشريعة الطبية اليهودية) - نشرته المؤسسة الاسرائيلية المرموقة «موساد حاراف كوك»، وذلك استنادا الى فتوى الحاخام «اليعازر يهودا والدينبرغ» كبير قضاة محكمة الناحية القضائية في القدس - وفيه:

«بالنسبة للأغيار - حسب المبادىء المنصوص عليها في التلمود ومفاهيم الشريعة اليهودية - يحظر انتهاك السبت لإنقاذ حياة مريض غير يهودى في حالة بالغة الخطر، ويحظر توليد المرأة غير اليهودية يوم السبت».

ويقول موسى بن ميمون - الذى تمتع بأمن الحضارة الاسلامية - «يجب عدم مساعدة المرأة غير اليهودية على وضع يوم السبت، حتى مقابل أجر، ويجب ألا يخشى الإنسان اليهودى العداوة، حتى لو لم تشمل هذه المساعدة أى انتهاك للسبت».

وتفيد شهادة «شلوميت ألونى» - عضو الكنيست الإسرائيلية - أن الدعاية قد ازدادت في اسرائيل بصورة ملحوظة قبل اجتياح اسرائيل للبنان سنة ١٩٧٨م لحث الأطباء العسكريين والممرضين على عدم تقديم الاسعافات الطبية «للجرحى الأغيار».

غير اليهودي - في شرعتهم - لا يعالج ولا تنقذ حياته

«ولقد استثنى الحاخام «يوئيل سركيس» - أحد أهم حاخامات بواندا - في القرن السابع عشر - ومؤلف كتاب «بيت حداش» - استثنى «علاج العمد وصغار النبلاء والارستقراطيين يوم السبت خوفا من إثارة عداوتهم التى تحمل نوعا من الخطر. ولكن، في حالات أخرى خاصة عندما يسهل خداع غير اليهودى بالمراوغة ، فإن الطبيب اليهودى «يرتكب خطيئة لا تغتفر» إذا عالجه يوم السبت».

أما ابن ميمون، الذى عاش في أمن وأمان الحضارة الاسلامية والدولة الإسلامية فلقد حرم ذلك بإطلاق غير عابىء بالعداوة.. لأنها كانت غير موجودة في مجتمع الإسلام والمسلمين[٥].

** العفة مع المرأة اليهودية.. والزنا بنساء الأغيار:

في دائرة المعارف التلمودية « من يقيم علاقة جنسية مع زوجة غير اليهودي لا يتعرض لعقوبة الموت لأنه مكتوب «زوجة أخيك» لا «زوجة الغريب».

«وإذا ضاجع اليهودى امرأة غير يهودية، سواء كانت ابنة ثلاث سنين أو امرأة بالغة، سواء كانت متزوجة أم عزباء.. يجب قتلها كما هى الحال بالنسبة للبهيمة، لأن اليهودى يتعرض للمشاكل بسببها.. ومن المفترض أن جميع غير اليهوديات عاهرات»[٦].

** تحريم سرقة اليهودى .. واستحلال سرقة الأغيار :

«السطو (مع استخدام العنف) محظور بشدة

إذا كان الضحية يهوديا، أما السطو على غير اليهود فغير محظور إذا كانوا تحت حكمنا، ويحظر عندما لا يكون الأغيار تحت حكمنا»[٧].

«وإذا عثر اليهودي على شيء يحتمل أن يكون صاحبه يهوديا، فإنه يحض على بذل جهد كبير لإعادته، وذلك بإعلان العثور عليه على الملأ. خلافا لذلك، يجيز التلمود والمراجع الحاخامية المبكرة لليهودي الذي يعثر على شيء فقده غير اليهودي الاحتفاظ به لنفسه، بل ويمنعه، فعليا، من إعادته لصاحبه»[٨].

**** تحريم النصب والخداع لليهودي .. وإباحة ذلك مع الأغيار:**

«لا يجوز النصب على اليهودي، سواء من خلال شراء أو بيع أشياء بسعر غير معقول. لكن ذلك لا ينطبق على غير اليهودي، لأنه مكتوب: «لا يسلب الإنسان شقيقه».

«وتعتبر ممارسة أي نوع من الخداع لليهودي من الكبائر، أما لغير اليهود فلا يجوز ممارسة الخداع بطريقة مباشرة. ويسمح بالخداع غير المباشر، إلا إذا نشأ احتمال أن يتسبب بإثارة العداء لليهود، أو إهانة الديانة اليهودية»[٩].

**** خداع الرب من جانب الحاخامات:**

«وخداع الرب، في المقام الأول، من جانب الحاخامات الذين يتصورون أنفسم أكثر مهارة منه.. فإله اليهودية الكلاسيكية أقرب الى «جوبينز»، الإله الروماني الذي خدع أيضا من جانب عابديه»[١٠].

وصدق الله العظيم إذ يقول في قرآنه الكريم:

﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون * الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ (البقرة/٨ ـ ١٦).

أموال وممتلكات وأعراض غير اليهود، أخذها والاعتداء عليها ليس جريمة في تلمودهم

**** تحريم الربا بين اليهود .. ووجوبه عند إقراض الأغيار:**

«إن تقديم قرض بلا فائدة ليهودي يعتبر عملا من أعمال الإحسان، ولكن في حالة المقترض غير اليهودي هناك إلزام باستخلاص أكبر قدر ممكن من الفائدة».

«وفي (كتاب التربية) ـ وهو من أوسع الكتب انتشارا في اسرائيل ـ بالمدخل ٥٤٥:

«إننا نؤمر بأخذ الفائدة من غير اليهود عندما نقرضهم المال، ولا يجب أن نقرضهم دون فائدة «وأساس هذا الالتزام الدينى أننا يجب ألا نقوم بأى عمل من أعمال الشفقة إلا تجاه الناس الذين يعرفون الرب ويعبدونه، وعندما نحجم عن أعمال الشفقة تجاه بقية الناس، ونقدمها فقط للفئة الأولى، فهذا اختبار من الرب.. وإن ثواب الرب لنا عندما نحجب الشفقة يساوى ثوابه لنا عندما نقوم بها تجاه أبناء شعبنا»[١١].

**** تحريم بيع العقارات - في أرض إسرائيل - لغير اليهود:**

«في أرض اسرائيل - التى تشمل فلسطين وسيناء والأردن ولبنان وسوريا وقبرص وأجزاء من تركيا - تمنع الهالاكاه - الشريعة - اليهودى من بيع العقارات غير المنقولة - كالحقول والبيوت للأغيار.. وتسمح بتأجير بيت في أرض إسرائيل لغير اليهودى، بشروط، منها:

أولا: ألا يستخدم للسكنى، ولكن لأغراض أخرى، مثل التخزين.

ثانيا: ألا تؤجر ثلاثة بيوت أو أكثر من المجاورة للبيت المعنى.

ثالثا: أن يكون اليهودي في المنفى.

رابعا: أن يكون الأغيار أقوى من اليهود.

وذلك حتى تكون إقامة الأغيار في أرض اسرائيل مؤقتة.. ولأنه لا يجوز السماح ببقاء وثنى واحد بيننا، حتى لو كانت إقامته مؤقته، أو كان تاجرا جوّالا.. لأنه مكتوب: «لن يسكنوا أرضك» (سفر الخروج: ٢٣، ٣٣)[١٢].

**** تحريم ولاية الأغيار على اليهود:**

«حسب الهالاكاه - الشريعة - يجب ألا يسمح اليهود (إذا كان باستطاعتهم) لغير اليهودى بتسنم أي منصب يمارس منه سلطة مهما كانت ضئيلة على اليهود»[١٣].

**** اسقاط أهلية الأغيار :**

«ويفترض بغير اليهود أنهم يكذبون بالفطرة، ولا يحق لهم الإدلاء بشهادتهم أمام المحاكم»[١٤].

**** تحريم مهاداة الأغيار :**

«يمنع التلمود تقديم هدية لغير اليهودى. لكن مراجع اليهودية الكلاسيكية التفت على هذه المسألة، لأن من الشائع تبادل الهدايا بين رجال الأعمال، ولذلك وضعت قاعدة فحواها: أن اليهودى قد يقدم هدية لأحد معارف غير اليهود شريطة ألا يعتبرها هدية، بل استثمارا ينتظر أن يدر عليه مردودا من نوع ما»[١٥].

الكذب.. والخداع.. والمكر والتقية، كلها وسائل تبرر الغاية عند اليهود

**** لعن الأغيار - لأنهم كلاب - والدعاء عليهم بالدمار:**

«إذا شاهد اليهودى المتدين حشدا من اليهود ينبغى أن يشكر الله، أما إذا

شاهد حشدا من غير اليهود فينبغى أن يلعنهم.. ويحض التلمود اليهودى الذى يمر بجوار بناية مأهولة غير يهودية أن يدعو الرب لتدميرها، وإذا كانت مدمرة، فينبغى أن يشكر رب الانتقام.. ولقد أصبح من العادات الشعبية المألوفة البصق ثلاث مرات عند مشاهدة كنيسة أو صليب، مع ذكر الآيات التوراتية التى تشتم الأغيار «فلتحتقرهم كليا وتمقتهم» (سفر التثنية: ٧، ٢٦).. كما لا تجيز التعاليم الثناء على غير اليهود أو على أعمالهم، إلا إذا أسفر ذلك عن ثناء أكبر على اليهود والأشياء اليهودية.. وبعد عودة الكاتب «عجنون» من «استوكهولم» ـ وتسلمه جائزة نوبل في الآداب ـ أثنى ـ في مقابلة مع راديو اسرائيل ـ على الأكاديمية السويدية، لكنه سارع للقول: «لم أنس بأنه لا يجوز الثناء على الأغيار، ولكن يوجد الآن سبب خاص لثنائي عليهم».

وتحظر مشاركة اليهود في الاحتفالات الشعبية لغير اليهود، إلا إذا كان الامتناع يثير العداوة، وفي هذه الحالة لا يسمح إلا بإبداء «أدنى حد ممكن» من الابتهاج.. وتمنع إقامة صداقة إنسانية بين اليهودي وغير اليهودي.

«ويحظر على اليهودى المتدين شرب أى نبيذ شارك في إعداده غير اليهود بأى طريقة كانت، كما أن النبيذ في زجاجة مفتوحة، حتى لو كان من صنع اليهود، يصبح محظوراً إذا لمس غير اليهودى الزجاجة أو مرّ بيده فوقها.. وإذ لمس المسيحى

كل الجنس البشري خلق لخدمة اليهود.. انهم شعب الله المختار

زجاجة النبيذ ينبغى سكبها على الأرض، أما إذا لمسها المسلم فيمكن بيعها أو تقديمها كهدية، وفي الحالتين يحظر على اليهودى شربها.. وينطبق ذلك أيضا على الملحدين غير اليهود، لكنه لا ينطبق على الملحدين اليهود..».

«وكلمة «نفس» تعنى اليهودى، ويستثنى منها غير اليهود والكلاب صراحة.. ويتعلم اليهودى الأرثوذكسى منذ شبابه الباكر، من خلال دراساته المقدسة، أن غير اليهود يقارنون بالكلاب، وأن الثناء عليهم خطيئة»[١٦] ■

الهوامش :

(١) اسرائيل شاحاك (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ١٦٥، ١٦٦، طبعة القاهرة ١٩٩٤م.
(٢) المصدر السابق ص ١٤١.
(٣) المصدر السابق ص ١٤٢، ١٤٣.
(٤) المصدر السابق ص ١٥٠.
(٥) المصدر السابق ص ١٥٣، ٤٠، ٤١، ١٤٦، ١٤٧.
(٦) المصدر السابق ص ١٥٦، ١٥٧.
(٧) المصدر السابق ص ١٦٢.
(٨) المصدر السابق ص ١٦٠.
(٩) المصدر السابق ص ١٦١.
(١٠) المصدر السابق ص ٧٨، ٧٩.
(١١) المصدر السابق ص ١٦٠، ١٧٣.
(١٢) المصدر السابق ص ١٦٣، ١٦٤.
(١٣) المصدر السابق ص ١٥٧.
(١٤) المصدر السابق ص ١٥٨.
(١٥) المصدر السابق ص ١٥٩.
(١٦) المصدر السابق ص ١٦٨ ـ ١٧١.





.. و شجن

ديوان شعر : ١٣٢ صفحة
الشاعر / محمد سراج خراز
الناشر / المكتبة الصغيرة

☐ *الشجن حين يغني .. فإنه يأتي بكائي النغم .. حزين النبرات .. ثر العبرات .. وشاعرنا خراز غَنَّى على قيثارة شجنه فأشجانا عبر رحلتنا الشاعرية معه.*

ستأتي بداية مسيرتنا معه من خلال بابه الأول « وللروح جانب » .. حيث يقف خاشعاً مبهرا أمام الكعبة المشرفة:

رمز الخلود .. وكعبة الإسلام
كم في الورى لك من جلال سام
يهوي البناء اذا تقادم عهده
وأراك خالدة على الأيام..
في كل عام حول بابك وقفة
للناس من عُرب ومن اعجام
فإذا الحجيج توافدت افواجهم
وتزاحمت في البيت أي زحام

ويمضي في شوقه الروحاني يستلهم ايمانه شعراً .. وشعوراً متدفقاً.

الله اكبر كم أراد بك الأذى
قوم .. فما ظفروا بأي مرام
في هزم أبرهة وخذل جيوشه
عظة الدهور .. وعبرة الأعوام

وكلمة «هزم» ليست خطأ .. وإن كان يوحى إليَّ أن كلمة «دحر» اكثر تقبلا على الأقل من واقع الجرس الموسيقى..

وعن «الحج» تأتي مقطوعته الثانية:

الله اكبر ليس الحج غير يد
لله تجمع إخوانا .. وأرحاما

وأرحـام هـذه بطبـيـعـتـهـا لا تـخـرج عن دائرة الاخـوان في مـفـهـومـهـا الواسع.. وكنت أود لو أن اتسـاع الدائرة بالنسبة لمن يأمون البيت كانت اكثر انفسـاحـاً في تصويره.. ولو أنه أحل كلمة «أقـواما» بدلا من أرحاماً لشموليتها . وسعة دائرتها.

وعبر بوابة شعره الثانية نقف مع الوطنيات .. حيث العروبة .. والوطن.

وطني . لا تحـسـبني وانيـاً
عن مـعـاليك اذا الغـيـر ونى
طالما أوليـتـني من منن
انا لمن اجـحـد تلك المننا
أنا إن يجعل سـوائي مـاله
ثمناً .. أجـعل حـياتي ثمنا

والشطران الأخيران على ما أحسب مـهـتزان بعض الشيء .. ومـرتبكان .. ولو جـاءا على النحـو التالي:

أنا إن قـدم غـيري مـاله
ثمنـاً .. ان حـيـاتي الثـمنا..

ويمضي يستعرض نشأته على أرضه..

فـعلى أرضك كـانت نشـأتي
ولمثلي دونـهـا يحلو المغنا
أي أرض .. والدجى منتـشـر
لاح منـهـا للورى ذاك السنا

وأحسب ان الشطر الثالث يحـتـاج الى عـلامـة استفهام (؟) أو تعجب (!) وفق ما يعنيه الشاعر.

وعن «فلسطين» الجرح الغائر في جسد امتـه يقول شاعرنا «خراز».

أيها المسلمون سيروا الى الحرب
شيـوخـاً مـستبـسلين .. ومُردا

«وكلمـة» مـردا .. يشـيـر بهـا الى الشـبـاب .. الا



سعد البواردي

- الرياض -

انهـا جافة بعض الشيء.. ويمكن اسـتبدالها بكلمـة «وُلدا» جمع أولاد.

وحـدوا من صفـوفكم .. وأعـدوا
مـا اسـتطعـتم .. إن العـدو أعـد

رائع بيته في تصويره .. وصدقه ..

في فلسطين .. أدمع .. ودمـاء
تصف العين انهـا البحـر مـدا
وقلوب تفـيض همـاً .. وغـمـا
وعيون مـقروحـة الجفن شـهدا

وأمـام المحراب يتناهى الى اسمـاعنا صـوت «ابتهال»:

أيا عـالما كنه هذا الوجـود
وقـد أخطأته سـهـام الرمـاه
ويا من احـاط بأسـرار مـا
وراء الوجـود.. ومـا قـد عـداه
دعـوناك دعـوة ذي كـربة
دهتـه الخطوب .. وأوهت قـواه
رمـتنا الحـروب بسـبع شـداد
نشـرن الأسى .. وطوين الرفـاه

وكلمـة «طوين الرفـاه» .. اشـارة منه الى استنزاف النمـاء.. والخير .. إلا أنهـا جـاءت غـيـر معبرة بما فيه الكفاية.. وحسبه ما دام يتعايش مع الأسى أن يورده على النحو التالي:

نشـرن الأسى .. وشـقـقن الشفـاه

ونتـجـاوز مـقطوعتـه «تعارف» الى مـا بعدها من

أغنيات حيث تنفرج أمام خطانا البوابة الثالثة لديوان شعره

حيث لا نقطف معه (زهرة) كما تمنى .

يا زهرة كنت تعـــهــــدتهـــا
في ناضــر من غــصنهـا الأملد
غنيـتـهــا شـعـري وأرويتــهـا
حــبي ونجـوى طرفي المســهـد
حــتى اذا اكـمـامـهـا فـتـحت
وأوشكت تجـــتنيـــهـا يدي

ويأتي شطره الأخير غير مستقيم وزناً .. ولو جاء على النحو التالى لكان اكثر استقامه:

وأوشكت تجني ثـمـــاراً يدي
ولكن هل امكن له جَنْيُــهـــا:
عـــاجلـهـــا في غـــفلة طائر
وعـــاد في المنقـــار حلم الغــد

واعتقد أن كلمة (ضاع) الصق وصفا من كلمة (عاد).

والحـــيـــاة حلم .. وواقع .. ترى بماذا حلم شاعرنا من حياته وفي حياته؟!

يا حـياة يحوطها الأمل المعذب
وتهفو لها ـ على الغيب ـ نفسي
حلم انت عــشــتـــه زمنا طال
ومـــا فــــزت من رؤاه بلمس
كلمـا قلت قـد دنا طيفك للوداع
مني يمحـــو كـــابة نفـــسي
فَرَّ حـتى خشيت أن لست ألقاه
كـمـــا كنت في عــوالمي حــسي

وتستحثنا الخطى سريعا لنعبر (صوت) نبراته الشجية الحالمة.. ونتجاوز «الخيوط السود» خشية أن تشبكنا وندع للشاعر صوره وذكرياته في الأرز .. وبعلبك فهي ذكريات غطاها دخان اللهب .. لنقف معه وقفة المتأمل أمام «الماء.. والزهر» حيث يدري .. ولا يدري

وقفتْ تجيل الطرف معجبة بالماء منحدراً على الصخر

وقفتُ أعجب .. انما عجبي بالحسن في اجزائها يجري

قالت : ترى الماء؟ قلت: أرى لا بل أراني عنه لا أدري

أنا منك في شغل فإن صُرفت عيناي عنه فإن لي عذري

لقد اختار زهرة الماء .. على الماء.. والزهرة هنا روح الجمال. ونبض الربيع.. وابتسامة الحياة.. وندلف مع شاعرنا خراز عبر بوابته الرابعة «والشعر حوار» ليأخذنا «الموكب» معه..

يا حبذا الأغصن اللاتي مررت بها
في مـوكب كله سـحـر وإغـراء
شدت اليه عيون القوم وانطلقت
بواعث من أمـــانيـــهم وأهـواء

الى أن يقول :

رنا اليَّ وفي عـيـنيـه ضـاحـكة
من الفـتـون أطلت وهي عـذراء
وكـان مني على بعـد .. فـقـربه
ما قرّب الذئب اذ لاحت له الشاء

أما بوابته الخاصة فإنها تتحدث عن «الشجن» هكذا أرادها.. والشجن في نفس شاعرنا عميق الجذور وهو يتحدث عن الدهر وقد حارب جهوده .. ورماه بألوان العذاب.. وكسا دربه بالأشواك.. ولكي لا نضاعف من ذكريات حزنه فإننا نشخص وإياه بأبصارنا نحو «النجمة الحائرة».

انظر لهـــا ذاهلة الخـــاطر
حـــائرة ترنو الى حـــائر
واجـمـة تحسـبـهـا دمـعـة
قد جُمِّدت في محـجـر ساهر

الى أن يقول :

يا نجـــمـــة أزرى بأترابهـــا
جـــمـــال ذاك الألق البـــاهر
شـقـيـت بالحـسن وكم نـعـمـة
فـيـهـا شـقـاء القلب والخـاطر
غـــريبـــة أنت تعـــيـــشـين في
دنيـا الدراري غـربة الشـاعـر
الشـاعـر الموهوب في مـوطن
عـات على امـثـاله سـاخـر
إن صـدح القـيـثـار في كـفـهـر
جـــرته بالحطم يد الآســـر

وكلمـة «حطم» يقصـد بها التحطيم .. الا أنها بصيغتها «حطم» غير مناسبة.. وكلمة «صمت» تؤدي نفس المعنى.

و«الشرود» يلف صاحبنا .. لماذا؟!

ياشـــروداً يلفني ان تحـــدثت
وإن جلت في الكتـاب بعـيني

حتى الألفاظ إنها تخرج مستعصية عليه.

وتفر الألفـاظ من فيَّ لم أقصـد
اليـهـا.. بل غـيـرها كنت أعني
وتمر اللحـــون في ذلك التـيـه
فـــلا أســتـــبين أية لحن..

ونتجـاوز «السكر المر» حتى لا تزكمنا رائحتـه.. فـأرحم منه «الدموع» التى انسابت الينا من منافذ بوابته السادسة والأخيره.

لقد كان شاعرنا وفيا بأبيه اذ يرثيه بقصيدة مؤثرة منها:

نعاك ضحى الاثنين ناعيك في الورى
فأرسل للأحشاء سهمـاً مسددا
ومـا كـان يدري أي قلب أصـابه
وأية نار في حنايـاه أوقـــدا

وتبـقى «الصورة الذكرى» كمحطة أخيرة في ديوان شاعرنا محمد سراج خراز نتوقف عندها..

نَحِّيَا الصورة عني. واحْجُبَاها
حسب نفسي يوم وليَّ ما دهاها
لا تقـــولا ملَّهـــا الطرف والا
فلمـــاذا يبـــتـغي أن لا يراها؟

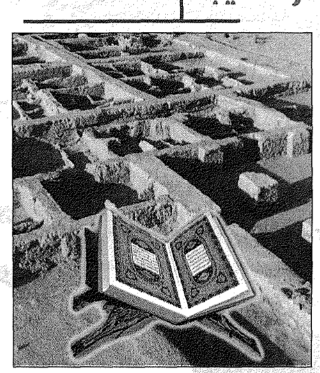
الى ان يقول: وهو يتمثل صورة أبيه.. وذكرياته .. وحياته معه..

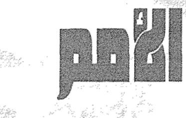
والـدي ذكـــــراك نـار تـتـلظى
آه مـا اقـسى على القلب لظاها
كلمـا رمـتك سلواً عنك هـاجت
وانبرى يعصف بالروح اساها
إنهـــا ذكـــرى ألمت بفـــؤادي
منذ ولَّيْتَ.. ومـوتيّ منتـهـاها

هكذا .. وبهذا الزخم من الشعر . والمشاعر.. من الصدق.. والصفاء جاءت رحلتنا وقد استحثت خطاها عبر «غناء الشجن». وعبر «شجن الغناء» .. بكل ما فيه من نقاء. ودفق.

لقد اوحت إليَّ رحلتي معه اننى أمام شاعر مجيد.. يتملك حرفه.. ويسيطر على اخيلته.. ويوظفها توظيفا جيداً.. ويحكم ترتيبها.. وينتقي بمهارة عباراته.. بل وعبراته ليرسمها لوحات متحركة من خلال سطوره.. وتلك هي قيمة الفنان.. وقمته..

والى لقاء متجدد آخر مع شاعر آخر تستضيفه الاستراحه.. وترتاح معه في وقفات تعريف.. لا وقفات تصنيف ■

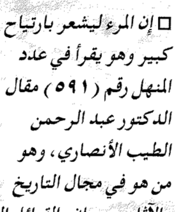




الأمم البائدة بين القرآن والتاريخ



د. عبدالرحمن الانصاري



□ إن المرء ليشعر بارتياح كبير وهو يقرأ في عدد المنهل رقم (٥٩١) مقال الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، وهو من هو في مجال التاريخ والآثار، بعنوان «القبائل البائدة كما أرخها القرآن الكريم» فقد أحسن الدكتور بإثارة هذا الموضوع على صفحات «المنهل» مجلة العرب الأدبية والثقافية ومعالجته بصورة خاصة من زاوية التأكيد على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم نفسه كمصدر مستقل وأكيد للأحداث التاريخية المتعلقة بالأمم الغابرة الوارد ذكرها في السياق القرآني.

مسئولية المؤرخ المسلم :

فالقرآن الكريم قد تضمن في ثناياه إشارات كثيرة بيّن الكاتب كثيرا منها وهي تبين، بالتصريح حينا وبالتلميح أحيانا، الإطار الزمني الذي وقعت فيه أحداث معينة، أو عاشت فيه أمة من الأمم المنقرضة في حقبة من الأحقاب الماضية. إلا أن الوقوف على دلالات ومضامين تلك الإشارات وتحديد المقصود بها على وجه الدقة يبقى من اختصاص المؤرخين، ويتطلب ضرورة نوعا من البحث والدراية المتعلقين بالنص نفسه وبالظروف الخارجية ذات الصلة به.

وذلك لون من الاجتهاد في الدين يجب كفائيا على المؤرخين الاضطلاع به، تماما كما يجب على الفقهاء الاجتهاد في استخراج الأحكام الشرعية من أصولها لقوله تعالى: ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا**

في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾[١]. والفقه عند أهل اللغة والمفسرين مطلق الفهم، وذلك ليس خاصا بخبراء الأحكام الشرعية، أما عند الفقهاء فهو ثمرة الاجتهاد.

والاجتهاد عندهم هو بذل الوسع في بلوغ الغرض؛ وهذا بعينه هو ما يعرف الآن بالبحث العلمي، وآلته عند الفقهاء هي علم أصول الفقه، وهو علم الإجراءات المنهجية المعينة على الوصول إلى استنتاجات موضوعية أساسها النص، أي أن الاجتهاد في حقيقته ما هو إلا فرع من فروع البحث العلمي المنهجي أساسه النص أو الدليل. ولذا جاز من وجه أن ندخل البحث التاريخي الذي أساسه النص تحت مسمى الاجتهاد. شأنه في ذلك شأن الأبحاث اللغوية والعلمية المهتمة بالجوانب الإعجازية في القرآن والسنة.

وهذا التفسير الموسع لمفهوم الاجتهاد هو الذي ترجح عند أحد أجل المنظرين للتفكير الأصولي وهو الإمام الشاطبي حين أرجع في «الموافقات» شروط الاجتهاد في الشرع الى مالا يزيد على شرطين هما: معرفة اللغة العربية، وإدراك مقاصد الشريعة عند البحث في ميدان معين.

ورغم ذلك فمن المؤسف أن نعترف أن قلة قليلة من مؤرخينا هم الذين قاموا، أو حاولوا أن يقوموا، بما يجب عليهم القيام به في هذا المجال. وبقيت الغالبية من المهتمين بالشأن التاريخي تردد كالببغاوات ما تلقته ـ بطريق التلقين والتقرير ـ من تفسيرات، وتحليلات، وافتراضات، وتحفظات اجتهدت في إنتاجها جهات خادمة لاستراتيجيات الهيمنة والتحكم. ولقنتها لتلامذتها المخلصين، أو الساذجين، ليتولوا نشرها والترويج لها بين ظهرانينا.

جمال ولد أكاط

- المدينة المنورة -

الاجتهاد المطلوب :

ومن أحدث ما صادفني في هذا الإطار مما يكشف درجة استغفال باحثينا مقال منشور في جريدة الشرق الأوسط[٢] بقلم الباحث محمد كاظم حبيب الحائز على براءة اختراع التقويم الأبدي المقارن من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث بيَّن فيه كاتبه أهم الأخطاء الأكاديمية المقررة في التقويمين الشمسي والقمري.

والذي يتصل بموضوعنا من ذلك هو ما أورده هذا الباحث المبدع من أنه من المقرر في الأكاديمية البحرية الملكية البريطانية أن التاريخ الهجري يبدأ يوم الجمعة الموافق ٦٢٢/٧/١٦هـ بينما الصحيح في ذلك كما ثبت لديه هو يوم الخميس ٦٢٢/٧/١٥هـ أي بفارق يوم.

قال : «والأدلة على خطأ حساب الأكاديميين الغربيين كثيرة منها: أنهم جعلوا يوم موقعة بدر (يوم الثلاثاء) ١٧ رمضان المبارك/٢ للهجرة. والصواب أنها حدثت (يوم الاثنين) بإجماع مؤرخي الإسلام وعلماء السيرة النبوية وإجماع أجيال المسلمين على مر العصور حتى الساعة! وأنهم جعلوا يوم وقفة عرفة التاسع من ذي الحجة من عام ١٠ للهجرة في حجة الوداع (يوم السبت). وهو خطأ بإجماع الأمة أيضا جيلا بعد جيل والصواب أنه (يوم الجمعة). ثم جعلوا يوم وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} في الرابع عشر من ربيع الأول عام ١١هـ (يوم الثلاثاء) وصوابه يوم الاثنين بإجماع المسلمين وعلماء السيرة

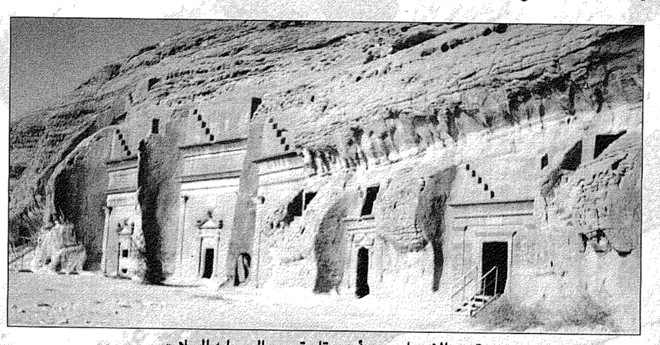
والمؤرخين المسلمين على مدى التاريخ الهجري حتى اليوم»٠

ورأى الباحث أن سبب ما ذكر هو «أن الأكاديمية البحرية الملكية البريطانية ابتدأت خطأ سهوا أو عمدا العد التاريخي بزيادة يوم فاستدار هذا اليوم مع جميع شهور التاريخ وجرى ترحيله شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة مما تسبب في تشويش التاريخ الهجري واضطراب التقويم الإسلامي وإحباط الأمة وفقدان ثقتها بتقويمها القمري الإسلامي٠ وهو بريء من أخطاء العابثين»٠

أما عن التقويم الشمسي فيقول الباحث: «فقد تبين أخيرا وبشكل يقيني في ضوء الحسابات الفلكية الرياضية القرآنية أن السنة الشمسية يقل طولها عن ٣٦٥ يوما سنويا بمقدار ٢٨٨ ث سنويا في الوقت الذي اعتاد الفلكيون الأكاديميون أن يجعلوا طول السنة الشمسية يزيد بحوالي ست ساعات سنويا عن ٣٦٥ يوما، أي بمعدل ربع يوم كل سنة، مما يشكل يوما كاملا كل أربع سنوات لتكون السنة الرابعة ومضاعفاتها كبيسة بيوم فتصبح من ٣٦٦ يوما٠ ويرتفع هذا الرقم الى ما مجموعه ٣٥ يوما زائدا كل قرن بعد التصحيح اليولياني أو ٢٤ يوما في بعض القرون بعد التصحيح الغريغوري٠

وبالمقارنة مع النتائج الحسابية الفلكية الرياضية في القرآن الكريم نجد أنه لا مجال للكبس في النظام الشمسي، لأن السنة الشمسية أصلا، لا تزيد عن ٣٦٥ يوما، بل تنقص عنها مدة ٢٨٨ ث سنويا في الحقيقة والواقع٠ أي بمقدار ٢٤ ث شهريا يتشكل منها يوم كامل كل ثلاثمائة سنة شمسية (٢٨٨ث × ٣٠٠ × سنة = ٨٦٤٠٠ ث = ١٤٤٠د = ٢٤ س = ١ يوم يجب حذفه على رأس (السنة الـ ٣٠٠) ومضاعفاتها ليستقيم الحساب وتتوازن الأمور ويتحقق الصواب»٠٠ انتهى كلامه٠

إن مجانبة الصواب في الحساب شيء وارد ومقبول، ولكن مصادمة التاريخ عمدا أمر آخر له غاياته ووسائله التي يجب التعامل معها بقدر كبير من الانتباه والوعي، فإذا كانت أمة الإسلام غير



قصر الخريمات وهو أحد مقار قوم صالح «عليه السلام»

مؤتمنة على تحديد يوم وفاة نبيها، ولا يوم وقوفه يوم الحج الأكبر في حجته الوحيدة التي حجها قبل وفاته بثلاثة أشهر وحضرها معه أربعون ألف صحابي في أقل تقدير؛ إذا كانت أمور بهذه الشهرة والأهمية مردودة علينا لعدم الثقة بنقلنا لها حتى يشهد عليها شاهد من غير أهلها فكيف تكون ثقتنا بنقل سائر أمور الدين وعلى رأسها القرآن والسنة؟.

بث الشكوك :

إنه فن زرع الشك وزعزعة العقيدة واستدراج الساذجين والجاهلين للانزلاق عن الصراط المستقيم الى جواد الزيغ والتحريف التي يسوقها المستشرقون تحت شعار «التحقيق العلمي» والذي ينطلق من مبدأ التشكيك في كل المسلّمات الى حين مراجعتها وفقا للمقاييس المنسجمة مع استراتيجية الهيمنة المعتمدة.

وموضوع القبائل البائدة موضوع جد موات لذلك، لاسيما عندما يتعلق الأمر بتلك القبائل التي انفردت بذكرها المصادر الإسلامية كعاد وثمود الذين لم يرد لهم ذكر في التوراة مع اشتهار أمرهم في الجاهلية والإسلام كما بينه الإمام الطبري شيخ المفسرين، وكما أشار إليه الدكتور الأنصاري في مقاله.

وقد كان عدم ذكر هاتين الأمتين في التوراة مدخلا تسلل منه المستشرقون وتلامذتهم للتشكيك في تاريخيتهما. ولا غرو فقد شككت يهود في العصر الحديث في تاريخية سيدنا المسيح لنفس السبب وهو عدم ذكره في توراتهم التي كتبوها قبل مبعثه بقرون.

القرآن الكريم والسنة المطهرة، وروايات الثقات الأثبات، كلها مراجع موثوقة في تدوين التاريخ والآثار

والمقصود بالتوراة عندهم ليس كتاب الله المنزل وحيا على نبيه موسى عليه السلام كما يدل عليه القرآن عندنا، بل هي في إطلاقهم وعرفهم مجموعة من الأسفار التي كتبها جماعة من الأنبياء (في المصطلح اليهودي) في أزمنة وأماكن مختلفة. أقدمها سفر عاموس (Amos) الذي يقدر أنه كتب عام ٧٥٠ قبل الميلاد أي بعد زمن موسى عليه السلام بنحو ستمائة عام. وقد كتب جل تلك الأسفار في فلسطين. وأما الباقي مثل سفر «حزقيال» وسفر «المزامير» فقد كتبوه في وادي الفرات بالعراق أيام السبي[٣].

ولمجرد أن قبيلة بشهرة ثمود لم يرد ذكرها في التوراة فقد كان على أدعياء المنهج العلمي في العصر الحديث أن «ينطلقوا من فرض» أنها لم توجد أصلا، ويجتهدوا في جمع القرائن والمؤشرات التي تؤيد هذا الفرض، و«يحذروا» من مناقضته طالما لم يعثروا على «دليل جديد» يستطيع أن ينسف ذلك الفرض المقرر. وهكذا جاء ما نشر عن هذه الأمة نموذجا لما سواه في هذا المجال.

وكل ذلك رغم كون المسلمين يعلمون يقينا أن ثمود هم أصحاب الحجر المعروف أيضا بمدائن صالح في شمال الجزيرة العربية. وهم قوم نبي الله صالح عليه السلام. وقد دل القرآن الكريم على مساكنهم بقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ **وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم** ﴾[٤]. قال ابن

كثير في تفسير هذه الآية «فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى وكانت العرب تعرف مساكنها جيدا وتمر عليها كثيرا».

وهذا هو المحفوظ الثابت عند العرب والمسلمين في نسبة الأحقاف الى عاد والحجر الى ثمود. إلا أن نسبة الحجر الى ثمود امتازت بمزيد تأكيد وجزم من خلال أحاديث صحيحة جاءت مفسرة للآية السابقة - على عادة السنة في تفسير وبيان القرآن - وأزالت بذلك أي التباس في هذا المجال. وكأن ذلك كان إشارة نبوية الى ما ستتعرض له هذه النسبة من تشكيك في العصر الحديث. فقد أوقف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بنفسه ثلاثين ألفا من أصحابه على الحجر مقررا لهم أنها هي ديار ثمود التي نسبها القرآن الكريم إليهم.

وكان ذلك أثناء سفره {صلى الله عليه وسلم} الى تبوك في الغزوة المعروفة بهذا الاسم في أواخر شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة. وقد اغتنم {صلى الله عليه وسلم} فرصة نزول أصحابه هناك في ديار ثمود، وهم في طريقهم الى تبوك، فأرشدهم الى ما يجب عليهم فعله عندما تلجئهم جادة الطريق الى النزول في ديار قوم مغضوب عليهم طلبا للماء أو لغيره.

قال السيوطي في تفسيره المسمى الدر المنثور: «أخرج أحمد وابن المنذر عن أبي كبشة الأنماري قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع قوم الى أهل الحجر يدخلون عليهم، فنودي في الناس، أن الصلاة جامعة، فأتيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يقول «علام يدخلون على قوم غضب الله عليهم؟ فقال رجل: نعجب منهم يارسول الله؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: ألا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم! استقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئا. وسيأتي الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئا».

وكان {صلى الله عليه وسلم} يقصد بالرجل نفسه ويشير إلى ما خصه الله به من علم الماضي وعلم المستقبل، وأن خبر ثمود هو بعض ذلك الذي نزل عليه. وأن تيسير الله الوقوف على مساكنهم بعد الإخبار عنها فيه تأييد لقضية النبوة.

وأخرج أحمد والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن جابر بن عبد الله «أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما نزل الحجر قام فخطب الناس فقال: يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات، فإن قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث إليهم آية فبعث الله إليهم الناقة، فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها، ويحتلبون من لبنها مثل الذي كانوا يأخذون من مائها يوم غبها، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر بهم فعقروها فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام، وكان وعدا من الله غير مكذوب، ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان منهم تحت مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا كان في حرم الله، فمنعه حرم الله من عذاب الله. فقيل: يارسول الله من هو؟

المؤرخون والآثاريون الأوروبيون يعمدون الى الكتب القديمة مراجع لهم، ويشككون في كل ما سواها

قال: أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»[٥].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس نزلوا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها، وعجنوا به العجين. فأمرهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين. وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة.



كتابات تيمائية محفورة على واجهات صخور جبل غنيم

وعنه أيضا فيهما :

لما مر النبي {صلى الله عليه وسلم} بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين» ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

ولا تعارض بين هذا الحديث والأحاديث التى قبله، إذ واضح أن الأخير كان أثناء عودة الجيش والناس قافلون من تبوك الى المدينة المنورة. وأما الأحاديث الأخرى فكان وقتها وقت نزول الجيش بالحجر في المرة الأولى وهم مازالوا بعد متجهين الى تبوك.

تعزيز الشكوك :

وهكذا تضافرت الآيات والأحاديث التى لا يتطرق إليها شك من جهة النقل ولا من جهة الدلالة على أن منطقة الحجر المعروفة اليوم بمدائن صالح شمال المملكة العربية السعودية، وبالقرب من مدينة العلا، هي بعينها ديار قبيلة ثمود التى ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وقد استقر هذا الأمر في الأمة جيلا بعد جيل استقرار المعلوم من الدين بالضرورة حتى وفد إلى تلك المنطقة مستشرق إنكليزي اسمه شارلز مونتاغ داوتي[٦] وقد كان مقدمه برفقة قافلة حجاج الشام عام ١٨٧٦م. وكان له اهتمام بالنقوش والآثار فانطلق من هناك في جولات استكشافية إلى خيبر وتيماء وحائل. وكان قبل ذلك قد تعلم اللغة العربية في دمشق وزار مصر وعبر سيناء الى معان والبتراء. وقد مكنته جولاته المذكورة من إعلان استنتاجات وافتراضات هي في غاية الخطورة لجرأتها وحجم المغالطة والمصادرة فيها. وقد بنى رأيه في ذلك على مشاهدته لمنازل ثمود الصخرية المدهشة في الحجر، وهي ما تزال قائمة على حالتها الأولى رغم كر القرون. فتوهم أن ذلك يتناقض مع حلول العذاب بتلك الأمة مروجا للفكرة القائلة بأن ذلك العذاب الموصوف في القرآن الكريم كان عبارة

عن زلزال بينما المباني هناك موجودة بحالتها السليمة.

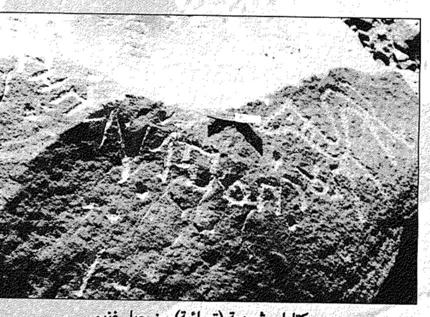
لذلك ارتأى البحث عن منازل ثمود في منطقة أخرى ذات أنقاض مستوية بالأرض. وقد زعم أن تلك الأنقاض هي الخريبة الموجودة بالقرب من قرية العلا وعلى بعد عشرة أميال من الحجر الى الجنوب منها[٧].

ثم لم يلبث أن أسند نفس تلك الأنقاض لأمة جديدة ابتكرها وسماها «مملكة ديدان» لم يوجد لها ذكر قبله في أي مصدر محفوظ[٨].

أما البيوت القائمة الذات والمنحوتة في جبال الحجر فقد سماها «مقابر» ولم يتردد، هو ومن أتى بعده، في نسبتها الى الأنباط لسبب آخر يمكن أيضا فهمه وهو أن واجهاتها مليئة بالكتابات النبطية المحفورة عليها والصريحة في نسبة جلها إلى أفراد بأسمائهم من أولئك القوم.

وهكذا ضاعت ثمود بين التوراة وديدان والأنباط، ولم يشفع لها في ذلك انتشار نقوشها في أرجاء المنطقة حتى ملأت السهل والجبل. وهي كتابات متميزة ومعروفة بترديد ذكر ثمود في مقاطعها المحفورة على الواجهات الصخرية الألواح الحجرية المبعثرة في شمال الجزيرة العربية.

ولئن كانت استنتاجات داوتي التى تقرر إنكار وجود ثمود في المنطقة كانت متحفظة فقد جاء من بعده من باحثينا العرب - ناهيك عن الغربيين - من صرح بكل «ثقة» واطمئنان ألا مكان لثمود في الحجر وأنه يجب البحث عنها في مكان آخر لأن القرآن ذكر أن هذه الأمة أصابها شيء مثل الزلزال وهو ما لا أثر له في الحجر. ومن ثم فإن المكان الذي مر به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في غزوة تبوك وقال إنه ديار ثمود يجب البحث عنه في مكان آخر غير الحجر. وقبل الرد على هذه المزاعم الباطلة يستحسن أن نقتبس من عبارات أصحابها أصرحها وأحدثها مثل ما جاء من ذلك في كتاب «نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية» بقلم الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الذيبب الأستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض.


كتابات ثمودية (تيمائية) من جبل غنيم

فقد بادر هذا الكاتب الى إزالة أي التباس حول عنونته كتابه بكلمة «نقوش ثمودية» مؤكدا أن ذلك لا يدل على أن هذه النقوش الموصوفة بالثمودية هي من عمل «ثمود القرآن»، وموضحا ذلك بقوله: «وكانت هذه التسمية (الثمودية)» عاملا مهما في الخلط بين ثموديي القرآن الكريم وأصحاب هذه الكتابات، إلا أننا نستطيع القول أن أصحاب هذه

الخطوط لا علاقة لهم بالثموديين المذكورين في القرآن الكريم لسببين:

الأول : أن الثمـوديين المذكـورين في القرآن الكريم يعودون الى فترة موغلة في القدم بينما لا ترقى هذه الخطوط ـ حسب الدراسات الحديثة ـ إلا إلى القرنين الثامن أو السابع قبل الميلاد.

الثاني : أن الصورة التى صور القرآن الكريم الثموديين فيها تختلف كليا عن الصورة التى تعكسها نصوصهم أو مخلفاتهم المادية الأخرى. إذ أن الصورة التى نقلها القرآن الكريم تتمثل في أنهم كانوا يعيشون حياة كلها رغد ﴿ **في جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم** ﴾ (الشعراء/ ١٤٧ ـ ١٤٨) واستقرار ﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ (الأعراف/ ٧٤).

أما الصورة التى قدمتها الحوليات الآشورية فهي تدل على كونهم قبائل تعيش على شظف من العيش في الصحراء فلم يعرفوا الحكم المركزي.. بالإضافة الى ما تعكسه النصوص المنسوبة إليهم من صورة مخالفة لما في القرآن الكريم. وقد تصور البعض نظرا لهذا الخلط بين ثمود القرآن الكريم وأصحاب هذه الكتابات أن الحجر المذكورة في القرآن الكريم هي مدائن صالح الحالية معتمدين على تحقيق الرسول [صلى الله عليه وسلم] للموقع أثناء مروره به في طريقه الى غزوة تبوك (للحديث أنظر العسقلاني ١٣٨٠ ج٦، ص ٣٧٨)[٩]. ثم استشهد الكاتب لنفي ذلك التحقيق النبوي بسرد ما نسبه إلى تفسيري الطبري وابن كثير من أقوال في تفسير آيات عذاب ثمود وخلص من ذلك الى أن قال: «وهكذا فمن طبيعة العذاب الذي أصاب قوم صالح الذي دمرهم من فوقهم ومن أسفل منهم (وهو ما يمكن وصفه بالزلزال) يتبادر الى الذهن السؤال التالي: هل المكان الذى حدده الرسول [صلى الله عليه وسلم] (الذي لا ينطق عن الهوى) هو مدائن صالح الحالية؟ فكما يبدو أن وصف العذاب الذي أصاب قوم صالح لا يتحقق في مدائن صالح الحالية ولذا فلربما كان الرسول [صلى الله عليه وسلم] وأصحابه في مكان آخر غير مدائن صالح الذي ربما يكون بموقع الخريبة.. (الذي لم يقطن خلال الفترة الإسلامية) الواقع على بعد عشرة أميال من مدائن صالح الحالية»[١٠].

بعض الدارسين من المسلمين أخذوا بمقولات الدارسين الغربيين وتبنوها

زيف الشكوك :

وهذا الكلام الخطير مناقض لتواتر القرآن والسنة ونقول الإخباريين على نسبة الحجر الى ثمود. وقد تم بسط الكلام في ذلك في الفقرات السابقة فلا يسع المسلم المتعلم إلا التسليم بذلك والانقياد إليه، بل أن ذلك هو الصحيح الثابت عند المؤرخين وخبراء الآثار كما قرره أستاذهم الكبير الدكتور الأنصاري في مقاله المشار إليه أعلاه بقوله:

«وهنا نصل الى حقيقة ثابتة وهي أن ثمود قوم صالح هم أصحاب الحجر كما أن هناك حقيقة ثابتة أن وجودهم كان في الألف الثالثة قبل الميلاد وربما قبل ذلك»[١١].

وبتقرير ذلك استطاع الدكتور أن يخلص إلى السؤال الصحيح والذي يعد طرحه مشروعا على ضوء المعطيات المتاحة وهو ما صاغه بقوله «إذن فمن هؤلاء الثموديون الذين تتحدث عنهم الكتابات المسمارية؟!! ومن هؤلاء الثموديون الذين تحدثت عنهم الكتب الكلاسيكية؟!! ومن هؤلاء الثموديون الذين بني لهم معبد روافة؟!! .. إلخ»[١٢].

فهذا الذي قرره الدكتور الأنصاري في مقاله هنا - وهو الصحيح - ينفي تماما ما ذهب إليه صاحب «النقوش الثمودية» لأنه ينطلق من المنطلق الصحيح وهو إثبات الإطار الزماني والمكاني لثمود القرآن أولا، ثم الانطلاق من هنالك بالتساؤل عن الإطار الزماني - المكاني لثمود النقوش؛ بينما عمد صاحب «النقوش الثمودية» الى العكس تماما معتمدا على معطيات وافتراضات خاطئة كتفسير قوله تعالى: ﴿ **فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين** ﴾[١٣] بأن ذلك يعني زلزالا دمر البيوت على أهلها في حين أنه مفسر بقوله تعالى: ﴿ **وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾[١٤]، وقوله تعالى: ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية** ﴾[١٥]، وقوله تعالى: ﴿ **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر** ﴾[١٦].

فهذه الآيات وأمثالها صريحة في أن عذاب

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أكدا أن ما في الحجر مساكن القوم الهالكين

ثمود كان على شكل صيحة سببت رجفة شديدة للناس أعقبها موتهم في ديارهم دون أن تتهدم بيوتهم عليهم بل أصبحوا هم بداخلها جاثمين وكأنهم هشيم محتظر.

وهذا كله تكلف لا داعي إليه. إذ لو كان هناك حاجة لشيء يضاف الى ما قرره الدكتور الأنصاري لكان ذلك بالتعرض للشق الثاني من الموضوع والتأكيد على استحالة جهل مؤرخينا السابقين لنسبة الحجر الى أمة موجودة كالأنباط ونسبتها عوضا عنهم الى أمة بائدة كثمود إلا إذا كان ذلك هو الصحيح الذي لا يخالطه أي نوع من أنواع الشك. وهذا النوع من التحليل والاحتجاج - الى جانب ما قرره القرآن الكريم أقل ما يمكن أن يوصف به أنه سوء أدب مع القرآن الكريم.

ولو كان لنا أن نسير فيه - اضطرارا - لكان علينا أن نبحث عن الأنباط، وعن زمنهم، أولا وقبل كل شيء: لأنهم الأمة التى استخدمت لزحزحة الوجود الثمودي من الحجر بعد أن كان مستقرا لآلاف السنين. وإليك ما قاله حجة آخر من حجج التاريخ العربي عن تلك الأمة وهو د. جواد علي حيث كتب: «وعندى أن النبط عرب بل هم أقرب الى قريش وإلى القبائل الحجازية التى أدركت الإسلام من العرب الذين يعرفون بالعرب الجنوبيين. والنبط يشاركون قريشا في أكثر أسماء الأشخاص، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام، وخط النبط قريب جدا من خط كتبة الوحي، وقد قلت إن من

العلماء من يرى أن قلمنا هذا مأخوذ من قلم النبط. يضاف الى ذلك ما ذكرته من وجود كلمات عربية في النصوص النبطية المدونة بالإرمية هي عربية خالصة من نوع عربية القرآن الكريم.

لهذه الأسباب أرى أن النبط أقرب إلى قريش وإلى العدنانيين على حد تعبير النسابين من العرب الجنوبيين الذين تبتعد أسماؤهم وأسماء أصنامهم بعدا كبيرا عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين، أضف الى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن نبايوت وهو (نابت) أهل الأخبار، هو الابن الأكبر لإسماعيل، واسماعيل في عرف النسابين هو جد العرب العدنانيين»[١٧].

وحاصل ذلك أن الأنباط والحجر كليهما أشهر عند العرب من أن تفوت المؤرخين والأخباريين إضافة بعضهما الى بعض، ولا يتصور جهلهم لتلك الإضافة إلا إذا كانت منتفية كما نبهنا إليه. فلا خلاف عند العرب والمسلمين أن الحجر مساكن ثمود ولم نعلم بأحد ادعى قط غير ذلك قبل شارلز دواتي وأتباعه.

وذلك مع العلم أن المنطقة بأسرها، وبما فيها من معالم، وقبائل، لم تكن مجهولة في التاريخ الجاهلي، بل كانت ذائعة الصيت بواحاتها ويهودها وسوقها الجاهلي الشهير المعروف بسوق قرح. كما كانت قبل ذلك مشهورة في التاريخ القديم كأشهر محطة تتقاطع فيها القوافل التجارية القادمة من اليمن والشام ومصر (عبر ميناء الوجه البحري). وقد استمرت شهرتها تلك في العصور الإسلامية كطريق للحاج الشامي والرومي، وتكرست تلك الشهرة أيضا في العصر الحاضر بمرور سكة حديد الحجاز منها وكذلك طريق الحجاز ـ الشام المعبد للسيارات. حتى قال بعض الباحثين لم نعلم طريقا للحاج اجتمعت فيه كل هذه الخصائص إلا طريق الشام.

دلالات النقوش :

وهكذا فإن النقوش النبطية الموجودة على واجهات بيوت الحجر لا يمكن أن تدل على أكثر من كون محرريها نقشوها لإثبات «وضع اليد» و«الحيازة» لتلك البيوت التى كانت في الأصل موجودة ومهجورة منذ قرون قبل ذلك. وهذا التفسير هو الذي يظهر من التحليل القانوني لتلك «التوثيقات» النبطية على واجهات بيوت الحجر. وإن كان الأمر يتطلب بدون شك درسا وتحليلا أعمق من جوانب عدة لعل من أهمها دراسة المحتوى القانوني لتلك «السندات» وللعقوبات المؤيدة لها على ضوء معارفنا بالمنظومات القانونية التى كانت سائدة في العهد القديم وعلى رأسها تشريعات الملك العراقي حمورابي وأحكام التوراة ومدونة جوستينيان الروماني.

كما يجب من جهة أخرى أن يتركز البحث على معرفة حقيقة ثمود النقوش، أي ثمود المذكورين في النقوش الآشورية مثلا، ومعرفة الصلة بينهم وبين ثمود القرآن. لأن ثمود النقوش والنقوش الثمودية أي المكتوبة بالخط المسمى الثمودي يكتنفها غموض كبير بحاجة أكيدة الى من يجليه كما ألمح إليه بحق الدكتور الأنصاري.

ذلك بأن أقدم المصادر غير القرآنية التى وجد فيها ذكر لثمود حتى الآن هي المصادر الآشورية، إلا أن ذكرهم استمر بعد ذلك في النقوش والمصادر

الأخرى الى القرن الخامس الميلادي حيث ذكرت بعض المصادر أنه كان هناك فرسان منهم في خدمة الأباطرة الرومان وبخاصة منهم الأمبراطور حستنيانوس[١٨].

وقد يقول قائل أن شعب ثمود الثابت وجوده في شمال الجزيرة من خلال المصادر الآشورية والكلاسيكية هم سلالة الطائفة من أمة ثمود الذين آمنوا بنبي الله صالح عليه السلام ونجوا معه من الهلاك الذي أصاب قومهم.

قال تعالى: ﴿ **وأما ثمودُ فهديناهم فاستحبُّوا العمى على الهُدى فأخذتهم صاعقةُ العذاب الهون بما كانوا يكسبون * ونجينا الذين آمنُوا وكانوا يتَّقُون** ﴾[١٩].

المنهل خاصة

القبائل البائدة كما أرخها القرآن الكريم

صورة من المقال السابق

وقد ذكر المفسرون أن صالحا عليه السلام هاجر الى ناحية الرملة بفلسطين فاستوطنها بعد مهلك قومه، ويفترض أن المؤمنين الناجين من قومه قد رافقوه وبقوا في تلك الناحية على الأقل حتى وفاته، ولا يستبعد أن أجيالا منهم بعد ذلك عادوا الى المنطقة وتحولوا لأي سبب من الأسباب عن الحجر فأسسوا ديدان الغامضة أو غيرها أو التفوا حول من أسسها من ولد ابراهيم عليه السلام، ثم بلغوا بعد ذلك أوج انتشارهم الجديد في النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد.

أو قد يقول قائل: إنما ذلك اسم على اسم وتشابُه في الأسماء، فهؤلاء شعب جديد نبت في هذه البقعة، وهذا أيضا احتمال وارد ما لم يقم الدليل على عكسه، وتؤيده شواهد من التاريخ كما هو الحال بالنسبة الى اللحيانيين إخوان ثمود في الدار مثلا. فقد ذكرتهم النقوش والمصادر في الزمن القديم، كما توجد قبيلة مشهورة بهذا الاسم في صدر الإسلام، إضافة الى وجود بعض العشائر التى تحمل نفس الاسم في ناحية الأفلاج بالمملكة[٢٠]. ولا يوجد رابط بين الثلاثة.

غير أنني أرى أن إثبات الصلة بين ما يعرف بالنقوش الثمودية مع ثمود القرآن أسهل من ربط ثمود النقوش (أي المذكورة في نقوش غير ثمودية كالآشورية وغيرها) والمصادر الكلاسيكية بهم. ولعل ذلك الربط نفسه يكون مقدمة في اتجاه تقريب الهوة بين الباحثين في هذا المجال وصولا بهم الى الاعتراف بأن ما قدمه القرآن الكريم عن هذه الأمة هو الأدق والأثبت وهو الذي يجب أن يعول عليه ويكون المرجع لما سواه.

فنحن نعرف أن أول محاولة للتعرف على النقوش الثمودية قام بها الباحث إ. رودجر .(E

(Ridigerعام ١٨٣٧م. وتوالت بعد ذلك عمليات جمع ودراسة هذه النقوش حتى الوقت الحاضر. وما وجد منها حتى الآن يوصف بأنه مخربشات صغيرة تتعلق بأمور شخصية قد لا تفيد المؤرخين كثيرا عن تاريخ ثمود اللهم إلا فيما يتعلق بالنواحي اللغوية وأسماء آلهة الديانات الوثنية القديمة في الجزيرة العربية[٢١].

ومن أهم ما يستفاد من تلك الأسماء احتواؤها على عدد من أسماء آلهة الجنوب بما فيهم الإله الأقدم (إل) ، إضافة الى الآلهة (ود) و (عثتر) و (شمس) وغيرها. وجل هذه الآلهة من فئة ما يسمى عند الباحثين آلهة الكتابات أو أصنام النقوش التى لم يوجد لها ذكر في الأخبار لقدمها.

وآلهة ثمود المشار إليها يجب البحث عنها حتما قبل دولة معين بدليل أن النقوش المعينية الشمالية في (ديدان) تعبد أصحابها لبعض تلك الآلهة كآلهة معينية دون أن يشيروا إلى ثمود في المنطقة ولا إلى بقية الآلهة علما بأن دولة معين أيضا لم يرد لها ذكر في الأخبار لقدمها.

والشعوب التى أعقبت المعينيين في ديدان يكاد الباحثون يتفقون على أنه لا توجد فيها حلقة مفقودة. وهذا يعني أن ثمود لم تكن معاصرة ولا لاحقة لتلك الشعوب، ولكنها كانت قبلها في الزمن، بل كانت قبل دولة معين الجنوبية ذاتها على الأقل في أول أمرها. وأن معين أخذت منها عبادة الآلهة المشتركة بينهما.

وهذا هو الذي يمكن أن يتفق مع القرآن، ويؤيد هذا أيضا أن علاقة الخط الثمودي بخط المسند، وإن كانت علاقة مقبولة إلا أنها غير ثابتة ثبوتا مطمئنا حتى زعم المستشرق جريمي (١٨٦٤ ـ ١٩٤٢) أن أصل الخط الثمودي يجب البحث عنه في جانب

الدارسون من الاوربيين ومن تبعهم اسموها مقابر

سيناء[٢٢]. وهو مذهب يكذبه القرآن بنصه على أن ثمود خلفت عادا. وديار عاد معلومة في الجنوب بالأحقاف مما يدل على أن أصول ثمود أيضا وبداية تاريخها كانت في الجنوب وإن كان القرآن لم يصف لنا إلا نهاية التاريخ الثمودي في الحجر.

وهذا التقرير القرآني من شأنه أن يعين في إزالة الغموض المرتبط بنسبة الخط الثمودي الى المسند والذي يرجع الى افتراض الباحثين أن المسند هو الأصل، بينما الصحيح هو العكس وهو أن الخط الثمودي هو الأصل، أو أن الخطين جميعا متفرعان عن أصل واحد مشترك.

ومن هذا المنظار المتمثل في البحث عن بداية تاريخ النقوش الثمودية في حيز زماني ومكاني وثيق الصلة بالحقبة المعينية مع أسبقيته في الزمن على تلك الحقبة نكون قد وضعنا أقدامنا على أرضية تاريخية أكثر صلابة من ذي قبل مستندين الى نتائج اثنين من أبرز الأعلام المختصين في التاريخ العربي القديم هما الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري الذي يقطع بأن وجود ثمود كان في الألف الثالثة قبل الميلاد وربما قبل ذلك، والمرحوم الدكتور جواد على الذي حسم موضوع الحيز الزمني للأنباط بإلحاقهم بالقبائل الحجازية التى أدركت الإسلام لمشاركتهم لقريش في أكثر أسماء الأشخاص وفي عبادة أكثر الأصنام، وفي استعمال عربية خالصة من نوع عربية القرآن الكريم وخط منه أخذ خط كتبة الوحي.

الخلاصة :

وفي الأخير لابد من التنويه مجددا بأن قصة

ثمود في القرآن الكريم والسنة المشرفة ما هي إلا «عينة» أو نموذج يصور لنا مستوى المسخ الفكري لدى كثير من مؤرخينا في نظرتهم وتعاملهم مع القصص القرآني والأخبار النبوية. وقد عبر الدكتور الأنصاري عن ذلك خير تعبير بقوله في مقاله: «بل إن التركيز على بعض أسماء هذه الأمم واستعمالها ضمن إطار تاريخي ينزل بها الى الفترة التاريخية من حضارة الجزيرة العربية يجعل الباحثين في اضطراب فكري يبعد بهم عن الفترة التاريخية الحقيقية لهذه الأمة أو تلك، نتيجة لجهل أو عدم اهتمام أو عصبية أو اعتماد الحدث على الأسطورة دون عرض الأحداث على مشرط النقد التاريخي للنص أسلوبا ومضمونا.. وقد يرى البعض أن القرآن إنما يستفاد منه لأشياء أخرى غير التاريخ ولكنني أشعر أن التاريخ إنما هو حدث وزمان ومكان. وعندما نجد أن القرآن يتحدث عن الحدث بكل تفصيل، وعن الزمان بأدوات التاريخ المعتادة مثل (قبل وبعد وقرونا بين ذلك كثيرا) أصبح علينا عندئذ أن نبحث عن المكان، وحتى هذا يمكن أن نستنتجه من السرد للحدث، بل ويذكره القرآن كما هو الحال في الربط بين ثمود والحجر.. وهكذا نجد القرآن يربطنا بفترة تاريخية تجعلنا نعيد النظر فيما تعودنا على ترديده دون الوقوف ولو للحظة لنتساءل لماذا؟»[٢٣].

وربط الحدث بالمكان كما أشار إليه الدكتور كثير في القرآن الكريم ولعل مما له صلة بمنطقة شمال الجزيرة بالذات قوله تعالى: ﴿ **وإن لوطاً لمن المُرْسلين، إذْ نجيناه وأهله أجمعين، إلا عجوزا في الغابرين، ثم دمرنا الآخرين، وإنكم لتمُرُّون عليهم مصبحين، وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ [٢٤].

وقد ألفت كتب في موضوع الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن والسنة أو ما يعرف بجغرافية القرآن الكريم. أما ما ينساق فيه بعض الباحثين من التحفظ حيال تاريخية الأمم الغابرة لمجرد خلو التوراة والكتب القديمة من الإشارة إليها مهما ذكرت في القرآن، فإنه مخالف قطعا للقرآن الكريم الذي نزل بتكذيب تلك الكتب، ونسخ مضمونها، فالقرآن لا يسمح بالرجوع إلى تلك الكتب أو الاقتباس منها لما اعتراها من تحريف وتزييف، بل ويصطدم بها بشكل صريح ومباشر وعلى نحو لا يمكن معه التوصل إلى أي صيغة من صيغ الاتفاق بينهما.

ألا ترى قوله تعالى: ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شُبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظّن، وما قتلوهُ يقيناً ﴾[٢٥].

وهذه الآية وحدها تكفي لنسف جميع ما عند أهل الكتاب مما يخالف نصوص القرآن والسنة، لما تمتاز به هذه النصوص من الموثوقية والدقة والجزم، بل والتحدي في أحيان كثيرة كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا، نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾[٢٦].. وقال تعالى: ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾[٢٧]. وهذا إخبار من الله تعالى بالمدة التى أمضاها أهل الكهف نياما في كهفهم قبل أن يبعثهم الله ويكشف أمرهم وأن مقدار ذلك ثلاثمائة سنة شمسية وأنها تعادل ثلاثمائة وتسع سنين قمرية بقطع النظر عن دعاوى ومزاعم الفريق الآخر في هذا المجال.

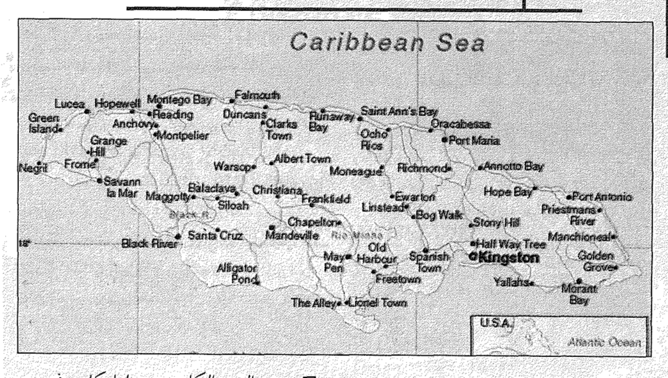
وقال تعالى: ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب،

ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربي أعلم بعدتهم، ما يعلمهم إلا قليل. فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا، ولا تستفت فيهم منهم أحدا ﴾[٢٨] ، وكان بعض السلف يقول إني لمن القليل المستثنى في هذه الآية. وذلك بعدما تمكن من فهمها من خلال تحليلها اللفظي وتفسيرها واستنتج من ذلك أن عدد أهل الكهف الحقيقي سبعة على وجه التحديد.

فألفاظ القرآن الكريم تمتاز بالدقة المتناهية في البيان والصحة المتناهية في النقل والصدق بحيث لا يسع الباحث المنصف ـ وأحرى الباحث المسلم ـ أن يتجاوزها الى غيرها من الأخبار. ألا ترى قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾ ـ يريد أن يأتوه بيوسف عليه السلام من السجن؟ لقد كان استخدام كلمة «الملك» بدل كلمة «فرعون» في معرض الحديث عن ملك من ملوك مصر القديمة معجزة كبرى لم تتضح معالمها إلا في العصر الحديث عندما ثبت الآن أن زمن يوسف عليه السلام كان في فترة انقطاع في السلالات الفرعونية بسبب تغلب ملوك الهكسوس عليهم. وقد عاد الحكم الفرعوني بعد ذلك وكانت بعثة موسى عليه السلام وخروج اليهود في زمن الفراعنة كما هو ثابت في القرآن الكريم، نسأل الله أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء حزننا وذهاب همنا آمين ■

الهوامش :

(١) سورة التوبة/ ١٢٣.
(٢) الشرق الأوسط عدد ٩٣٦٧، وتاريخ ٢١/٧/٢٠٠٤م.
(٣) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، الجزء ١، ص ٥٣.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.
(٥) انظر تفسير جلال الدين السيوطي المسمى «الدر المنثور» نسخة ألكترونية على قرص مدمج من إنتاج مؤسسة صدى اليرموك للإنتاج والتوزيع بالرياض ٢٠٠٢م.
(٦) نجيب العقيقي، المستشرقون، القاهرة ١٩٦٥، ج٢: ص ٥٠٠.
(٧) د. جواد علي، المفصل: ج١، ص ٣٢٦.
(٨) المرجع نفسه، ج٢، ص ٢٤١.
(٩) الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤.
(١٠) المرجع السابق، ص ٥.
(١١) مقال الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، مجلة المنهل عدد ٥٩١.
(١٢) المرجع نفسه.
(١٣) سورة الأعراف، الآية ٧٨.
(١٤) سورة هود الآية/ ٦٧.
(١٥) سورة النمل الآية/ ٥٢.
(١٦) سورة القمر الآية/ ٣١.
(١٧) جواد علي، مرجع سابق ص ٣/١٤.
(١٨) محمود محمد الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، الرياض ١٤٠٧هـ، ص ٧.
(١٩) سورة فُصلتْ، الآيتان ١٧، ١٨.
(٢٠) عبد الله بن عبد العزيز آل مفلح الجذالين، تاريخ الأفلاج وحضارتها، الرياض ١٤١٣هـ، ص ١٦٥.
(٢١) محمد علي مغربل، لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام، القاهرة ١٤١٤هـ، ص ٣٤٧.
(٢٢) محمود محمد الروسان، مرجع سابق، ص ٣٨.
(٢٣) مقال الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، مجلة المنهل عدد ٥٩١.
(٢٤) سورة الصافات، الآيات ١٣٣ الى ١٣٨.
(٢٥) سورة النساء، الآية ١٥٧.
(٢٦) سورة الكهف، الآية ١٨.
(٢٧) سورة الكهف، الآية ٢٥.
(٢٨) سورة الكهف الآية ٢٢.



أحلام الطبيعة البكر والثقافات المتنوعة الغنية

□ عروس البحر الكاريبي، جامايكا سوف تستمتع كثيرا بمناخها الاستوائي وثقافتها المتعددة الغنية، جمال طبيعي خالص وبشر طيبون، سترتاح أفكارك ويهدأ جسمك هناك حيث البحر والشمس والمنحدرات الغنية بالخضرة، تمتلىء بالمنتجات السياحية، ويعتبرها كثير من المراقبين الآن أنسب البلاد كمقصد سياحي حيث جوها الدافىء تماما.

جامايكا جزيرة في البحر الكاريبي، اكتشفها كريستوفر كولمبس عام ١٤٩٤م لدى فتح أميركا، ثم استقر فيها الإنجليز وهي بلد لها تاريخ طويل ومتلون يمتلىء بالقراصنة والمستعمرات والثورات السياسية. لكن هذه الأمة المستقلة الآن أصبحت تعتمد كثيرا على نواتج السياحة التى توفر لها قدرا معقولا من نسب الربح.

د. عز الدين المفلح
- سوريا -

أساطير الفطرة :

تتميز جزيرة جامايكا بشلالات المياه من على الجبال الساحرة والحدائق الاستوائية التى تحيط بها شواطىء صافية على طول بحر أزرق عميق، وللحق نقول إن جامايكا بلد ينتسب لبيئة رائعة من الجمال الطبيعي والحسن الفطري. كما أن الاستمتاع بهذه البلاد لابد أن يتضمن الاستماع الى ألحان الشواطىء التى تتميز بها الحياة في الجزيرة هناك، وهناك إيقاعات الضفادع بين الشجر ليلا، وإيقاعات لاعبي الطاولة في المقاهي نهارا. وذلك غير حياة الموسيقى الأصلية في الجزيرة. ولأنها ثالث أكبر الجزر في البحر الكاريبي، فتعتبر جامايكا موطنا لحوالي المليونين والنصف. عاصمتها كنجستون وهي أيضا أكبر مدينة. لكن معظم الزوار يتجهون نحو مدن المنتجعات حيث يقضون وقتا أفضل في الساحل الشمالي، خصوصا في نيجيل وخليج مونتيجو وأوخاريوس وغيرها.

وبينما أصبحت السياحة صناعة من النوع الثقيل إلا أن جامايكا لا تزال على صورة أقرب الى الفطرة، وكان يعيش هنا الروائي إيان فلمنج الذي اخترع أسطورة الجاسوس جيمس بوند في رواياته. وقد تحول منزله الذي كان يعيش فيه الى منتجع فاخر للمرتادين والراغبين، وكذلك النجم السينمائي الخرافي إرول فلين الذى كان يعشق هذه البلاد لدرجة الجنون، فقد كانت جامايكا فترة الأربعينيات والخمسينيات تستقطب الطبقات المرفهة من أصحاب الحياة المخملية من كبار النجوم وغيرهم من رجال الأعمال.

زمان الاستراحة :

يمكنك الاستمتاع بكثير من الرياضات المائية التى تقدم الترفيه والتسلية طوال النهار، أما في الليل فسوف تواصل مع الزوارق المائية الملتهبة بالموسيقى حتى الصباح، لكن أينما تذهب فعليك الانتباه الى الزمن فالطرق هناك ضيقة وملتوية، ولذلك يجب الالتزام بزمن الجزيرة، وهو ما سوف تعتاد عليه بسرعة. كل ذلك بسبب جماليات الطبيعة التى تريح أعصابك تماما، وهكذا ترى أنه كلما اقتربت من الطبيعة أحسست وتأثرت بمشاعرها أكثر. ينمو معدل السياحة هنا بمعدل ٥ ٪ سنويا مع زيادة تقدر كل عام بحوالى ٢ر١ مليون سائح. معظمهم يقضي استراحته في المنتجعات الكبيرة، لكن أيضا نجد أن تأجير الفيلات شيء متاح في خليج مونتيجو وغيرها التى تقدم لك الهدوء والعزلة. وتوفر لك الفنادق هنا كل شيء من الوجبات للمشروبات الخفيفة لوسائل التسلية والرياضات المائية حتى سيارات الأجرة، معظم الفنادق هنا شاملة الخدمة لكن عليك اختيار ما يناسب ذوقك منها.





من أهم هذه الفنادق : كارل هندريكس، ساندلس رويال، وكاريبيان. ومعظم الفنادق عائلية أما المنتجعات فهي تناسب كل الفئات والأعمار فيها منتجعات للمرح، وأخرى للجميع، بعضها للعائلات، وأخرى للعزاب، بعضها للرومانسية، وأخرى ممنوع الأطفال فيها، وأخرى خليط من الجنسيات، وهكذا.

قد يتساءل البعض عن مستوى الجريمة وهل تنتشر هناك بصورة كبيرة؟ نقول إن الجريمة في كل مكان ومن المهم أن نتبع التعليمات التى تخبرنا ألا نذهب الى بعض الأماكن ، وعموما على المرء أن ينتبه في أي مكان يذهب إليه. كما أن المنتجعات محاطة بأسوار عليها قوات حراسة. لذلك نجد أن جامايكا مثلا هي رابع دولة في العالم يقصدها الأميركان كل عام.

صعود الشلالات :

توجد شلالات الماء بوفرة في أوخاريوس، ويمكنك أن تصعد حتى بعضها في شلالات «دون». كما يوجد منظر بديع في خليج مونتيجو حيث يصب النهر العظيم في مياه المحيط، وهو ما تراه كأنك تنظر من شرفة هناك داخل فندق كبير. إن الصورة العامة للمشهد الطبيعي تمتلىء بالدهشة وتدعو للمغامرة. حوالى ٢٫٥٠٠ مليون سائح يوميا يغامرون بحياتهم بالتزلج فوق تلك الجبال من الارتفاع ٦٠٠ قدم. والبعض الآخر يرتاح للنزهة البحرية خاصة في دانجيفيل. كل ما تحتاجه فقط هو مرشد خبير. وشلالات نهر الدون، هي التى تتخذ اسم (أراواك انديا)، وهو اسم المرأة التى أغرقت نفسها حتى لا تكشف للغزاة الأسبان عن موقع مناجم الذهب. لكن المرح الآن هو الغالب على روح المكان. قد يغامر السياح بصعود الشلالات والانزلاق عليها لكن أهل الجزيرة يقومون بما هو أخطر، إذ أن بعضهم قد يقوم بالقفز من على أعلى الشجر، وهي مغامرة أخرى.

في جامايكا لا يعتمد المرح على حالة الطقس. فقد تكون السماء ممطرة والجو ضبابيا وفي الوقت نفسه الشمس في كبد السماء. والجو بطبيعة الحال بارد نوعا بصورة عامة.

البهار هو السيد :

وهناك مطعم «بارنت» الذي بني منذ عام ١٧٣٥ لواحد من كبار تجار السكر على نمط بيوت الأثرياء والمطعم يقدم لضيوفه عددا من الأطباق الخاصة بحياة أهل جامايكا، والتي تتميز بكثير من البهارات والتوابل، وتقاليد الطعام هناك تعتمد على تلك الخلطة التي تم اكتسابها من المقيمين على الجزيرة من الإفريقيين والآسيويين والأوروبيين بالإضافة الى تلك الطعوم التي وجدوها من أهل البلاد الأصليين.

من أشهر هذه الأطعمة فاكهة الخبز، الأكي وهي من البيض المقلي لكن بطعم السمك المملح، لحم الماعز بالكاري، السمك المدخن والسمك المدخن المتبل بالخل والتوابل، وهناك أيضا طبق «الجيرك» الذي يطبخون فيه الدجاج أو اللحم على مواقد من الخشب المشتعل بنار بطيئة وأفضل المطاعم له هو مطعم «جولدنين».

الباهاما جزيرة بدائية :

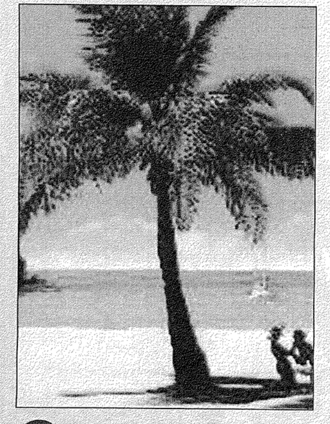
ينحدر تاريخ البلاد من خليط من ثقافات إفريقيا وأوربا والهند والصين. وبينما تعتبر الزراعة هي المورد الرئيسي إلا أن الاقتصاد الجامايكي يعتمد على تجارة السياحة. وحين تكون هناك يجب أن تبحث عن المواطنين لتتعامل معهم حتى تختلط بثقافتهم وتكتسب خبرة جديدة لم تكن لك من قبل. هناك حفلات جماعية تستطيع الالتحاق بها لتستمع إلى موسيقى الطبلة التقليدية هناك تحت قمر يشع بنور باهر ليلا. وهناك بعض البرامج السياحية المعدة لالتقاء الأهالي المتطوعين والزوار السياح.

أهل جامايكا يعشقون التسلية والمرح، وكذلك دعوة الغرباء إلى منازلهم للتعرف على حياتهم عن قرب. وتكون الفرصة أفضل لو قررت أن تقضي إجازة شهر العسل هناك مع عروسك في أحد المنتجعات. هنا قد تتطور الصداقات لتدوم وسط ثقافات وناس مختلفين وتتناول أطعمة مختلفة أيضا. كما أن زيارة الأسواق في البلاد البعيدة لا تعتبر أمرا لمجرد التسوق فقط، بل لشراء الحرف اليدوية التي يتميزون بها من حفر على الخشب يصور حياة أهل الجزيرة عليها، منذ عدة أعوام بدأت وزارة السياحة برنامجا للقاء المواطنين بالغرباء، أثبت هذا البرنامج فاعلية كبرى في نجاح برامج السياحة وزيادة متعة السائحين بالتفاعل مع أهل البلاد.

ثقافة المكان :

تستطيع أن ترى الناس كيف يعيشون وماذا يأكلون وما هي حدود ثقافتهم المحلية. ماذا يفعلون في العطلات وما هي أنشطتهم ليلا.

إن السياحة مع أهل البلاد تمكنك من التفاعل مع تاريخ المنطقة.

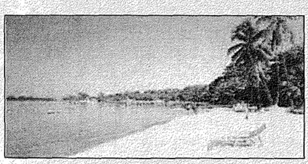


والاجتماعية زر أحد الأهالى في بيته ليلعب أطفالهم أيضا مع أطفالك، وكل ذلك تقريبا بدون تكاليف تذكر. وهناك جزر مبعثرة تقع على مبعدة من الباهاما بحوالى ٢٠٠ ميل من خط الساحل الكاريبي، هي جزر سان بلاس. وهي منطقة غير مألوفة حتى للسياح أو الزائرين في منطقة مجهولة من العالم. تصل إليها برحلة تستغرق حوالي نصف ساعة. لن تجد منتجعات هناك ولا ينابيع ولا ألعاب رياضية، إنها جزيرة معزولة نهائيا، ويصر أهل البلاد على عدم تحديثها مطلقا لتبقى شاهدا على زمان مضى.

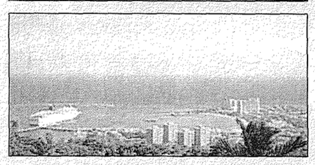
وفي الحقيقة فإن الحياة فيها على غرار تلك الحياة التى أقامها أولئك المهاجرون القدماء منذ أكثر من مائة عام تقريبا. وتعيش العائلات هناك في أكواخ بدائية أرضها غير ممهدة لكنها مشغولة بالتقاليد القديمة.

في أرخبيل سان بلاس هناك ٣٧٠ جزيرة صغيرة لكن القليل منها هو الذي يمكن الوصول إليه والمعيشة فيه ولو لساعات فقط. السكان المحليون فيها مجرد جماعات خجولة لكنهم مبتسمون دائما .

يمكث الزوار في غرف بالهواء الطلق بأسقف من القش والحوائط من خشب البامبو والأرض من الرمل فحسب. ترتدي النساء هناك ملابس ملونة ومزينة بالخرز والمشغولات البدائية على وجوههن الوشوم وفي أنوفهن أقراط من الذهب على أشكال هلالية، وكل هذا من أفضل الهدايا التى يمكنك شراؤها من جزر الباهاما، يعرض السكان عليك أكياس مخدات وألحفة وقمصانا وأي شيء مشغولا بطريقتهم الفنية البدائية، لكن أفضل الألوان في الجزيرة هو ما يحيط بها من شواطىء رملية وألوان بحرية فاتحة وغامقة في مشهد خرافي لن تنساه أبدا .







المباني من الأخضر واللون القرنفلي كانت هي أنماط بيوت العبيد في العصور الوسطى.

شارع «باي» هو الشارع الرئيسي الذي تستطيع التسوق منه بأسعار معقولة.

وهناك أيضا سوق المنتجات المصنوعة من القش للهدايا المصنوعة يدويا، بأسعار حوالي العشرين دولارا، وتكون سوق القش غير مزدحمة حين لا تكون هناك سفن راسية حديثا في الميناء.

ومن الملاحظ أن ثقافة المنطقة توشك على الاندثار لأنه مع كل جيل قديم يموت فإن الشباب يفضل للأسف طعام الأميركان السريع مثل الكنتاكي والماكدونالد وغيرها. وفي هذا خسارة كبرى لمحو الثقافات المحلية في إطار عولمة الأماكن.

حين تريد رؤية المناظر الطبيعية المحلية وتتعرف على طبيعة عمل أهل البلاد ومناسباتهم الدينية

معلومات موجـزة :

الاسم الرسمي : جامايكا.

العاصمة : كنجستون.

القارة : أميركا الجنوبية.

تعـداد السكان : ٥ر٢ مليـون نسـمـة تقريبا.

كثافة السكان بالكيلو: ٢٢٣ فردا لكل كيلو متر مربع.

إجمالي متوسط العمر : ٧٤.

إجمالي نسبة التعليم : ٥٨ بالمئة.

نوع الحكومة : ديمقراطية برلمانية.

الاستقلال: استقلت عن المملكة المتحدة في ٦ أغسطس ١٩٦٢م.

العملة : دولار جاميكي = ١٠٠ سنتس.

الموقع : تقع جـامـايكا في البـحـر الكاريبي ويحدها من الشمال كوريا وشرقا هايتي.

مظاهر السطح : مــعظم أراضي جامايكا جبلية ما عدا الساحل الجنوبي حيث يوجد به بعض الأراضي المنخفضة وتعتبر سلسلة جبال بلو هي سلسلة الجبال الرئيسية في البلاد وهي تقع في الجزء الشرقي للجزيرة وقمة جبل بلو «٢٥٦ر٢ متر ٤٠٢ر٧ قدم» وهي أعلى قمة في الجزيرة وتمتد سلسلة من الجبال الأقل ارتفاعا في منطقة الغرب الى نهاية البلاد ويوجد بالجزيرة ينابيع حارة في مناطق عديدة، تمر بالجزيرة عدة أنهار غير صالحة للملاحة.

المناخ : يسود مناخ استوائي على الأراضي المنخفضة الساحلية للجزيرة ويبلغ متوسط درجات الحرارة سنويا حوالي ٢٧ درجة مئوية وتسقط الأمطار على الجبال التي تقع في الشمال الشرقي أكثر من ٥٠٨٠ر٥ ملليمتر، أما في منطقة كنجستون فيبلغ المتوسط السنوي للأمطار ٣٢ بوصة وتبلغ الأمطار أعلى معدلاتها في مايو، يونيو ، أكتوبر ، نوفمبر ، وتتعرض الجزيرة إلى أعاصير في نهاية الصيف وبداية الخريف.

البيئة : تعتبر جامايكا جزيرة غنية بالكائنات الحية وبها بعض الأنواع المستوطنة إلا أنها مهددة بسبب تحويل الغابات إلى مزارع، وبعض المناطق القليلة يتم حمايتها عن طريق المحميات الطبيعية، وتسبب تحويل الأراضي إلى أراض زراعية في نقص المياه وتدهور حالة التربة وبالرغم من أن المياه الصالحة للشرب متوافرة إلا أن الخدمات الصحية مازالت قليلة في الجزيرة، كما تسببت المخلفات الصناعية، ومخلفات الصرف الصحي، ومخلفات البترول في تلويث المياه الساحلية وتسببت مخلفات عوادم السيارات في تلويث الهواء في كنجستون العاصمة ■





□ *توقفنا في الحلقة الماضية على القول بأن الأمير جماز بن شيحة تولى مكة شرفها الله في شهر صفر الخير سنة ٦٧٠ للهجرة الشريفة ثم أخرج منها بعد بضعة أيام ثم تولاها مرة أخرى في سنة ٦٨٧ للهجرة وتخلى عنها بسبب سم سقيه وعاد الى المدينة الشريفة وبذلك انتهت ولايته وكان ومعه أثناء ولايته الأولى شريكا له:*

الأمير الشريف غانم بن راجح بن قتادة الحسنى رحمه الله :

فتولى الأمر بمكة شرفها الله في سنة ٦٧٠ للهجرة كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام. فكانت مدة ولايته مع الأمير جماز أمير المدينة الشريفة شهرا واحدا وبضعة أيام. ثم إنه كان في هذه المرحلة في سنة ٦٧٠ للهجرة الشريفة:

الأمير الشريف أبو نمى الأول نجم الدين محمد بن أبى سعد الحسن بن على بن قتادة رحمه الله:

واليا للبلد الحرام شريكا للأمير ادريس بن قتادة الذى تقدم ذكره كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام، وكما سبق فانه تمكن من إقصاء شريكه السيد ادريس بقتله في معركة خليص فمنذئذ استفرد بالأمر ببلد الله الحرام دون منازع سوى ما دار بينه وبين أمير المدينة الشريفة السيد جماز ما قد سبق. فلما استقر له الأمر في هذه المرحلة طلب الى السلطان الظاهر بيبرس سلطان الديار المصرية والشامية والحجازية أن يتوجه بالتأييد.

فوافق السلطان على طلبه شريطة إلغاء المكوس والضرائب المفروضة على المسلمين والقاطنين بساحة بيت الله المحرم والحجاج والزوار وأن يبيح الحرم للعاكف فيه والباد وأن لا يمنع زائرا من ليل أو نهار. وأن لا يتعرض للتجار من الآفاقيين بظلم أو جور. وأن يكون أمينا على أموالهم وحراستهم، وأن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان، فالتزم الأمير أبو نمى بهذه الشروط ونفذ المطالب فورد اليه التأييد والتقليد لولايته حسبما ذكره الامام الفاسى في تاريخه العقد الثمين.

فلم يلبث أن عادت الأمور الى سابق عهدها فبلغ السلطان ما يدور ببلد الله الحرام من تجاوزات وقلاقل وذلك في سنة ٦٧٥ للهجرة المباركة فكتب السلطان بيبرس اليه تحذيرا برسالة موجزة وإشارة مؤثرة، بليغة في مضمونها لطيفة في أسلوبها وقال فيها: من بيبرس سلطان مصر الى الشريف الحسيب النسيب أبى نمى محمد بن أبي سعد .

أما بعد :

فان الحسنة في نفسها حسنة وهى من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهى من بيت النبوة أسوأ، وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وفعلت ما يحمر الوجه وتسود الصحيفة، ومن القبيح كيف تفعلون القبيح وجدكم الحسن (وهو هنا حسبما أراه يعنى الحسن ريحانة سيدنا رسول الله

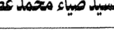


{صلى الله عليه وسلم} وليس حسن بن على بن قتادة) وتقاتلون في الحرم حتى تكون العبر، هذا وانت من أهل الكرم وسكان الحرم، فكيف آويت المجرم واستحللت دم الحرم، ومن يهن الله فماله من مكرم، فان لم تقف عند حدك، والا أغمدنا فيك سيف جدك والسلام، وأحببت أن أذكر نص الخطاب ليكون المطلع على دراية بمضمون الخطاب وهو أوجه، فكان رد الأمير على السلطان أيضا بشيء من الاعتراف بالذنب والتوبة عما بدر منه، ولكن بشيء فيه إباء وأنفة وفيه بعد عن التزلف والتملق المجوج فقال: من محمد بن ابى سعد الى بيبرس سلطان مصر أما بعد: فان المملوك معترف بذنبه تائب الى ربه، فان تأخذ فيدك الأقوى، وان تعفو فهو اقرب للتقوى والسلام..

ومضى الأمر بعد ذلك ولم يطرأ عليه شيء من التغيير. وفي سنة ٦٨١ للهجرة المطهرة قام السلطان المنصور بن قلاوون الصالحى باستحلاف الأمير ابى نمى على السمع والطاعة والمحافظة على الأمن بالرحاب الحرمية وتسبيل الديار المقدسة على الحجاج والزوار والمعتمرين والطائفين والعاكفين اللائذين بالحرم الشريف. كما ذكره العلامة نجم الدين عمر بن فهد الهاشمى في اتحاف الورى، ثم لم يزل الأمير السيد ابو نمى رحمه الله واليا على البلاد الحرمية حتى قبيل وفاته بيومين الى شهر صفر من عام ٧٠١هـ فوافته المنية بمكان يسمى وادى مر عن عمر يناهز التسعين عاما فحمل جثمانه الى البلد الحرام وطيف بجنازته البيت الحرام ثم دفن بمقابر الحجون بالمعلاة بمكة شرفها الله وهو ممن توفى بمكة شرفها الله من ولاتها.

وكانت مدة ولايته نحوا من احدى وثلاثين سنة، ونحوا من تسع واربعين سنة وبضعة اشهر مشاركا لغيره ومنفردا بها، وهى أطول مدة قضاها وال في ولاة البلد الأمين فيما أعلم.

وكان الأمير ابو نمى كما وصفه الشريف الداودى في عمدة الطالب: والامام السخاوى في التحفة اللطيفة. والعلامة ابو الفداء عماد الدين بن كثير القرشى في



السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

تاريخه البداية والنهاية : غاية في النجدة. نهاية في الشجاعة، وحيد عصره، وفريد دهره، وكان حليما وقورا ذا رأى وسياسة، وعقل ومروءة، رجلا عاقلا ضخم الجسم سايسا فارسا، شجاعا محتشما، فيه مكارم وسؤدد، وكان صالحا للخلافة، يرغب الى سماع الأدب، وله اجازات سنية من علماء عصره بالاسناد، وقد اثنى عليه كثير من العلماء، وقال فيه الشعراء والادباء شعرا ونثرا تركتها خوفا من الاطالة، ومن ذلك قول الاديب موفق الدين على بن محمد الحدودى قوله:

وفي الحرم الشريف خضم جود
كأن البحر أنحله النظامه
أما والحجر والحجرات منى
وبيت الله ثالثة قسامه
لئن نزلت بسوح ابى نمى
لقد نزلت على كعب بن مامه
بأبلج منه البدر نورا
وحسنا في الجمال وفي الوسامة
وذو كرم وزنت الناس طرا
بخنصره فما وزنوا قلامة

ثم تولى امارة البلد الأمين بعده ابنه :

الأمير الشريف عز الدين حميضة بن محمد أبى نمي الأكبر الحسنى رحمة الله عليه:

في شهر صفر الخير سنة ٧٠١ للهجرة الشريفة بعهد من ابيه له ولأخيه رميثة كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام. وكان والده قد عهد بها إليه قبل وفاته بيومين، فدعى له ولأخيه على قبة زمزم بالمسجد الحرام في يوم الجمعة، وكانت هذه وسيلة اعلام الناس بما يجرى اذ لم تكن في تلك الأيام صحف ولا وسائل مرئية ولا سمعية اعلامية، وكانوا ينادون في الشوارع والميادين والازقة للاعلام بما يجرى في البلاد ■



مع الأديب الكبير: يوسف الشاروني

□ ((يعتبر الأديب الكبير يوسف الشارونى أحد أهم من كتب القصة القصيرة في مصر والعالم العربي، بل وأحد المجددين فيها فهو كاتب يحاول التغلغل في أعماق القارىء ، وخلق أثر فنى، خلال الصور التى يعرضها عليه.

وهو مبدع يمتلك رؤى، ودلالات ، وأدوات تؤهله -بلا شك- لأن يتبوأ مكانة لائقة بين كتّاب القصة القصيرة، يقول الناقد الدكتور (أحمد درويش) : «لقد ساهم الشارونى من خلال كتاباته القصصية، في بناء أدوات كاتب القصة القصيرة التى تزوده بالمقدرة على الاكتشاف والتأمل والبناء، وتفجير (قابلية القص) في الحدث العادى».

كان لمجلة المنهل هذا الحوار مع الكاتب «يوسف الشاروني» :

●● أعرف أنه لسيادتكم ارتباط شديد بقرية «شارونه» ، لعل الناقد عبد الستار خليف قد فطن إلى ذلك فقال: «ظهر مدى تأثير هذه القرية الصغيرة على أديبنا الشاروني واضحاً»، وأنا أشتم في غالبية قصص مجموعة «العشاق الخمسة» رائحة الريف المصرى تنبعث بحميمية شديدة. وأيضاً في المجموعة القصصية «الكراسى الموسيقية».. الى أى مدى شكلت

قـــرية «شـــارونه» على وجـــه الخصوص، والقرية المصرية على وجه العموم اهتمامات ورؤى كاتبنا يوسف الشاروني؟

○ الكاتب بالطبع يستلهم ما يكتبه من بيئته وخصوصاً في أيام طفولته.. وأنا قاهرى النشأة.. ولست قاهرى المولد.. فأنا ولدت في «منوف».. ثم انتقل أبي إلى القاهرة.. فكنت أقضى أشهر الشتاء في الدراسة بالقاهرة.. ولكن في الصيف كنا نذهب عند جدى وجدتى فى قرية «جزيرة شارونة» بمحافظة المنيا.. كنا نقضى بها ثلاثة أشهر.. من هنا كانت معلوماتى وكل تأثيرات الطفولة.. كانت تتميز هذه الجزيرة بميزة فريدة.. ففي الشتاء كانت «شارونة» عبارة عن شبه جزيرة.. أمَّا الجزء الرابع فهو عبارة عن خور ملىء بالرمال الناعمة.. وهو منخفض يمتلىء عند الفيضان.. وكان هذا الخور يفصل ويصل بين جزيرة «شارونة» وبعض القرى الأخرى.. ليصبح مليئاً بالرمال فيلعب فيه أطفال القرية - وخصوصاً في الليالى القمرية - لعبة «المساكة» و«الاستغماية» ولا خوف عليهم من الرمال الناعمة.. حتى إذا ما جاء الفيضان في الصيف فإن الماء يعلو.. ويمتلىء الخور بالماء وينقطع الطريق بين قريتنا التى تصبح جزيرة والقرى الأخرى.. وكانت هناك سدود لئلا تغرق المياه المنازل.. وهذا ما ذكرته في قصة «الأم والوحش» وقصة «الثأر».

حاوره: **وفيق صفوت مختار**

- مصر -

إضاءة

- ولد «يوسف الشاروني» بمدينة منوف، محافظة المنوفية في ١٤/١٠/١٩٢٤م.
- حصل على ليسانس الآداب - قسم الفلسفة - جامعة القاهرة - عام ١٩٤٥م.
- تدرج في الوظائف الحكومية حتى أصبح وكيلا لوزارة الثقافة في يونيو ١٩٧٨م.
- منح في عام ١٩٧٠م جائزة الدولة التشجيعية في القصة القصيرة.
- منح في عام ١٩٧٨م جائزة الدولة التشجيعية في النقد الأدبي.
- له أكثر من ثمانية مجموعات قصصية أولها «العشاق الخمسة» عام ١٩٥٤م.
- له أكثر من عشرين دراسة نقدية في مجال الأدب.
- ترجمت أعماله إلى عدة لغات أجنبية الإنجليزية والفرنسية والألمانية.. إلخ.

●● لعلى ألمح في غالبية قصصكم دوران الأحداث - بخلاف القرية - في الأزقة والمنعطفات والأحياء الفقيرة والمناطق الشعبية المكدودة.. بل وفي الخرابات أيضاً.

هل يمكن القول أن الحارة المصرية بتلقائيتها، وافرازها الدائم لنماذج بشرية متباينة ومتغايرة هي النبع الذى راح كاتبنا يغترف منه هذا الأدب القصصى شديد الخصوصية؟.

○ أنا ليس لديَّ قصص مثلما يقولون إن «نجيب محفوظ» له مرحلة أطلقوا عليها المرحلة الاستاتيكية.. تلك التى كانت تدور قصصه فيها.. أو في أماكن معينة مثل «بين القصرين» و«قصر الشوق» و«السكرية».. أنا يهيأ لي أنه لا توجد لديَّ حكاية المكان.. لأنه لي قصص ليس لها مكان معين مثل قصة «الزحام».. الزحام في البيت والشارع وفي أي مكان.. أعتقد أن قصة مثل قصة «اعترافات ضيق الخُلق والمثانة» ليس لها مكان واحد محدد.. هناك منذ بداية كتاباتى أهتم وأركز على أشياء أخرى غير المكان.. وإن ركزت .. فأنا لا أركز عليه وحده.

●● أرى أن شخصية «إسماعيل» في قصة «قديس في حارتنا» هى شخصية ادَّعت الجنون، فأصيب بالخوف من أن يصاب بالجنون فعلا، كذلك هلع البطل في قصة «دفاع منتصف الليل» ولأنه يخاف كل شيء فهو يهرب من أى شىء، وفي قصة «هزيان» والبطل الذى يعاني صراعاً نفسياً رهيباً بسبب خوفه من النساء!! وغيرها.. شخصيات معقدة ومركبة.. هل نعتبركم من الكتَّاب المتميزين في تقديم مثل هذه الشخصيات السيكولوجية المعقدة والمركبة؟.

○ أعتقد هذا .. أعتقد أننى كنت من الروَّاد في هذا المجال .. هل تعرف متى كتبت هذه القصص؟ .. كتبتها في أوائل الخمسينيات، كتبت قصة «دفاع منتصف الليل» في عام ١٩٥٤م.. والسبب في هذا أننى كنت على اتصال بالمدرسة السريالية.. وأنا لم أكن بمفردى في هذا الميدان.. كان يكتب معى بنفس الطريقة «فتحى غانم».. «يوسف إدريس» عندما كتب مجموعته القصصية «أرخص ليالى» أصدرت مجموعتى القصصية «العشاق الخمسة» بعده بشهر واحد.. لكن لم تجد نفس الرواج لأن أسلوبها كان مختلفاً جداً.. أسلوب حداثى.. لم يكن له شيوع إلا بعد عام ١٩٦٧م.

الناقد لا يستطيع اللحاق بهذا الكم المتدفق من الكتابات

●● أسلوب يوسف الشارونى الرائع بناءاً وتكنيكاً وقصاً يجعلنى

أسـألهم: مـا جـدوى إغـراق بـعض القـصص في الـغـمـوض والرمـزية المكثـفـة بدعوى أنهـا من مـتطلبـات الحـداثة والتجـديد أو الخـروج عن المألوف!؟٠

○ طبعـاً أنا ضـد هذا الغـمـوض٠٠ وفي نفس الوقت أنا ضـد أن يكرر الإنسان نفسـه٠٠ أو يقوم بتقليد غيره٠٠ بمعنى أنني لابد أن أضيف جديداً في كل قصة٠٠ ولكن لا أصل لحد الغموض٠٠ لأن القـارىء لن يتـهم نفسه بالجـهل٠٠ وإنما سيتـهم الكاتب بالتعقيد وبالتالى لن يكمل قراءة القصة٠٠ ثم نحن ٠٠ لمن نكتب؟٠٠ نحن لا نكتب لأنفسنا٠٠ أو لبـعضنا ككتَّـاب ٠٠ الذين يكتـبـون الحداثة لا يكتـبون إلا لبـعـضـهم٠٠ ومن الجـائز جداً أنهم لا يفـهـمـون أنفـسـهـم ثم يدعـون الفـهـم!!٠٠ كله ادعـاءات٠٠ أنت تـكتب لجمـهور تُعبِّر عنه٠٠ فإذا كنت أنا أعبِّر عنه٠٠ وأكتب له٠٠ فلابد أن تكون هناك صلة بيني وبينهم٠٠ والقارىء أيضـاً يسـأم التقليد٠٠ سيسأل إذا كان هذا العمل قد قرأ مثله من قبل أم لا؟ لذلك ليس من المفروض أن أقدم له شيئاً مكرراً٠٠ الباب الضيق الخاص بالفن٠٠ هو أن تقدم جديداً لكن دون أن يكون لحد الغموض٠٠ لأن الجمهور سوف ينصرف عن قراءته٠

●● هنـاك من يرى بـأن الحـركـة النقدية على مستوى مصر والعالم العربى قـاصرة عن متـابعـة النتاج الأدبي الكثيف٠٠

بصـفـتكم أحد النُقَّـاد البـارزين ما رأيكم في هذه القضية؟٠

○ دعني اسـأل ٠٠ لماذا نكتب نقـداً؟٠٠ أنا بودى أن أعرف!!٠٠ النقد كله غُرْمٌ لا غُنْمَ فيه٠٠

لم يعـد هـنـاك الـهـام ابداعـي .. بل صنعـة



يوسف الشارونى .. والمحاور وفيق صفوت مختار

إذا كتبت قصة فقد تترجم إلى لغات أجنبية.. من الجائز أنها تنتج كمسلسل تليفزيونى.. أو فيلم سينمائى.. إذن العائد المادى والأدبى كبير جداً.. بينما إذا كتبت عملا نقدياً من الجائز أن تحدث خصومة بينك وبين صاحب العمل.. إذن أنا أريد أن أفهم ما هو العائد الذى يعود على الناقد في بلدنا؟.. هى عملية تضحية من جانب الناقد لإظهار نرجسية الكاتب؟!.. هذه هى عملية النقد عندنا.. من أجل هذا يكون شيئاً طبيعياً أن يتهم النقد.. ثم من هم النُقَّاد؟.. لا يوجد سوى استاذ الجامعة إذا كان يريد تجهيز بحث أو رسالة ليحصل في النهاية على ترقية.. هذا هو النقد!!.. لكن الناقد الحقيقى ليس هناك ما يشجعه على النقد إطلاقاً.. ثم إن الناقد لا يستطيع اللحاق بهذا الكم المتدفق من الكتابات.. أنا أصدرت كتاباً اسمه: «عن الأدباء» ضم خمسين أديباً هؤلاء (الخمسون أديبا) مسرورون لكتابتى عنهم وهناك آلاف غير مسرورين.. أنا أخاف أن أهدى الكتاب لأديب اسمه غير موجود في الكتاب.. فيغضب منى ويقاطعنى..

طبعاً النقد لا يتابع.. لماذا أعادى الناس؟.. وحينما أكتب قصة هل هناك من يعادينى؟ بالعكس.. سيقولون: الله.. القصة جميلة.. وآخر يقول أنا بودى أن أترجمها.. وغيره يقول سوف انتجها فيلماً سينمائياً أو سهرة تليفزيونية.. لكن هل مقالة النقد يمكنها أن تتحول إلى سهرة تليفزيونية؟!

●● قد يكون هذا العصر هو ما نطلق عليه عصر القلق والتعقيد.. وكان من الطبيعى أن تتأثر الرواية ومعها كل الأجناس الأدبية كالشعر والقصة القصيرة بكل هذا القلق، فصارت القصة لا تخضع لقواعد العقل والمنطق بل أصبحت صورة للحياة المفككة وخرجت في شكل وعاء يضم كل المتناقضات التى تجعل من الحياة لوحة من الأخلاط العجيبة الممزقة.

إلى أى مدى يصدق هذا الطرح؟.

○ هذا صحيح لحد كبير.. لكن مثلما قلت لك أنت تأخذ العمل وتكتبه بطريقة تستطيع من خلالها توصيل هذا الانطباع للقارىء.. ولكن لا تقطع الصلة بينك وبينه.. العمل لابد أن يُبنى.. بناء جمالياً ثم تقدمه للقارىء.. القصة.. وخصوصاً القصة القصيرة.. مهمتها اعطاء انطباع لدى القارىء.. وتوصيل هذا الانطباع بمختلف الوسائل.. بالشخصيات وبالأسلوب وبالأحداث وبكل هذا مجتمعاً.. وعنصر التشويق مهم جداً في القصة، حتى يشد القارىء لقراءة القصة كاملة.. نعم لابد أن أقرأ القصة لنهايتها.. وإذا لم أقرأها لنهايتها.. تكون النتيجة أن القصة لم تصلنى.. وهنا تكون القصة غير حقيقية.. ولا

من نقد الناس نقدوه.. والنقد كله متاعب

نطلق عليها قصة .. كثير جداً للأسف من الكتاب المشهورين الآن كتبوا في أول حياتهم روايتين أو مجموعتين قصصيتين وكانت أعمالا فنية ناجحة.. ثم اعتماداً على هذا بدأوا يكتبون ما أسميه «هذرا».. لأنى أنا لا أستطيع أن أكمل قراءة رواية لمثل هؤلاء أو لقصص كتبوها في فترة تالية.. بمعنى أنهم أضافوا كمًا ولم يضيفوا كيفاً.. وكانت كل شهرتهم أو كل كفاءتهم تقوم على أعمالهم الأولى التى كانوا مخلصين لها!!

القصة لا تخضع لقواعد العقل والمنطق

●● هل يؤمن الأديب يوسف الشارونى بالإلهام في عملية الإبداع؟ وإذا كان كذلك فإلى أى حد؟.

○ الإلهام عملية اندماج نفسى.. أنت تكون مستعداً نفسيا للكتابة أو للإبداع وبالتتابع.. أصبحت الكتابة عادة لديك.. بمعنى أن الإلهام نوع من العادة.. تعوّد قناة من القنوات السيكولوجية في المخ أنك تكتب شعراً أو تكتب قصة.. كل شيء تلتقطه.

ثم في هذا العصر الذى نعيشه حينما أكتب قصة مطلوبة لمسلسل تليفزيونى أو إذاعى.. يقولون لي إحذف هذا.. وأضف هذا.. فأصبح لديَّ نوع من الرقابة الداخلية.. ليست رقابة على الموضوع أو على الشكل أو القالب.. إنما رقابة على الوقت.. حينما أبدأ في كتابة قصة قصيرة.. فأنا أكتبها في خمس صفحات لأنى أعرف جيداً أن المجلة لا تنشر أكثر من هذا الحد.. لذلك أنا أقول هناك رقابة داخلية غير مباشرة على الكاتب.. حتى في الحجم الذى يكتبه.. العملية إذن أصبحت أقرب إلى الصنعة.. أعتقد أنه لم يصبح الآن هناك شيء اسمه إلهام.. أصبح هناك صنعة.. هناك مواصفات مُعينة وما عليك سوى أن تأخذ بها وتحققها.

●● ماذا يكتب الآن الأديب يوسف الشارونى :؟.

○ أنا أكتب سيرتى الذاتية.. سأكتب عن مكتبتى.. على فكرة ... أنا أقص بطريقة جديدة.. أسمى هذا العمل «ومضات الذاكرة».. لا أكتب سيرتى الذاتية بالترتيب.. أنا أكتب لقطات.. فمثلا أكتب في إحدى فصولى: «مكتبتى نبات متسلق» . وكيف كانت علاقتى بالمكتبات.. مكتبة دار الكتب، ومكتبة حلوان ومكتبة «لايفن» بهولندا.. أمَّا عن مكتبتى الخاصة فأنا أحكى كيف زحفت واستولت على أغلب حجرات منزلى.. والآن أنا لا أجد مكاناً وعاجز عن ترتيب الكتب ترتيباً جيداً.. فالكتب تراكمت.. فكل كتاب أحتاجه أبحث عليه فلا أجده.. من زحام الكتب.. فيكون الحل الأسهل أن أشتريه من جديد .. أو أستعيره من صديق.. وهكذا ■



الكشاف الرّصين عن أخطاء المعاصرين!!

□ *حدثنا ابن العيناء[١] قال:*

وهب الله لي منذ نعومة أظافري نفساً بين جوانحي جُبلت على الفكاهة والظرافة، فلا تطيب إلا بمفاكهة الأدباء، ولا تسعد إلا بممازحة الظرفاء. وبينا أنا في مجلس إمتاع ومؤانسة بلغني أن شيخي «سيبويه»[٢] قد برّح به المرض، وسرى في أوصاله السم، فضج عليه أهل المدر والوبر، والمبتدأ والخبر، وأهل شيراز وتبريز، والحال والتمييز، وأسفت عليه كان وأخواتها، وإن وصويحباتها، وكاد وقريباتها، وظن وجاراتها، واعتلت لعلته الأفعال، فوهن المثال، وهان الأجوف، وهوى الناقص المختال! ولما تيقنت النبأ هُرعت الى الطبيب الأديب الشيخ الرئيس ابن سينا[٣] وقبلت يديه وعينيه، وصحتُ:

يا أبا علي، أدرك سيبويه.. أدرك شيخ النحاة والفضلاء.. أدرك من قيل فيه: هو والبحر سواء.

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلّي إلي من قد هويتُ أطيرُ[٤]

قال: ما خطبك يا أبا العيناء ؟

قلت: يا شتات الأفعال والأسماء، ويا ضياع حروف الهجاء!

قال: وما دهى سيبويه، شفاه الله وعافاه ؟

قلت: لسعته عقرب قد كنت أظنها أشدّ لسعة من الزنبور[٥] فإذا هو هي!

قال: فما تعني بقولك: فإذا هو هي ؟

قلت: فإذا هو (أي سيبويه) طريح بسمها، وقد دنت عقارب ساعته!

قال: ما أظرفك يا أبا العيناء! ما لُسع سيبويه وما لُدغ، وإنما الأمر مسألة نحوية: فقد رُوي أن سيبويه والكسائي[٦] اجتمعا في مجلس، فسأله الكسائي: كيف تقول قد كنت أظن أن العقرب أشدّ لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب. فقال الكسائي: أخطأت، العرب ترفع ذلك كله وتنصبه. فلما اختلفا جيء بالأعراب فقالوا: القول ما قال الكسائي! وانصرف سيبويه

حزيناً أسفاً، وهو يردد: وما لي إلا مذهب الحقّ مذهب[٧].

قال أبو العيناء : إني لعلى يقين يا أبا علي، أن سيبويه ملدوغ، ولست أصدق حكاية النحاة[٨]، ولا أحمل كلامهم إلا على التوهّم[٩].

قال : عجباً لك يا أبا العيناء، فمن المعضلات توضيح الواضحات!

قلت : أحبّ النحاة، ولا سيما سيبويه، ولا أطيق أن ينال بسوء، وإعجابي به أشد من إعجاب المخدوعين والمخدوعات بالفنانين والفنانات، فإذا هم هنّ في الفجور!

قال : لئن مات سيبويه - وكل حي لا محالة هالك - فلقد سمعنا ونحن بالمهجر أن رجلا يقال له الدكتور «صرصور» أنحى من سيبويه ! وأنه قد «قعّد» النحو بعد أن كان حياً واقفاً، و«سكّن» الكلام بعد أن كان سلساً متدفقاً!

قلت : دعنا من صراصير الجامعات وربطاتهم اللامعات، فلقد عجزت أمّات النحو أن يلدن مثل سيبويه. فهيّا أبا علي، فلن نبرح حتى نبلغ شيخ شيراز، ولا تنس أجهزتك الطبية، وأدواتك العلاجية.

ثم قصدنا شيراز، وألفينا سيبويه مسجى يكاد يموت كمداً، فلما رآنا وثب كأنما نشط من عقال، وأخذنا بالأحضان، وهو يهلل: الله



د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -

أكبر.. الرئيس ابن سينا في بيتنا، والظريف أبو العيناء بيننا، فما عهدنا - والله - أن الرؤساء يتفقدون المرضى والفقراء، ويتركون «يخوتهم»[١٠] ومنتجعاتهم، وما عهدنا أن الظرفاء يجالسون البسطاء ويروحون عنهم، وعهدنا بهم التهريج في المسارح، والرقص مع كلّ نابح!

قلت : لنحن أشد فرحاً بك وإعجاباً وإكباراً، فأنت شيخ العربية، وقمتها الهرمية، وأما الأشباه فقد آثروا «الشفرليه» على علم سيبويه، واستبدلوا بالإبل «الأبل» ، وتزوجوا العامية! ولقد سمعنا أنك محموم بسمّ العقرب والزنبور، وضائق صدرك بمن غمطوك حقك، وتظاهروا عليك، وخطفوا الأضواء من بين يديك، فجئنا لنعالجك، ونشدّ أزرك، ونروّح عن نفسك.

فقال سيبويه : لا تثريب عليهم، يغفر الله لهم، فلقد عدتُ - والله - مغموماً وقد ضاقت بي الدنيا على سعتها:

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة
من الرُّقش في أنيابها السمُّ ناقعُ[١١]!

فنهض ابن سينا، وفحصه فحصاً سريرياً دقيقاً، وأعطاه الدواء حتى لا «يتعدى» عليه

فيروس، أو «يلازمه» داء منحوس! ولما أتم فحصه قلت لابن سينا:

مَّ يعاني هذا المواطن الفقير يا سيادة الرئيس؟!

قال : ضغط مرتفع، وفقر دم مدقع، ونقص في الهيموجلوبين أو الخضاب الناقل للأوكسجين، وتكسّر في الصفائح الدموية، وتحسر على حال العربية، وعلينا أن نحافظ على نزع الخافض[١٢].

أتدري ما أعني بنزع الخافض يا أبا العيناء؟

قلت : أدري، إنك تعني تخفيض الأسعار، وإشاعة الاستقرار، فلو نعم بها هذا المواطن المغوار لما مسَّه الضر «بالحمل على الجوار»[١٣] أي على جوار خط الفقر أو خط الاستواء الحار!

قال سيبويه :

عسى الكربُ الذى أمسيتُ فيه
يكون وراءه فرج قريب![١٤]

والله ما أسقمني إلا تراطن الأعاجم حولي، وفشوّ اللحن في أهلي، وتداعي الأمم على أمتي، حتى غدا عيشها كأنه «جحر ضبّ خرب» وغدت لغتها الشريفة العريقة متهمة منتقصة تنعى حظها بين أهلها:

فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني
وفيكم وإن عزَّ الدواء أساتى
سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً
يعز عليها أن تلين قناتي

أرى كلّ يوم بالجرائد مزلقاً
من القبر يدنيني بغير أناة
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات[١٥]

قلت : لما ركن العرب الى الدعة والطرب، والمال والنشب، فشا اللحن بينهم، فناموا عن لغتهم وأدلج الناس، وصار أبو درهمين ديكاً فصيحاً، وعضواً في المجامع اللغوية:

من كان يملك درهمين تعلمت
شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدّم الفصحاء فاستمعوا له
ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى في كيسه
لرأيته شرّ البرية حالا[١٦]!

ولكن يا أبا بشر، لِمَ تمنع الأمة المعاصرة من سماع «اللحن» والموسيقى وقد حررت بيت المقدس، وأعادت الأندلس، وأخضعت الهند والصين وملايين الأعجمين، وحوّلت حلف «الناتو» الى حلوى «الجاتو»[١٧].

قال : لا علم لي بهذه المسائل «العسكريات»[١٨]، وإنما علمها عند البطلين ابن تاشفين وصلاح الدين[١٩] ويعرفها ـ ولم يقتف

أثرها ـ سيادة الرئيس ابن سينا، ولا أظن أن ذلك يعزب عنه!

قال ابن سينا وهو يتقمص شخصية رئيس مهيب: لقد أصدرنا للجماهير مرسومنا الإستراتيجي الموسوم بنعم ولا: نعم لخيار السلام، لا للحرب والصدام. نعم للتطبيع مع اللئام، لا للوحدة والوئام. نعم للعولمة الثقافية، وسيادة «الإسبرانتو»[٢٠] والعامية. لا لتعريب العلوم، ولا لأسلمة الفهوم. نعم لإسماع الأمة «اللحن»، وإشغالها بالكرة والصحن!

قال سيبويه : ثكلتك أمك وأمتك، إنك لتقول منكراً من القول وزوراً. أتريد أن تجرد الأمة من ثوابتها لتركع أمام أعدائها؟ والله لا ينقص الدين، ولا تنقص العربية، وأنا حي. أفلا تكون كبطل السلاح محمد علي جناح[٢١] الذي قال: «لو خيروني بين رئاسة باكستان ودواوين إقبال لاخترت دواوين إقبال»[٢٢] أفلا تنحازالى دينك وأمتك ولغتك؟!

قلت : هوّن عليك أبا بشر، فقد لان جلده، وفسدت إستراتيجيته بما أصابه من رذاذ الدولارات، ومازالت همّته تصعد به حتى تربع بين الاستبداد والإفساد، وأظن أن كرسيه الدوار من صنع الخواجا النجار! فلا ينحاز إلى لغته؛ لأنه من منظمة عدم الانحياز! وقد أسمعت لو ناديت حياً!

قال ابن سينا : عفواً أبا بشر، أحسبني قد ضيّقت عليك، فليس لنا من الأمر شيء، ونحن مقيّدون باتفاقات الخبراء، وبروتوكولات الحكماء!

قال : بل سُلب منكم القرار، فأنتم دمى في ثياب أحرار، قد ضيقتم على الأمة بأسرها، وأنتجتم جيلا لحّاناً خوّاراً فقد الفطرة الصافية، والحس السليم، فلا يكاد يفرّق بين التاء المفتوحة والمربوطة، ولا بين الوَفَيات والوَفِيّات، ولا بين الأكْفَاء والأكفّاء، ولا بين الحلال والحرام، ولا بين السلام والاستسلام!

يا بن سينا، أين سيناء وأخواتها؟ أين أفعال الشروع لإنهاض الأمة، لماذا صرفتم «فلسطين» في أسواق المال، وهي وقف ممنوعة من الصرف؟ أين كنتم لما غلبكم بنو قينقاع، وسفّلوا بكم الى القاع؟!

قلت : والله يا بن سينا، لا تخرج من بيت سيبويه حتى ترفع الراية البيضاء مستسلماً، أو لنسجننك حتى حين، فقد خالفت الثوابت والقوانين. ألم تر إلى فارس والروم كيف يعتزون بقيمهم ولغاتهم ويبذلون النفس في سبيل رفعتها وسيادتها، ويعاقبون من يلحن، ويقلبون له ظهر المجنّ؟!

قال ابن سينا : هداكما الله، إنما أنا رئيس في الطب، وبريء من كل كرب لحق بالعرب، فأخرجاني من قعر مظلمة:

ولا تحسداني بارك الله فيكما
من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا![٢٣]

وما قلته تمثيل محض لواقع مرّ ممض، وأعلن أنني من أنصار العربية، وجندها الأوفياء الذين يرددون دائماً:

لغة إذا وقعت على أسماعنا
كانت لنا برداً على الأكباد[٢٤]

وأعلن عن إعادة نفسي المحلقة مع المركبات الفضائية لأفتدي بها القضية والعربية فأبشر أبا بشر:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع[٢٥]

فسرّ سيبويه، وعاد الدم يجري في عروقه، فقاما وتعانقا.

فقلت : لن أقبل رأس الشيخ الرئيس حتى يخبرني عن الذي مرَّ على جامعة عربية، فرأى لافتة مكتوباً عليها: يرجى التواجد لحضور ندوة عن أبو الطيب المتنبي «فقال صاحبنا: سبحان الله، يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح»!

قال ابن سينا: عرفته، إنه أبو الأسود الدؤلي![٢٦]

فقمتُ وقبلتُ سماعته الطبية، وقلت: صدقت يا أبا الأبيض الدؤلي! أما أنت أبا بشر، فإن أخبرتني عن مسألتي فسوف أطلب من فخامة الرئيس أن يتكرّم بتعيينك عضواً في جامعة «اللحن واللحم» لتسمع لحناً وتشبع لحما! إنك تكثر في كلامك من تكرار كلمة «حتى» فما سرّ ذلك؟

قال : أخشى أن أموت وفي نفسي شيء من «حتى» فيتطاول عليها بطرس ومتّى!

قلت : الحمد لله الذى قيّض للعربية رجالا مثلك، وكشف زيف آخرين، لا همَّ لهم إلا بطونهم، وإنك لتستحق قبلة عصرية من كل محبّ للعربية، وحقاً:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتى على قدر البطون الولائم![٢٧]

ولكن يا سيبويهنا العظيم، نحن نلومك - سعادتي وسيادة الرئيس - على تقصيرك في وضع فصل عن اللحن اللغوي المعاصر، والشحن الاقتصادي الخاسر، والطحن الاجتماعي السافر.

قال : قد فعلتُ يا أبا العيناء يوم كنت وسيادة الرئيس ابن سينا مشغولين بالمهرجانات، والطائرات تقصف المطارات، وأنتم تُمنّون السمك بلحوم بني قريظة، وقد أعجبتكم خطابتكم، فلم ترد عنكم رصاصة، حتى إذا هُزمتم قلتم: خسرنا جولة، ثم قعدتم.

قال أبو العيناء: فغضب سيبويه واحتدّ، واشتدّ عليه «الضغط» فأصابته جلطة حادة. وحاول ابن سينا إسعافه وإنقاذه، ولكنه ما لبث أن فارق الحياة كمداً. فحزن عليه محبّوه، وبكاه ورحم

عوده، وأسفنا عليه أسفاً عظيماً. ولما رجعنا إلى أهلنا حملنا كتابه معنا، ووجدنا بهامشه الفصل الذي جلطه، وفجر دماغه، فإذا هو إياه، وإذا عنوانه:

الكشّاف الرصين عن أخطاء المعاصرين!! ■

الهوامش :

(١) أبو العيناء: محمد بن القاسم، ولد في الأهواز، وصفه ياقوت الحموي بقوله: «كان فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم، آية في الذكاء وسرعة الجواب» (ت ٢٨٣هـ).

(٢) سيبويه : عمرو بن عثمان، أكبر علماء النحو وأشهرهم ألف فيه كتاباً عُرف باسم «الكتاب» أخذ عن الخليل وغيره. توفي بشيراز سنة ١٨٠هـ.

(٣) ابن سيناء : أبو علي عرف بالشيخ الرئيس، فيلسوف وطبيب، له القانون في الطب والشفاء في الفلسفة، وهو أديب شاعر. (ت ٤٢٨هـ).

(٤) البيت للعباس بن الأحنف، وهو من شواهد النحو.

(٥) الزُّنبور والزنبار والزنبورة: ذباب لسّاع. والزُّنبور : الدّبر.

(٦) الكسائي : علي بن حمزة، إمام في النحو والقراءة من أهل الكوفة، (ت ١٨٩هـ).

(٧) من بيت للكميت بن زيد، وهو من شواهد النحو.

(٨) الحكاية : الخبر المروي. والحكاية في النحو: بقاء لفظ الكلمة على حاله، وإن تغير العامل. تقول: قرأتُ سورة «المؤمنون».

(٩) التوهّم : مخالفة المعطوف للمعطوف عليه في حركة الإعراب على توهم أن محل الأول مخالف للفظه. تقول: لستُ مدرك العلماء، ولا سابق فضلهم.

(١٠) اليخوت : جمع يخت، سفينة أنيقة للتنزه والرفاهية، والكلمة هولندية.

(١١) البيت للنابغة الذبياني، وهو من شواهد النحو.

ساورتني: واثبتني. ضئيلة: دقيقة قليلة اللحم. الرقش : الحية المنقطة. الناقع: القاتل.

(١٢) نزع الخافض : نزع حرف الجر مثل : تمرون الديار ولم تعوجوا. أي تمرون بالديار.

(١٣) الحمل على الجوار: نقول: هذا جحرُ ضب خربٍ. الأصل: خرب صفة الجحر، ولكنها جُرّت لمجاورة «ضبٍّ» المجرورة.

(١٤) البيت لهدبة بن خشرم. وهو من شواهد النحو.

(١٥) الأبيات للشاعر حافظ إبراهيم.

(١٦) الأبيات لأبي العيناء نفسه.

(١٧) الناتو: حلف شمال الأطلسي أنشيء ١٩٤٩م وهو حلف عسكري. الجاتو: حلوى من حليب وبيض وزبدة، وهي فرنسية وتعريبها القُرنية.

(١٨) العسكريات: مسائل نحوية وضعها أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) بمنطقة عسكر.

(١٩) يوسف بن تاشفين: سلطان المغرب وباني مراكش وموحد الأندلس (ت ٥٠٠هـ). صلاح الدين: قائد مؤمن فذ، وهو بطل حطين، (ت٥٨٩هـ).

(٢٠) الإسبرانتو: لغة مخترعة من ألفاظ اللغات الأوروبية، اخترعها «زامنهوف».

(٢١) محمد علي جنّاح: قائد عظيم ومؤسس باكستان سة ١٩٤٧م وقانوني مشهور (ت ١٩٤٨م).

(٢٢) محمد إقبال: شاعر باكستان، مفكر بشر بالعمل والجهاد، له آثار منها هدية الحجاز. (ت ١٩٣٨م).

(٢٣) البيت لمالك بن الريب.

(٢٤) البيت للشاعر حليم دموس.

(٢٥) البيت لابن سينا وهو مطلع قصيدته في النفس.

(٢٦) أبو الأسود الدؤلي: واضع أسس النحو، (ت ٦٩هـ).

(٢٧) البيت للمتنبي، وشطره الثاني: وتأتي على قدر الكرام المكارم.

في النحو العربي

البحث اللغوي عند (علي الجارم)

□ ذاعت شهرة الجارم في الأوساط الثقافية بنتاجه الأدبي : شعرا وقصة ، وقلّ من يعرف للرجل إسهاماته في البحث اللغوي ، لذا كان على الباحثين مهمة البحث عن جهود علي الجارم في البحث اللغوي لتكتمل النظرة الى هذا الأديب والشاعر واللغوي . . وقد كان لنشأة الجارم وحياته العلمية والعملية دور كبير في اهتمامه بالبحث اللغوي هذا الاهتمام الذي توج باختياره عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في أكتوبر ١٩٣٣م . إذ تلقى الرجل تعليمه في الأزهر ودار العلوم وعين مدرسا ثم مفتشا بوزارة المعارف ومدرسا بدار العلوم فوكيلا لها حتى أحيل الي المعاش سنة ١٩٤٢م[١] وكانت وفاته في ٩ فبراير ١٩٤٩م[٢] ، ويمكن تقسيم اسهامات الجارم في البحث اللغوي في ميدانين:

- الميدان الأول في رحاب مجمع اللغة العربية.
- الميدان الثاني خارج مجمع اللغة العربية.

نشاط مجمعي حافل:

فمنذ اختيار الجارم عضوا في مجمع اللغة العربية، ومشاركاته تشهد له بالجهد الدائب والنشاط المتصل في مؤتمر المجمع ولجانه[٣] فقد اشترك الجارم في كثير من لجان المجمع مثل:

- لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفة.
- لجنة الأدب .
- لجنة اللهجات ونشر النصوص.
- لجنة الأصول.
- لجنة الكيمياء.
- لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم.
- لجنة المعجم الوسيط[٤].

وقد أثرى الجارم المكتبة اللغوية المجمعية بالعديد من البحوث العلمية، كان لها كبير الأثر فيما أصدره المجمع اللغوى المصرى من قرارات علمية. ولا تزال هذه البحوث تمثل مراجع لا غنى عنها لكل باحث في الدرس اللغوي.

ومن بحوثه اللغوية :

- الترادف، وقد نشر في مجلة المجمع، الجزء الأول ص ٢٠٣.
- الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية، وقد نشر هذا البحث في مجلة المجمع، الجزء السابع ص ٣٤٧.
- طريق تكميل المواد اللغوية، ونشر في مجلة المجمع الجزء الثالث، ص ٢١١.
- مراتب وضع الألفاظ، وقد نشر في مجلة المجمع الدورة ٢، الجزء ١٢ ص ١٢١.
- المصادر التى لا أفعال لها، نُشر في المجلة الجزء الرابع، ص ٢٢٥.
- الوضع بطريق المجاز، نشر في محاضر الجلسات الدورة الأولى الجزء ٣٥، ص ٤٤٨.
- وضع قواعد جديدة يستعان بها في اشتقاق الأفعال من الجامد عند الضرورة، نشر في الدورة ٢٩، الجزء ٨ للمؤتمر، ص ٢٣٥.

في معالجته للقضايا المتضمنة في هذه البحوث يورد الجارم آراء العلماء السابقين، ثم يعرض لرأيه في القضية، وبينما نرى المصادر التى اعتمد عليها في قضية الترادف مثلا كالمزهر للسيوطي، والخصائص لابن جني.. نجده في مبحث آخر يغفل ذكر المراجع، ومن ذلك حديثه عن الجملة الفعلية أساس التعبير في العربية، فنرى كثيراً من الأفكار التى ذكرها وردت عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، دون أن يشير الى ذلك.

ومن القضايا اللغوية التى جاءت مبثوثة في بحوث على الجارم اللغوية: قضية الكلمات أو المصطلحات الأجنبية التى دخلت الى العربية مع إمكانية وجود البديل العربي لها، وأثر البيئة العربية في غلبة تركيب لغوى على آخر.

المصطلحات الأجنبية في اللغة العربية:

يرى الجارم أن من أسباب ظاهرة الترادف في اللغة العربية : تأثر المؤلفين المحدثين بألسنة أجنبية شتى . فتراهم يرسلون أحيانا في عباراتهم كلمات أجنبية ، تدخل هذه الكلمات في اللغة فلا يستطيع بعضها أن ينال حق البقاء.. وبعضها يأخذ طابع اللغة ويندمج في كلماتها..(٥)

هذه الاشارة من عالم لغوي تنبه الى شيء جد خطير ، يتعلق بمستقبل اللغة وهوية الأمة، وهي كيفية مواجهة العربية لمصطلحات العلوم والفنون الجديدة .. فهل يقف أبناء العربية عاجزين أمام هذه القضية..؟ .ويسمحون لهذه الاصطلاحات أن

مصطفي أحمد قنبر

- قطـــر -

تدخل الى عربيتهم ، وشيئا فشيئا تصبح هذه اللغة لسان العلم والتعليم في بلاد العرب؟!

والمخرج الوحيد في هذه القضية هو تعريب هذه المصطلحات والثروة اللفظية العربية غنية بما تحتاجه العلوم والفنون من تعبيرات.

ويتنبأ الجارم بالعودة الى هذه الثروة لسد مطالب حياتنا من الألفاظ الجديدة[٦].

أثر البيئة العربية في غلبة تركيب لغوى على آخر:

يؤكد الجارم أن طبيعة العربي تقديم ما يهتم به، فاهتمام المرء بالحدث جعله يذكر الفعل أولا، ثم ينسبه إلى من صدر منه.

ويدلل على أهمية الحدث في طبيعة المتكلمين - في رأيه - أن اللغات تكتفى كثيراً ببناء الفعل للمجهول وتهمل فاعله. ويعلل الجارم لما ذهب إليه بما يلي:

- ارتباط ذلك بالبيئة التى كان يعيش فيها العرب، حيث البداوة التى تحيط بها المخاوف ويكتنفها التوجس، وتكثر فيها المفاجآت، فكان يهمهم أن يسرع المتكلم بذكر الحدث قبل منْ وقع منه الحدث.

- الفعل في نظر العربي يتضمن فوق الحدث الذى يفيده، نوع الفاعل. فإذا قيل مثلا (عدا) كان

الفاعل حيوانا خاصاً مما يصح أن يعدو٠٠

- العربي ميال بفطرته إلى الايجاز وتجنب الفضول، فهو يقول (جاء الرجل) ولا يقول (الرجل جاء)، لأن الثانية تتضمن تكرار الإسناد لا محالة، وهو لا يلجأ إلى تكرار إلا لغرض بلاغي[٧]٠

فهذا التعليل والتحليل من الجارم يظهر إلى أي مدى كان هذا اللغوى مهتما بعمق البحث والتحليل والإقناع٠ ولكن القول بأن طبيعة البيئة التى كان يعيشها العربي جعلته يهتم بذكر الحدث، دون من وقع منه الحدث، فيه شيء من التزيد! فهل البيئة الأجنبية التى لا تبدأ كلامها بالفعل كانت تعيش في أمن وطمأنينة جعلت المتكلمين ليسوا بحاجة إلى أن يبدأوا كلامهم بالفعل أو بغيره؟!

أليست هذه البيئة العربية المملوءة بالمفاجآت كان المتكلم فيها يبدأ بذكر من وقع منه الحدث قبل ذكر الحدث، وهو يعيش هوْل الحادثة أو الكارثة؟!

إذن فليست طبيعة البيئة العربية سبباً في اهتمام العربي بذكر الحدث أولا، ثم من وقع منه الحدث٠

أما أن الفعل في نظر العربي يتضمن فوق الحدث، نوع الفاعل، كما أنه يتضمن مع الحدث الزمن الذى وقع أو يقع فيه٠ فإن اللغات الأخرى - لا جدال - يتضمن الفعل فيها الحدث ونوع الفاعل وزمن الفعل، فالفعل (يكتب) في الانجليزية وكذا في الفرنسية يتضمن نوع الفاعل وهو أنه إنسان، كما يتضمن الزمن الذى وقع أو يقع فيه هذا الفعل ٠٠ فلمَ لمْ تبدأ هذه اللغات كلامها بالفعل؟!٠

الجارم والثروة اللفظية:

تدل مجموعة البحوث التى تركها الجارم، على عنايته الفائقة بالثروة اللفظية، وقد انصب هذا الاهتمام في ثلاثة مجالات هي:

- المصطلحات الخاصة بالشؤون العامة٠
- تكملة بعض المواد اللغوية الناقصة في المعاجم٠
- المصادر التى لا أفعال لها٠

دراسات وبحوث ومؤلفات على الجارم في اللغة العربية كان لها أثرها وقبولها عند دارسي العربية

ففي بحوثه في مصطلحات الشؤون العامة، درس الجارم ثلاثين مصطلحاً، وكان منهجه في ذلك:

- العودة الى مصنفات الثروة اللفظية في المعاجم مثل: لسان العرب، التاج، المصباح، القاموس٠
- مناقشة ما نقله من آراء٠
- رأيه الخاص في كل مسألة٠
- رأى المجمع اللغوى وقراره في ذلك٠

أما تكملة بعض المواد اللغوية الناقصة في المعاجم فهو مجال بحثى آخر أثبت فيه الجارم قدرته على دقة النظر، وحيطة وأناة في العمل، وذوقاً حساساً في العربية وإلماماً وبصراً بعلم الصرف٠

وقد ألزم الجارم نفسه بالبحث في هذه القضية، فدرس ثمانيا وخمسين مادة ناقصة في جميع المعجمات التى ظفر بها، وانتهى في كل منها إلى حكم بعد البحث وطول النظر، معقباً عليها بما يراه مع ذكر النصوص اللغوية في كل مادة.

ويتصل بهذا البحث، بحوث الجارم في المصادر التى لا أفعال لها. ولما كان يشترط في هذا التكميل، ألا ينص علماء اللغة أو يشيروا إلى أن المادة لم يسمع لها فعل، أو أن فعلها أميت؛ وجب على الباحثين أن يلموا بنصوص اللغويين في هذا الصدد حتى لا يصاغ فعل لم يجيزوا صوغه بالاجماع، وقد اعتاد بعض العلماء أن يعقبوا على بعض الأسماء أو المصادر بأنها لا فعل لها.

ولكنّ الباحث إذا واصل البحث واستقصى كثيراً من المراجع وجد من اللغويين مَنْ يذكر لها أفعالا، ورأى أنهم في المادة الواحدة قد ينقلون رأيين: أحدهما يقول بجواز صوغ الفعل، والآخر بمنعه من غير تعقيب[٨].

هكذا سار الجارم في بحثه عن المصادر التى لا أفعال لها.

العربية لن تموت :

يؤكد الجارم أن اللغة العربية لن تموت وستبقى محفوظة، لكنها قد تضعف وقد تقوى إذا وجدت الطريق أمامها معبداً، ويؤكد: لو أن لغة أخرى تعرضت لبعض ما تعرضت له العربية لما كان لهذه اللغة وجود: «أعتقد أن حيوية هذه اللغة أقوى من كل حيوية في سواها، وأنها تبقى كامنة خادرة حتى إذا وجدت السبيل أمامها مذللة والطريق معبدة، وثبت وثبة تطوى لها الأرض وتطأطىء لها الجبال. وإن نظرة في تاريخ الفصحى تدل على أنها تنقبض في صرفها ولا تموت وتتصل في ألواحها ولا تمحى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، فلقد أصابت العربية أحادث ومستها قروح، كان أقلها كافياً لهدم أقوى اللغات ركناً، وأمنعها حصناً من غارات للأعجمية ذهبت بالرطب واليابس وجولات للشعوبية، كادت أن تقضى على الشرف الخالد والمجد التالد»[٩].

ومن هنا يرى الجارم أنه يجب على رجال العربية أن يقوموا بنصرتها وشد أزرها، والإشادة بمجدها، ومن ذلك تطهيرها من أدران اللحن وتنقيتها من فاسد الأساليب[١٠].

من هذا المنطلق قام الأستاذ الجارم بنشر عدة بحوث لإصلاح الأنماط الشائعة في اللغة العربية على أيدى الكتاب والمتحدثين ضمانا لوصول الرسالة بدقة ووضوح الى المتلقى (القارىء أو السامع). ولم يكتف الجارم ببيان الخطأ في المفردات وإنما تطرق إلى العبارات أيضا مع التنبيه الى وجه الخطأ وكيفية تصويبه.

وكان منهجه في ذلك يسير في الخطوات التالية:

- ألا يحكم بخطأ كلمة لها في العربية وجه مقبول.
- ألا يتجاوز عن غلط يأباه ذوق العربية، وتنبذه نصوصها، وتتجافى عنه أصولها.

- الحكم في هذه القضية، يصدر عن نضج في اللغة والأدب، وتمكن من طرائق العرب في تصريف الأبنية ومناص استعمال الكلام. فرب كلمة لا تجد لها نصاً في المعجمات لكنها جاءت في أشعار المتقدمين، وعبارات كبار الكاتبين الذين يحتج بهم لمكانتهم في اللغة[١١].

بهذا المنهج الذى يتحرى الدقة عمد الأستاذ الجارم الى الأغاليط الشائعة في اللغة العربية، فتحرى عن صوابها أولا، ثم عن وجه الخطأ فيها، وأخيرا تناول كيفية تصويب هذا الخطأ.

الجارم وتيسير النحو :

كان الجارم أحد رجالات التربية في عصره : فقد ابتُعِثَ الى انجلترى لدراسة علوم النفس والتربية ، وعاد ليمارس التدريس..[١٢]

وبدهي من رجل عمل في التدريس والتربية وعانى بنفسه من صعوبة تلقي النحو لدى الطلاب في المرحلة الابتدائة والثانوية أن يقف بنفسه على الأسباب التي تمثل الصعوبة في تدريس النحو التعليمي للناشئة.

ولقد سبقت الرجل محاولات في عصره وقبل عصره ، فقد قام رفاعة الطهطاوي بتأليف كتاب مجمل في النحو ، استعان فيه بالجداول الايضاحية على هدي كتب النحو الفرنسية ، ثم جاء بعده بفترة الاستاذ حفني ناصف مع بعض رفاقه بتأليف كتاب ميسر في النحو[١٣] لكن هذا الكتاب كان يضم أبوابا يعسر فهمها على التلاميذ ، ومن أجل هذا رأى الجارم وزميله مصطفى أمين أن يضعا كتابا في القواعد يجري على قدر خُطا التلاميذ ، ويكشف لهم عن مسائل العلم ما يلائم عقولهم ، ويبعث فيهم حب العربية ، وأنها لم تكن لغزا ولم تكن طلسماً ولم تكن شبحا مخيفاً فكان كتاب (النحو الواضح).

وعن كيفية تصميم هذا الكتاب، يقول المتخصصون: إن الكتاب الناجح يعتمد على أساسين مهمين هما:

- **أساس لغوي.**
- **أساس تربوى.**

يرمى الأساس اللغوى إلى تعليم الطفل اللغة بالطريقة نفسها التى اكتسب بها لغته الأم، والطفل عندما تعلم لغته الأم لم يلقن القواعد وإنما تلقى جملا كاملة. من هنا فالكتاب المدرسي الناجح هو الكتاب الذى تُبنى عملية التعلم فيه في ضوء الجملة.

ويرتكز الأساس التربوى على ثلاثة محاور:

- **المحور الأول** : يقوم على التسلسل في عرض الجملة، بمعنى أن يبدأ الكتاب بأقل قدر ممكن يُكَوِّن الجملة، وهى تلك الجملة التى تتكون من كلمتين، ثم يتدرج في عرض الجملة إلى أن يصل إلى ما يسمى بالجملة المركبة فالمعقدة.

- **المحور الثاني** : فهو تخصيص الدرس المعين لشىء واحد معين، بمعنى

اللغة العربية قاومت وتظل تقاوم كل الصعاب والتحديات، لحيويتها ومرونتها

إذا كـان الدرس في النحـو فـيـجب أن يعرض للمتعلم من خلال أنماط يحتوى على كلمات سبق للمتعلم دراستها، لأنه لو واجه كلمة صعبة، فإنها ستصرف اهتمامه عن القاعدة التى هى موضوع التركيز، ومن ثم يجب أن تعرض القاعدة بشكل يستثير المتعلم ويجذبه الى الدرس، فيقدم له بجمل بسيطة أو بنص بسيط يعقبه شرح موجز ثم تستخلص القاعدة بشكل مختصر وواضح.

- **المحور الثالث** : يقوم بتدريب المتعلم على القاعدة التى سبق له دراستها، لأن التدريبات هي العامل الأساسي في تثبيت القاعدة في ذهن المتعلم، ويجب أن تساعد التدريبات على أن ينشىء المتعلم جملا صحيحة دلالياً ونحوياً.

والسؤال الآن : أين كتاب (النحو الواضح) من هذين الأساسين؟![١٤].

يتحدث الجارم عن طريقته في تصميم كتابه، قائلا: إنها طريقة تقوم على الاستنباط الذي هو أكثر طرق التعليم وأقربها الى العقول وأثبتها أثراً وخير دافع الى التفكير، لذلك ترى الكتاب يبدأ كل درس بعرض أمثلة كثيرة على صورة حديثة لم يسبق إليها وهى أمثلة من شتى نواحى الحياة، مناسبة للنشء، بعيدة عن الأشعار والحكم والأمثال التى يعسر على التلاميذ فهمها، ثم يعقبُ على الأمثلة بإيضاح منطقى في عبارة جلية تصل بالقارىء إلى القاعدة العامة، ثم تأتى القاعدة في عبارة واضحة مناسبة، ثم تتبعها تمرينات كثيرة متنوعة تدعو إلى تكوين الجملة وتنمى الذوق العربى السليم وتربى قدرة التعبير[١٥].

الجارم تتبع المصطلحات الحديثة وعمل على ايجاد نظيرها في العربية.. او ادماجها

لقد بنى الجارم وزميله مصطفى أمين، كتابهما (النحو الواضح) على أساس نظرية التركيب، ومن ثم انطلق المحور الأساسى الذى تقوم عليه هذه النظرية من الجملة. فالجملة هى أكبر وحدة تركيبية يعرفها اللغوى.

وقد درس المؤلفان الجملة كما يدرسها اللغويون التركيبيون من عدة محاور منها:

الوظيفة النحوية العامة، أى المعانى النحوية العامة كالمبتدأ والخبر والفاعل والصفة والحال والإضافة... الخ، وتتطلب الوظيفة النحوية شيئين: أحدهما مؤثر هو العامل، والآخر متأثر هو المعمول، ومن هنا بنى المؤلفان كتابهما في ضوء نظرية العامل، وكأنهما بذلك رفضا تماماً كل الدعوات التى كانت صارخة في ذلك الوقت لتطالب بإلغاء نظرية العامل. وقد أدى التمسك بنظرية العامل إلى أن اهتم مؤلفا الكتاب بالإعراب وركزا على علامات الإعراب الأساسية والفرعية، واهتما بالإعراب التقديرى، وقد دفعهما هذا إلى تقسيم الاسم إلى معرب ومبنى، ثم تقسيم المعرب الى منصرف وممنوع من الصرف، ثم تقسيم المعرب إلى صحيح الآخر ومعتل الآخر. وأوضحا

أن المعرب المعتل الآخر هو الذى يعرب بعلامات مقدرة، واهتما كذلك بالإعراب المحلى، فأوضحا أن المبتدأ مثلا قد يكون مصدراً مؤولا، وأن الخبر أو الحال أو النعت أو المفعول قد يكون جملة أو شبه جملة. ولما كانت العلامة الإعرابية لا تلحق إلا بآخر الكلمة الواحدة؛ فإنه يتعذر وضعها على شبه الجملة أو الجملة، ومن هنا أوضحا أن شبه الجملة أو الجملة تعربان بالإعراب التقديري.

ومن هذه المحاور ايضاح الصيغة الصرفية التى تشغل مكان المعنى النحوى المعين، فالمبتدأ معنى نحوى، ويقع عادة في بداية الجملة الاسمية، والذى يشغل مكان المبتدأ هو الاسم، والذى يشغل مكان الخبر هو الوصف، والشكل الآتى يوضح ذلك:

جملة اسمية

مبتدأ	خبر
اسم	وصف

والحق أن الرجلين اهتما بأن يحشدا في الكتاب كل العوامل التى تؤهله للنجاح. ومن هنا اعتمدا على التنظيم والانتقال المتدرج من نقطة الى أخرى، فقد كانت نقطة البداية هي دراسة الجملة الفعلية المكونة من فعل وفاعل ومفعول، أو من فعل وفاعل وجار مع مجرور، في مقابل الجملة الاسمية التى تتكون من مبتدأ وخبر.

وركزا في هذه المرحلة على الاسم المعرب

تبسيط النحو وتيسيره للطلاب كان هم الجارم ومبتغاه

المنصرف الذى ينتهى بحرف من حروف العلة المختلفة وهذا هو الإعراب التقديري. ثم انتقلا إلى الاسم المبنى وهذا هو الإعراب المحلي، وأتبعا ذلك بدراسة شبه الجملة أو الجملة عندما يكون لهما محل من الإعراب. بعد ذلك عادا إلى الحديث عن الإعراب بالعلامات الفرعية، فناقشا الأفعال الخمسة والأسماء الخمسة، كما ناقشا إعراب المثنى وجمع المذكر السالم، وهنا يكون الأستاذان المؤلفان قد ركزا على نقطة واحدة وهي الخاصة بالعلامات الإعرابية، وبعد أن انتهيا منها انتقلا الى نقطة أخرى، وهى التطابق بين طرفي المركب من حيث العدد والجنس والتعريف أو التنكير.

بهذا يكون المؤلفان قد درسا الجملة البسيطة - التى تتكون من ركنين اثنين - من جميع المحاور التى تعقد على الدراسة التركيبية[١٦].

وإذا كان الأستاذ الجارم والأستاذ مصطفى أمين قد أخضعا النحو للأساليب التربوية الحديثة في كتابهما (النحو الواضح).. فإن أهم ما يوجَّه إلى هذا الكتاب من نقد أنه وزَّع أبواب النحو على سنوات التعليم فتقطعت بذلك أوصاله، وكان حرياً أن يسير على منهج القدماء في عرض النحو جملة بصورة موجزة، وتتسع تدريجيا مع السنين حتى تتمثله الناشئة تمثلا واضحاً[١٧].

ورغم ذلك فإن كتب النحو الواضح أراحت مئات من المعلمين، ويسرت على ألوف من المتعلمين، وأزاحت عن هذا العلم - علم النحو - سحباً من

النفور والكراهية كانت تحيط به وتصد المتعلمين. ثم شاعت في البلاد العربية وصارت كالمنهاج لتعليم النحو، وأحدث أسلوبها في الشرح والتأليف مدرسة أخذ المتعلمون يتبعونها ويؤلفون على مثالها محاكين أو مقلدين[١٨].

وكان كل من يريد أن يلتحق بقسم اللغة العربية في جامعة كمبريدج عليه أن يجتاز امتحانا في النحو من كتاب (النحو الواضح).

إن أهمية عمل الجارم وشريكه لا ترجع إلى أنهما استطاعا أن يبسطا النحو للناشئة فقط، بل ترجع إلى أنهما نشرا (النحو الواضح) في وقت كثرت فيه الدعوة إلى إلغاء فكرة العامل النحوى من كتب النحو المدرسى، وإلغاء كل من الإعراب التقديرى والمحلى، وإلغاء التفريعات المختلفة للقواعد. والحق أن المؤلفين لم يأبها بهذه الدعوات، فألفا كتابهما في ضوء نظرية العامل، وأكدا مسألة الإعراب التقديري والمحلى، ونجحا في إبراز التفريعات المختلفة للقاعدة الواحدة، واستطاعا في *الوقت نفسه أن يبسطا النحو للناشئة*[١٩].

وهكذا كان للجارم جهده التربوى في تأليف الكتاب المدرسي الذى يعد ملتقى معارف وثقافات عديدة تجمعت في عقلية الجارم. هذا العمل الذى خلّد اسمه بين رجالات الإصلاح التربوى في العالم العربي. فإن وضعنا إلى جانب ذلك مجهودات الرجل واسهاماته اللغوية داخل المجمع اللغوى وخارجه، أمكننا إنصاف هذا القلم الجليل الذى كان رمزاً حياً على شمولية المعرفة في العصر الحديث ■

الهوامش :

(١) د. مهدى علام: المجمعيون في خمسين عاماً، القاهرة (١٩٨٦م) ص ١١٩.
(٢) د. أحمد على الجارم: الجارم في ضمير التاريخ، القاهرة (١٩٩٤م) ص ص ٨٣، ٨٤.
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٥٣م) ٧/ ٣٨٩ - ٣٩٠.
(٤) المجمعيون في خمسين عاماً ص ٢٠٠.
(٥) جارميات: بحوث ومقالات الشاعر والأديب واللغوى على الجارم، دار الشروق القاهرة (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ط ١ ، ص ٥١.
(٦) المرجع السابق، ص ٥٥.
(٧) السابق، ص ٣٢٥.
(٨) السابق، ص ١٨٧.
(٩) السابق، ص ٢٠١.
(١٠) السابق ، ص ٢٠٢.
(١١) السابق ، ص ٢٠٥.
(١٢) المجمعيون في خمسين عاماً، ص ١٩٩.
(١٣) د. صلاح الدين صالح حسنين: دور الجارم في تبسيط النحو للناشئة، مجلة الفيصل، ع (١٩٤) الرياض، ص ٢٦.
(١٤) محمد عبد الله حواء: على الجارم وآثاره الأدبية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة (١٩٦٦م) ص ٣٥٢.
(١٥) دور الجارم في تبسيط النحو للناشئة ص ٢٦.
(١٦) المرجع السابق ص ٢٧.
(١٧) د. شوقى ضيف: تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف، ص ٢٧.
(١٨) إبراهيم مصطفى: قالوا عن على الجارم، مجلة الفيصل ع (١٩٤) ص ١٦.
(١٩) دور الجارم في تبسيط النحو للناشئة ص ٢٦.



الفرق بين كلمة حفظ وما يرادفها

☐ *جاءت لفظة (حفظ) وما يرادفها في كثير من آيات الله تعالى، وفي الأحاديث النبوية الكريمة، والذي يقرأ تلك المترادفات يظن أن المراد بكل ذلك إنما هو مجرد (التفنن في التعبير) لأنه نوع من أنواع البلاغة، ولكن الحق غير ذلك، فلكل كلمة مكانها، ولكل كلمة معناها ومغزاها في كلام ربنا وكلام رسوله ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾، وعند أهل اللغة؛ فما هو الفرق بين تلك الكلمات؟ .*

أولا: إن من مرادفات كلمة الحفظ : الرعاية، والكلاءة ، والحراسة ، والحماية، والضبط ، ولنأخذ كل كلمة من هذه الكلمات على حدة، ونبين الفرق بينها وبين الحفظ فنقول:

الفرق بين الحفظ والرعاية :

معلوم أن كلمة الحفظ تأتي لمعان حسب وقوعها في الجملة، فتقول: حفظت اليتيم حفظا: إذا صنته من الضياع، وحفظت المخزن وما فيه: إذا حرسته، وحفظت العهد: أي لم تخنه، وهو بمعنى صنته، وحفظت العلم والكلام: ضبطته ووعيته [١].

وقد جاءت هذه اللفظة (حفظ) وما تصرف عنها في كتاب الله تعالى كثيراً قال تعالى: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾[٢]، فجمع في هذه الآية بين الحفظ والرعاية.

وقال الله تعالى ﴿ ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾[٣]، قال تعالى: ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾[٤].

وقال الله تعالى : ﴿ قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا ونَمير أهلنا ونحفظُ أخانا ونزداد كَيْلَ بعير ذلك كَيْلٌ يسير ﴾[٥]، وهكذا.

ومنه قوله {صلى الله عليه وسلم} لابن عمه عبد الله بن عباس، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام وجفت الصحف» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[٦]، وغير ذلك.

قال في تحفة الأحوذي : احفظ الله: أي في أمره ونهيه؛ يحفظك: أي يحفظك في الدنيا من الآفات

والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات، احفظ الله تجده تجاهك: قال الطيبي: أي راع حق الله وتحر رضاه؛ تجده تجاهك أي مقابلك وحذاءك اهـ [٧].

وأما الرعاية فتأتي بمعنى الحفظ لكن تعطي معنى العناية بالشيء أكثر من مجرد الحفظ قال الله تعالى: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾[٨]، فالأمانة والعهد يحتاجان الى العناية الزائدة على مجرد الحفظ؛ لأن حقوق هذه تتعلق بحق الغير، أما حقك فيمكن التساهل فيه والتنازل عنه بخلاف حق الناس، فالرعاية أمر زائد على مجرد الحفظ.

ومن هنا قال تعالى: ﴿ ثم قَفَّينا على آثارهم برسلنا وقَفَّيْنا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رَعَوْها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾[٩].

وقد تعرف الأشياء بالنقيض :

فنقيض الحفظ : الإضاعة ، ونقيض الرعاية : الإهمال.

قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: ولهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راع: هَمَل، والإهمال: هو ما يؤدي الى الضياع، قال: فعلى هذا يكون الحفظ صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك، والرعاية فعل السبب الذي يصرف المكاره عن الشيء، ومن ثم قيل: فلان يرعى العهود بينه وبين فلان: أي يحفظ الأسباب التى تبقي معها تلك العهود، ومنه راعي المواشي؛ لتفقده أمورها، ونفي الأسباب التى يخشى عليها من الضياع منها[١٠]، والغالب أن الحفظ يكون لمالك ولمال غيرك، بخلاف



أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الرعاية فلا تكون في الغالب إلا لمال الغير.

فمن حفظ مال النفس قوله تعالى ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾[١١]، والآيات في هذا كثيرة.

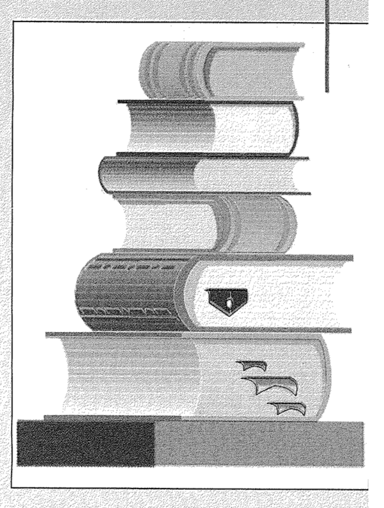
ومن حفظ الغير قوله تعالى ﴿ أَرْسِلْهُ معنا غداً يَرْتَع ويلعب وإنا له لحافظون ﴾[١٢].

ومن الرعاية في حفظ الغير قوله تعالى ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾[١٣]، وكذلك قوله تعالى ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾[١٤].

ولم أجد آية تبين أن الرعاية تكون لحفظ ما للإنسان ■

الهوامش :

(١) الوسيط مادة حفظ.
(٢) سورة المؤمنون الآيات/ ٨، ٩، ١٠، ١١.
(٣) سورة المائدة الآية/٨٩.
(٤) سورة الأنعام الآية/ ٦١.
(٥) سورة يوسف الآية/٦٥.
(٦) سنن الترمذي ٤/٦٦٧.
(٧) تحفة الاحوذي للمباركفوري ٧/١٨٤.
(٨) سورة المؤمنون الآيات/ ٨، ٩، ١٠، ١١.
(٩) سورة الحديد الآية/ ٢٧.
(١٠) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٦٩.
(١١) سورة النور الآية/ ٣٠، ٣١.
(١٢) سورة يوسف الآية/ ١٢.
(١٣) سورة المعارج الآية/ ٣٢.
(١٤) سورة الحديد الآية/ ٢٧.



مشكلات المجرد والمزيد في مداخل المعجم العربي

□ كثيراً ما تثار مشكلات المجرد والمزيد في مجال ترتيب المداخل الرئيسية في المعجم العربي، ولا سيما بعد اعتماد معظم المعجميين المحدثين الترتيب (الألف بائي) طريقة في ترتيب هذه المداخل دون بقية الطرق الأخرى التى عرفها المعجميون العرب القدامي.

فقديماً لم يعرف العرب الترتيب والتبويب، فكانت المفردات اللغوية العربية في صدر الإسلام تفسر في مواضع ورودها، وذلك عند تفسير كتاب الله تعالى، أو شرح الأحاديث الشريفة، أو ايضاح في معانى الشعر.

وعلى هذا سار علماء القرن الأول الهجرى، ومنهم ابن عباس وتلاميذه؛ ولا نجد لمفردات اللغة ترتيباً على نحو ما في ذلك الوقت؛ ذلك أن القوم كانوا قريبي عهد بالبداوة. فقد أتى التنظيم والترتيب مع التحضّر في القرن الثاني الهجري وما بعده، حيث ظهر نوعان من الترتيب: ترتيب بحسب المعاني، وترتيب بحسب الألفاظ. فكانت المؤلفات التى ترتب المواد ترتيباً معنوياً على صورة رسائل تجمع ألفاظاً مستعملة في موضوع معين[١]، مثل كتاب الخيل، وكتاب المطر، وكتاب الشاة، وغيرها. ثم تطورت هذه المؤلفات الى شكل أشمل بحيث يشمل مواضيع عدة ومختلفة ضمن أقسام مستقلة في المعجم.

أما الترتيب بحسب الألفاظ، فقد عُرفَتْ أنواع مختلفة لهذا الترتيب؛ فقد مرّ المعجم العربي خلال تاريخه الطويل على مراحل عدة لم تكن بالضرورة غير متزامنة، فمن مرحلة الترتيب الصوتي الخليلية حسب المخارج الصوتية للحروف، الى ألف بائية ابن دريد وتقليباته، الى نظام القافية الذي استحدثته عبقرية الجوهري، الى النظام الألف بائي للشيباني

والزّمخشري القديم الحديث، الذي هو النظام الذي استقرّ عليه نسق المعجم العربي المعاصر، فكان هذا الاتجاه الأخير طبيعياً في عصر النهضة ولا سيما بعد الاطلاع على قواميس الأجانب[٢].

وهكذا فقد رأي معظم الباحثين المحدثين في مجال ترتيب المداخل الرئيسية في المعجم، أن أكثر طرق الترتيب موضوعية في المعجم العربي هو الترتيب بحسب أوائل الكلمة، وفق الترتيب الألف بائي، إلا أنه ظهر اختلاف في كيفية إيراد المادة المعجمية، أتعرض بشكلها المجرد أم المزيد؟.

فرأى بعضهم في طريقة ترتيب المواد بحسب أوائل الأصول المجردة، بأنها أسهل، والوصول إليها أعجل. كما وجدوا أن طريقة ترتيب المفردات تحت الجذر الذي اشتقت منه أنسب لطبيعة اللغة العربية خاصة، واللغات السامية عموماً، تميل الى الاشتقاق، وتتخذ منه وسيلة صرفية لزيادة المفردات، أكثر من استخدامها للنحت[٣]، فرأوا أن هذا الترتيب يحافظ على شمل الأسرة اللفظية، حيث يجمع المشتقات من جذر واحد في مادة واحدة، وتحت مدخل واحد مما ييسر على القارىء فهم العلاقات الاشتقاقية والدلالية بين أفراد الأسرة الواحدة، ويسهل عليه بالتالي حفظها وتذكرها، الى جانب أن هذه الطريقة تؤدي الى الاقتصاد في حجم المعجم[٤].

وقد قوبلت هذه الطريقة في الترتيب بانتقادات عدة من قبل بعض الدارسين، فرأى بعضهم في تطبيق هذه الطريقة صعوبات عدة منها: أن ترتيبها بحسب الأبنية قد يتطلب من القارىء قدراً غير يسير من المعرفة بنحو اللغة العربية قبل أن يستفيد من المعجم بدون جهد وإضاعة وقت، وإلا قد يضطر إلى قراءة المادة كلها قبل العثور على بغيته، والإلمام النحوي يصعب توافره لدى العامة من القراء[٥]،

صافية زفنكي

- سـوريا -

ومن ذلك معرفة الجذر الذي تندرج تحته بعض المشتقات، فهناك كلمات يصعب إعادتها الى جذرها حتى على المتمرس اللغوي، مثل إعادة: مسافة الى سوف، وميناء الى وني، واسم إلى سمو، وسنة إلى سنو، وسنة إلى وسن[٦]، وشية إلى وشي، وشفة إلى شفو أو شفة، وسية إلى سيي، وشاة إلى شوه، وأرام إلى رام، وموئع إلى نيع[٧].

كما قد يواجه بعضهم مشكلات في معرفة جذر الأفعال المعتلة، من ذلك فعل الأمر زن من وزن، وإنس من نسي، ودع من ودع، وجد من وجد. وتعترض عند آخرين صعوبات في إرجاع بعض جموع التكسير التى أصبحت هي الغالبة في العربية ، مثل: أنسجة إلى نسيج، وأروقة إلى رواق.

وهكذا يلاحظ أن الشواذ في اختلاف الكلمة عن جذرها ليس حكراً على اللغات الأوروبية وحسب، بل على اللغة العربية أيضا. إلا أن بعضهم رأى أن مثل هذه الحالات الشاذة لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من المحتوى الكلي للمعجم[٨].

واقترح بعضهم لحل مشكلات هذه الطريقة وصعوباتها استبعاد هذه الطريقة من المعجمات الثنائية اللغة لأسباب عملية[٩]، ذلك أن هذا الترتيب يسبب مشكلة كبيرة للمتعلمين للغة العربية - أي الأجانب - وتثبط همتهم[١٠]، كما أن هذه الطريقة قد تثير صعوبات عند متوسطي الثقافة العربية، لذا يفضل استبعادها من المعجمات المخصصة للأطفال أو لتلاميذ المراحل الأولى من التعلم.

وأمام الصعوبات التى لوحظت في المعجمات

ذات الترتيب الجذري، التى تتلخص بأن الاستعانة بها تتطلب مهارات عدة، منها تجريد الكلمة من حروف الزوائد، وإرجاع الحروف اللينة إلى أصولها، وإعادة الحروف المحذوفة، أدرك بعض اللغويين هذه الصعوبات، ولا سيما بعد اطلاعهم على المعجمات الأجنبية التى ترتب الكلمات حسب نطقها لا حسب جذرها، فرغبوا بوضع معجمات ميسرة التبويب والشرح[١١]. فاقترحوا تطبيق الترتيب النطقي للكلمات أي كما وردت من دون تجريد، فقد رأوا في هذا الترتيب آثاراً إيجابية تتلخص في الإسراع عن الكشف، فلا يحتاج المراجع لاستعراض كل ما يرد للكلمة من اشتقاقات وتصريفات وصيغ ومعان ليصل الى اللفظ المطلوب، ولا إلي معرفة المزيد من المنقوص، ولا يحارُ في تحديد مواقع ألفاظ صعبة، مثل: هب، هات، طالما، تعال، هلمّ، شدَّ ما، امرأة، أو ألفاظاً جمعها من غير لفظها، مثل نساء، وناس[١٢].

وهكذا تستقل كل مادة حسب نطقها مع الزوائد في مدخل مستقل دون تمييز بين الأصل والفرع[١٣].

ولكن المحافظين من أصحاب الاتجاه الأول عارضوا هذا الترتيب، ورأوا فيه تقليداً أعمى للمعجمات الأوروبية لأنه لا يميّز بين خصائص اللغة العربية واللغات الأوروبية، ذلك أن العربية لغة اشتقاقية تختلف عن اللغة التركيبية عند الأوروبيين، وأن هذا الترتيب يفصل بين الكلمات الموحدة في صرفها ودلالاتها[١٤].

ورأوا أن لهذه الطريقة مشكلات أيضاً، منها ترتيب الحركات القصيرة، وترتيب الهمزة المكتوبة على حرف[١٥]. كما رأوا أن الترتيب النطقي يؤدي الى زيادة ضخامة المعجم، بسبب التكرار، وكثرة الإحالات[١٦]، وثمة من فضّل تطبيق هذه الطريقة في معجمات الأطفال، والذين لما يتوافر لهم الإلمام بمبادىء الصرف والنحو بعد، ورأوا أنها تصلح في مسارد المصطلحات المحددة[١٧].

وأمام مشكلات الترتيب النطقي وصعوباته وعيوبه، دعا فريق ثالث إلى الدمج بين الطريقتين، أي بين الترتيب الجذري والنطقي، لأن في ذلك توفيقاً بين الترتيب حسب الأصل والترتيب حسب المزيدات، وليحقق التيسير والتوفير والترابط العضوي في آن[١٨].

وقد اقترح بعضهم تطبيق هذه الطريقة في المعجمات المتوسطة عند عرض الألفاظ الأجنبية الدخيلة، وكذلك لصيغ الكلمات الشاذة، والكلمات التى أصابها حذف أو إعلال أو إبدال، أو قلب أو تعويض، فتبدلت صورة نطقها أو كتابتها، والكلمات التى لها أكثر من رسم واحد أو تهجئة واحدة، بأن يخصص لها مداخل منفصلة عن صورتها المنطوقة المألوفة، مع الإشارة أو الإحالة الى أصلها أو مداخلها الأصلية[١٩]. وهناك من اقترح استخدامها في المعجم العربي الثنائي اللغة ولا سيما في الكلمات التى يصعب الاهتداء إلى جذرها، مثل طاولة، وميناء، مع الاحتفاظ بالترتيب الجذري عند ورود مصطلحات مترابطة، مثل: برنامج ، برمج ، مبرمج ، برمجة[٢٠]. واقترح آخر تطبيقها في المعجمات الموجهة لغير الناطقين بالعربية، ولا سيما لغير المتخصصين أو المتقدمين منهم، وذلك بترتيب المداخل ألف بائياً، ووضع الجذر بين القوسين أمام كل مدخل، أو ترتيب المداخل جذرياً، ويوضع كشاف في أول المعجم ترتب فيه الألفاظ بائياً مع ترقيم صفحاتها[٢١].

وقد كان لندوة الرباط (١٩٨١) توصيات في

هذا المجال، فأوصت بأنه يمكن أن ترتب مداخل المعجم وفقاً لإحدى الطريقتين الآتيتين:

١ ـ تُرتَّب مداخل المعجم للمتعلمين ترتيباً ألف بائياً مع مراعاة ترتيب معين للحركات ويعد كل مدخل يوضع بين قوسين الجذر الذي اشتق منه المدخل، وإن أمكن بعض المشتقات الرئيسية الأخرى.

٢ ـ تُرتَّب مداخل المعجم المخصص للمتقدمين في الدراسة ثم يوضع كشاف في أول المعجم أو آخره، ترتب فيه جميع الألفاظ ألف بائياً ويوضع بعد كل لفظ الجذر أو رقم الصفحة التى يرد فيها لتيسير عثور القارىء عليه[٢٢].

كما كان لهذه الندوة توصيات في مجال ترتيب المواد الموسوعية، فأوصت بأنه: في المعجمات المرتبة ترتيباً جذرياً، ترتب الداخل الموسوعية ـ عموماً ـ ترتيباً ألف بائياً حسب لفظ الكلمة لا جذرها، ويلتزم بالإحالة إليها أو درجها (إن شاء المعجمي) في المدخل الخاص بجذرها أو جذورها المحتملة[٢٣].

وعلى الرغم من التوصيات والقرارات الرسمية الصادرة من المجامع اللغوية والمنظمات المعنية، فما يزال تطبيقها يواجه صعوبات ولا سيما في المعجمات الورقية، وقد حلّت المعجمات الإلكترونية الليزرية ((C.D معظم هذه الإشكالات ■

الهوامش :

(١) ينظر : الأشقر . محمد سليمان . الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي، ص٤٤.

(٢) الخطيب، أحمد شفيق. في المعجمية العربية المعاصرة، ص ٦٢٥، وما يليها.

(٣) القاسمي . اللسان العربي ، ٢/١٦ ، ص ١١.

(٤) القاسمي . صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، ٤٩.

(٥) نفس المصدر ص ٥٠.

(٦) الخطيب، أحمد شفيق . في المعجمية العربية المعاصرة، ص ٦٣١.

(٧) الأشقر . الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي، ص ٥٤.

(٨) الخطيب، أحمد شفيق. في المعجمية العربية المعاصرة، ص ٦٣١.

(٩) القاسمي. علم اللغة وصناعة المعجم ، ص ١١٧.

(١٠) Shivtiel. Avihai. Proceedings of the colloqium on Arabic. P.13

(١١) يعقوب، إميل . المعاجم اللغوية العربية، ص ٩٤.

(١٢) المعتوق . المعاجم اللغوية العربية، ص ٩٤.

(١٣) المعتوق . المرجع نفسه، ص ٢٣.

(١٤) ينظر : المعتوق. المرجع نفسه، ص ٢٢٧. و Shivtiel, Avihai، المرجع نفس، ص ١٣.

(١٥) للتفاصيل ينظر : القاسمي. صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، ص ٥٠ ـ ٥١.

(١٦) الخطيب، أحمد شفيق. في المعجمية العربية المعاصرة، ص ٦٣٣.

(١٧) الخطيب، أحمد شفيق. في المعجمية العربية المعاصرة، ص ٦٢٦.

(١٨) الخطيب. المرجع نفسه ص ٦٣٣.

(١٩) ينظر : المعتوق. المعاجم اللغوية العربية، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩. والقاسمي. علم اللغة وصناعة المعجم، ص ٧٦، وأبو الفرج. المعاجم اللغوية العربية، ص ٢١.

(٢٠) طعمة. صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، ص ١٤٤.

(٢١) القاسمي . اللسان العربي ، ٢/١٦ ، ص ١٢.

(٢٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية ، ص ٦.

(٢٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية ، ص ١٠.

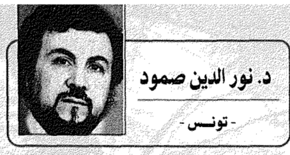
شعر

قصيدة الشعر

تمهيد لقصيدة لم تكتب ، وتعقيب على قصائد كتبت.

أطعمتُه الرُّوح ، لكنْ بعْدُ ما شبعا
والقلبُ في إثره، مُذْ طار ، ما رجعا
ومنْ دمائي كم أسقيتُه غدقاً
كيْما أُروِّي الذي ، في مهجتي، زرعا
الشّعرُ طيْفٌ عجيبٌ ظلَّ يسكُنُنا
وفي الحشاشة، من أعماقنا، قَبَعَا
والشّعْرُ عندي ملاكٌ سابحٌ أبداً
يطيرُ بالشّاعر الخلاَّق إنْ وقعَا
وهبتُهُ العُمْر ، إنَّ العُمْر في يده ،
والقلب ذاك الذي منه قد انْصدعا
وجئتُهُ اليوم أستجديه قافية
في موكب لفُحول الشّعْر قد جمعا
لكنّها نفرت كالغيد مُعْرِضة
حتّى بدت مثل نجم في السّما ارتفعا
«سألتها الوصل قالت : أنت تعرفُنا
من رام منّا وصالا مات» أو صُرعا[١]
وراح قلبي في آثارها مزقاً
وكم تقاوى على أعقابها وسعى !
تمنّعتْ ، غير أنّي رُحتُ أنشدُها :
«أحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنعا»[٢]
وظلَّ يسألُ عن شعْر له مُقلٌ
وعن خيال خصيب طالما ابتدعا:
أين القوافي التى قد كنتُ أعهدُها
كالغيث سحًا ومثل النّهر مُندفعا؟
قد كُنَّ كالغيد إثري ، كلُّ غانية
فؤادُها نحو قلبي طالما نزعا
وأين شعري الذي قد كنتُ أنثُرُهُ
كالدُّرِّ فوق رُخام في الضّحى لمعا..
أو كاللآلىء في نظْم وفي نسقٍ
تظلّ تسْطعُ في سلك لها جمعا ؟!
قد أجدب الشعرُ ، وانسدَّتْ غوادقُهُ
كأنّه عن معين الشّعر قد قُطعا
وظلّ يبحثُ عنْه القلبُ في لهفٍ
يقول لي خافقا: «من أجدب انتجعا»[٣]
فاستلهم الشعر أهل الغرب إنّ لهمْ
شعراً يروق شباب العصر مُخترعا!
فيه الحداثةُ ، عنوانُ الرّقيِّ ، فهلْ
سوى الحداثة للأشعار قد رفعا ؟!
غُموضُه يُعجِز الأفهام، فهْو إذا
أنشدتهُ قيل : نعم الشّعرُ مبتدعا!
واعبثْ بأوزان شعْر العُرْب وأت بما
يظل عن فهم كل الناس ممتنعا
فقلتُ ، في حيرة ظلّت تؤرّقني
والقلبُ ، في هيكل الإلهام ، قد خشعا:
الشعر ليس أعاريضاً منسّقة
وليس قافيةً كالطّبل إنْ قُرعا

وليس نثرا هزيلا غامضا لزجاً
تراه ، للقارىء المسكين ، قد صفعا
لكنّه نبْعُ إيحاء وعاطفةٍ
من كلّ قلب رهيف الحسّ قد نبعا
طورا يُحرّرُ من قيدٍ ومن رسنٍ
فيستحيلُ كنهرٍ سال واندفعا
وتارةً كهديل الوُرْقِ منسجماً
إذا الحمامُ على أفنانه سجعا
لمْحاً يُحلِّمُ بالمعنى ويحْجُبُهُ[٤]
فيترك القلب خلف الحُلْم مندفعا
إن لم يُمسَّ شغاف القلب ضاع سُدى
مثل السّراب بقفر في الضُّحى لمعا
ما الشّعر إلا مخاضٌ ، كلُّهُ ألمٌ
لا تُنجبُ الأمّ إن لم تنتفضْ وجعا!
الشعرُ طفلٌ حبيبٌ رائعٌ أبداً
كأنّه من فؤاد الشاعر اقتُطعا
أعطيتُه فوق ما قد كنت أملكُهُ
ولم أكن منه ، طول العمْر ، منتفعا
سلْ مهجتي عن معاناتي له، فلقد
ظلّ الفُؤادُ بدُنيا الشِّعْر مُنصدعا
كان الصّديق اللّدود المجتبى، ولكمْ
حمّلتُ قلبي منه فوق ما وسعا
والشعرُ مثلُ الهوى سهلٌ وممتنعٌ
وأعذبُ الحبّ ما قد كان ممتنعا
والشعرُ كالبحر للسّبّاح، تُبْصرُه
كأنّما فوقه ينْسابُ مُنْدفعا
ومنْ يكنْ جاهلا بالسّبح ، منتحرٌ
وجاهلُ البحر في أعماقه ابتُلعا
كنْ سابحا ماهراً في البحر مُنسرحاً
أو شاعراً فطناً في الشعر مبتدعا



د. نور الدين صمود
- تونس -

وإن تأبّتْ قوافي الشعر ، وامتنعتْ
فسوف تسْلُسُ مثل النّبع إن نبعا
وسوف تنْصاع مثل الغيد طيعة
«فالصّعب يسهُلُ حتْماً بعدما امتنعا»
كم لان جامحُها إذْ كنتُ أزجرُها
فتستجيبُ كعبدٍ طائع خشعا
غنّيْتُ منذُ عُقُودٍ ، مجد أمتنا
لكنّني لم أجدْ للّحن ، من سمعا
فكدتُ أُلْجمُ صوتي إذ مضى هدراً
وكدتُ أيأسُ من إيقاظ من هجعا
دع القصيدة في الأعماق نائمة
فقلّما صادفتْ منْ صانها ورعى!

الهوامش :

(١) من قصيدة شهيرة تُنسب الى يزيد بن معاوية مطلعها:

نالت على يدها ما لم تنله يدي
نقشا على معصم أوهتْ به جلدي

وهي في ديوان الوأواء الدمشقي، وأصل البيت المشهور:

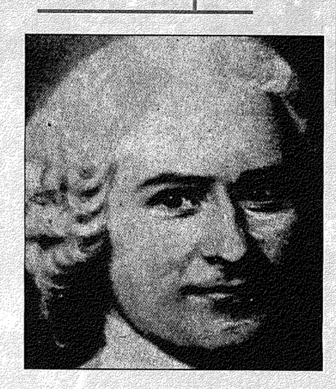
سألتها الوصل قالت: أنت تعرفنا
من رام منّا وصالا مات بالكمد

(٢) نصف بيت قديم سار مسرى الأمثال، وشهرته: «ما امتنعا» وهو من قول الأحوص:

وزادني كلفاً في الحب أنْ منعتْ
وحبُّ شيء الى الإنسان ما مُنعا

(٣) من المثل العربي الشهير : من أخصب تخيّر ومن أجدب انتجع.

(٤) من قول الناقد والشاعر الفرنسي سانت بوف : ليس على الشاعر أن يقول كل شيء، بل عليه أن يحلّم القارىء بكل شيء.



«روسو»

نموذج متفرد للسيرة الذاتية

□ *عندما شرع جان جاك روسو في كتابة اعترافاته عام ١٧٦٦م كان في الرابعة والخمسين من عمره، ولم تكن صحته في أفضل حال، ولكنها لم تكن سيئة الى الدرجة التى كان يظن. وكان يقيم في منفاه في انكلترا، البلد الذى قال انه يمقته. وكانت كتبه قد أحرقت حديثا في كل من باريس وجنيف. وكان يشعر بالاضطهاد وعدم الأمان، معتقدا أن قوى الشر تطارده ليس فقط في حياته، ولكن ستطارده بعد مماته لترسمه في أذهان الأجيال القادمة في صورة شيطانية. ويشير في مطلع الكتاب الى أنه قرر كتابة اعترافاته للدفاع عن نفسه ولتقديم نفسه في صورة مقبولة للأجيال اللاحقة. ولعله أنهى الجزء الأول من الاعترافات في انكلترا، وأنهى الجزء الثاني بعد عودته الى فرنسا عام ١٧٦٧م. وتوفي بعد ذلك بعشر سنوات.*

لا جدال في أن حياة روسو كانت مفعمة بالاحداث، فقد عاش في القرن الثامن عشر، وصادق أشخاصا كبارا من أمثال ديديروه وفولتير وهيوم، ونشر دواوين شعر، وكتب للأوبرا، ونالت مسرحيته «منجم القرية» من الشعبية الشيء الكثير حتى يومنا الحاضر، وكتب في نظريات الموسيقا، وألف رواية رومانسية تعتمد على تبادل الرسائل وكتب بحثا في الفلسفة والتربية. ودعا في فلسفته الى علاقة حرة تقوم على المساواة بين الفرد والجماعة، واستقبل «العقد الاجتماعي» في أواخر القرن الثامن عشر بنفس الطريقة التى استقبلت بها أعمال كارل ماركس في القرن العشرين.

وكـان على صلة وثيـقـة بالطبـقـات الثـرية والأرسـتـقـراطيـة. ويبـدو أن هذه الطبـقـات، وخصوصا النساء منها، كانت تعرض عليه الكثير من المساعدة.

وبالرغم من هذه المنجـزات الكثـيـرة فـان «الاعترافات» ليست قصة نجاح بالمعنى الحرفي للكلمة. فمنذ البداية نقرأ فيها عن أحداث مرعبة ومؤلمة. ولا يريد روسو أن نقرأ كتابه من بعيد، بل يريد منا أن نكون طرفا حقيقيا مشاركا، ذلك انه يقدم لنا صورة لنفسه يحاول فيها تبرير كل ما فكر فيه وأنجزه. فالكتاب مشروع جاد لرسم صورة كاملة لنفسه، وللكشف عن عقليته كشفا كاملا لمن يريد أن يرى. ولكن روسو في الواقع أخفق إخفاقا ذريعا في محاولته تبرير كل ما فعله وأنجزه. ومن المهم أن نتفهم الأسباب وراء كتابة «الاعترافات» في المقام الأول.

يحـقق روسـو عـددا من الأغـراض في اعترافاته، فهو أولا يعتقد أن هناك علاقة بين الاعتراف بالخطأ والصفح عن ذلك الخطأ. فإذا اعترف هو بنفسه بارتكاب الخطأ فما جدوى أن يتهمه آخرون به؟ وهو يقول عندما روى حادثة هجرانه لأولاده: «ما يدهشني هو أن يتجرأ أحد بعد قراءة هذا أن يلومني» يضاف الى ذلك، وهو الأهم، أنه يريد أن يكون شفافا أمام قرائه لاعتقاده أننا نكون في وضع يسمح لنا بإطلاق الحكم عليه إذا عرفنا كل كبيرة وصغيرة من حياته. ويقوم هذا الاعتقاد على أساس عميق من

د. زياد الحكيم

أستاذ جامعي سوري - بريطانيا

أسس نظرته الى العالم، ويمكن بحثه عن طريق بحث فكرته عن الصداقة.

فنحن عندما نقول إننا صادقنا شخصا ما فإننا نعني بذلك أننا نتبادل معه الخبرات ونتعرف الى أفكاره وآرائه التى لا يبوح بها عادة لكل الناس. وبطبيعة الحال هناك حدود لتبادل هذه المعلومات.

فالأصدقاء بوجه عام يحتفظون لأنفسهم بخبرات لا يبوحون بها لأحد، ويحتفظون بجانب من جوانب الهوية الخاص. ونحن في العادة لا نطلب من أصدقائنا أن يكشفوا لنا عن كل تفصيل من تفاصيل حياتهم الخاصة وعن كل آرائهم ومخاوفهم ورغباتهم. ومن الممكن أن يختلف الأصدقاء فيما بينهم دون أن يفسد ذلك للود قضية. بالمقابل نجد أن روسو يعتقد أن الصداقة لا تقوم إلا على أساس من الرحابة التى لا تعترف بالحدود، وأنها أشبه بعلاقة صوفية بين شخصين. وكان من دأبه أن يتخلى عن كل صداقة ليست من هذا النوع وكان يصفها بأنها علاقة غادرة.

بامكاننا أن ننظر الى الكتاب على انه محاولة من جانب روسو لإقامة صداقة مع قرائه بعد مماته.. ففي الوقت الذى ألف فيه الكتاب، كان يعاني معاناة حقيقية من الإحساس بالاضطهاد الذي دفعه الى الظن بأن مؤامرات تحاك ضده من

كل جانب. والكتاب جزء من محاولته لإبعاد أعدائه المتخيلين: فهو يعرض علينا حياته عرضا كاملا ويطلب إلينا أن نحكم عليها. أليس هو رجل طيب وأمين ونزيه؟ ألم يتصرف بأفضل الدوافع والنزعات؟ والنتيجة هي أننا نقرأ في اعترافاته ليس فقط عن خصاله الحميدة وهفواته التى لا نجد بأسا في التساهل فيها. ولكننا نقرأ أيضا عن الجانب الذى نستهجنه ونندهش له مثل علاقته بأولاده، ومغامراته النسائية. من هذه الناحية، تضعنا قراءة الكتاب في موضع الصديق الذى يبوح روسو له بكل خفايا نفسه دون قيد من أي نوع، الأمر الذي يجعل قراءة الكتاب غير مريحة أحيانا. فالقارىء يشعر بأنه مضطر لقراءة كل ما يتعلق بالكاتب، بما في ذلك الجانب الذي لا يريد أن يعرف عنه شيئا.

منذ البداية يحاول روسو إقناعنا بأنه عاش حياة ملؤها المآسى، وبأنه رجل طيب وكريم ويثق بالآخرين مما جعله فريسة سهلة للأشرار والمحتالين. والمشكلة هي أن القارىء لا يستطيع أن يقتنع بكل ما يحاول الكاتب إقناعه به.

فالفيلسوف هيوم، صديق روسو، يقول انه بالرغم من معرفة روسو لنفسه معرفة واسعة إلا أن أحدا لم يكن أكثر جهلا بروسو من روسو نفسه. والقارىء العام ينظر الى آراء روسو في المرأة نظرة استنكار وتنديد. وربما يجده شخصية بغيضة إذ كان يتخلى عن أقرب أصدقائه في وقت الشدة، بل تخلى عن أولاده. وبالرغم من الخصال الحميدة التى تبناها كان يتمتع بإحساس عميق بالأنانية تمكنه من التغلب على الأحزان وبقدرة على تغيير مواقفه وآرائه لتكون أكثر توافقا مع الظروف. وكثيرا ما يتحدث بفوقية تسبب حرجا للقارىء.

والاعترافات سيرة ذاتية وليست رواية، وعلى ذلك فنحن نتوقع أن نقرأ فيها عن أحداث وقعت بالفعل. يؤيد الباحثون بشكل عام ما يدعيه روسو من صدق في سرد الأحداث. ولكن الذاكرة تخونه أحيانا، فيخلط بين التواريخ، ويخطىء في تقدير ما أنفقه من وقت في مكان أو آخر. في مناسبات أخرى، على سبيل المثال عندما يتحدث عن مقاومته للتحول الى الديانة الكاثوليكية، نشعر بأنه يحاول أن يلوي عنق الحقائق لتخدم أغراضه. ولكن هذا بشكل عام لا يقلل من أهميته كشاهد على عصره. ويجب أن لا يفوتنا انه رفض الإذعان للعبودية التى يفرضها العمل المأجور، فآثر الحرية والتنقل والاختلاط برفاقه ومريديه واختبار الحياة من زوايا مختلفة. فمثلا كان بوسعه أن يختبر القهر الذي أحس به الفلاحون الفقراء عندما فرضت عليه ضريبة غير منصفة. وفي الوقت نفسه كان يتناول العشاء مع أغنى الشخصيات وأكثرها نفوذا في أوربة.

لقد قدم لنا روسو في اعترافاته صورة ناصعة للحياة في أوربا القرن الثامن عشر، **فأجاد في وصف الحياة على الطرقات**، وكان يجد متعة كبيرة في السير ما بين المدن وفي وصف جمال الطبيعة.

ويروي لنا كيف عاش طفولته وما رافق ذلك من ألم عند وفاة والدته، وكيف وقع في غرام كل فتاة قدر له أن يصادفها، وكيف كان يحس بالخجل المربك وبالعواطف المتناقضة المتضاربة.

وتبقى في ذاكرة القارىء تلك الحماسة التى كان روسو يحس بها إزاء كل ما هو حي وجميل. من ناحية أخرى، نقرأ في الاعترافات عن **تصميم عنيد على إيجاد مسوّغات لكل ما كان يفعله أو يفكر فيه أو يشعر به**، بما في ذلك سيطرة الأوهام والشكوك عليه.

والاعترافات مرجع مهم من مراجع تاريخ الأدب. ولا شك أن روسو تأثر باعترافات القديس أوغسطين ومقالات مونتين، وقد لجأ كل من الرجلين الى الكتابة لمحاولة فهم الحياة والغاية منها، ولكن روسو ذهب إلى ابعد من ذلك فحاول أن يرجع كل ما تكشفت عنه شخصيته على مدار السنين الى ما وقع من أحداث في أثناء طفولته، وبذلك وضع أساسا من أسس الحركة الرومانسية في أوربا القرن التاسع عشر. واستفاد الشاعر الإنكليزي وليام وردسوورث من اعترافات روسو، فكتب قصيدة «مقدمة» التى سجل فيها سيرة حياته بعد ثلاثين عاما من وفاة روسو. وهذه القصيدة سيرة ذاتية تؤكد أهمية ما يمر به المرء من خبرات في أثناء طفولته وأثر هذه الخبرات على تفكيره وسلوكه مدى الحياة.

واكد روسو ووردسوورث أن السعي الحثيث وراء تحقيق الذات ينطوي على قدر كبير من النبل والسمو، وهو ما تعرض له أتباع الحركة الرومانسية في القرن التاسع عشر، وهو أيضا لا يزال يشكل جزءا من الفهم العام لما يجب أن يؤمن به الفنانون والكتاب والشعراء، الأمر الذي يربط روسو ليس فقط بالشعراء وردسوورث وبايرون وشيلي ولكن أيضا بالشعراء الأمريكيين في القرن العشرين إذا أخذنا بعين الاعتبار التمرد على التقاليد العامة والبحث عن تحقيق الذات وحب التنقل والسفر ورفض الخنوع والتذلل للسلطة.

وتصف اعترافات روسو ما يجب أن تكون عليه مثل هذه الحياة، وهي، بلا ريب، حياة محفوفة بالصعوبات: فمن ناحية على الفنان أن يعيش خارج المجتمع، ولكنه من الناحية الأخرى بحاجة الى المجتمع كمتلق لأعماله الفنية. ومع انه بحاجة الى مال إلا انه لا يستطيع أن يكسبه بطريقة تنال من إحساسه بالاستقلال والكرامة. وهو يريد أن يقنع الناس ببرنامج عمل معين غير انه لا يستطيع أن يكون عضوا في حركة أو حزب. وتمكن روسو من العيش وسط هذه التناقضات بفضل حبه للحياة وقوة إرادته. وبهذا المعنى تكللت حياته بالنجاح.

والكتاب قصة إنسان يسعى بنجاح الى التحقق، وهو ما أورثه شعبية واسعة. والكتاب ذو قيمة لا لأنه قصة رجل شهير فحسب، ولكن لأنه قصة تنطوي على مضامين إنسانية شاملة ■



التجارة الالكترونية .. سوق المستقبل

□ لقد أصبح بالامكان أن يأتي الزبون بالسوق الى بيته، يسجل طلباته ويجمع بنفسه المستلزمات وهكذا يصبح الفرد جزءا من المؤسسة. ان التجارة الالكترونية e.Commerce هي الثورة الصناعية في بداية القرن الـ ٢١، انها غيّرت جذريا وعالميا القواعد الاقتصادية، فما على المؤسسات الا التأقلم. الرابح هنا ليس الكبير والعملاق بل هو المرن والأسرع.

الانترنيت قُيدت على انها واحدة من اهم اختراعات القرن الـ ٢٠ . ان التاريخ بيّن بأن اكبر الاختراعات التكنولوجية كالطائرة والكومبيوتر غيّرا مجريات الحياة الى الأبد. الانترنيت هي الأخرى لا تستثنى هنا، لقد أُعدت سلفا لتكون صدمة صاعقة وأساسية وذات تأثير كبير على تسيير شؤوننا وحياتنا.

ان التغييرات هي في بداياتها فقط والاختراع الجديد في طريقه للتفتح اكثر، نستطيع ان ننتظر بفارغ صبر لنرى ماذا يُخبىء لنا المستقبل. كل الثورات التكنولوجية كانت لها صدمات عنيفة على الصناعة فالذين ظهر لنا بأنهم نجحوا لم يصمدوا طويلا، والصناعيون التقليديون الأوائل سرعان ما تركوا المكان بينما آخرون اندثروا تماما. ان ممثلين جددا ظهروا وفرضوا انفسهم، انهم يؤسسون لامبراطوريات جديدة للتجارة. للنجاح عبر الانترنيت يجب اعادة دراسة المفاهيم وإعادة تنظيم جيد.

بإمكاننا اليوم حساب اكثر من ١٤٠ مليون مستعملا للانترنيت في الولايات المتحدة الامريكية وفي كندا و٨٤ مليون شخص في اوروبا. ان التزايد المستمر في عدد المستعملين للانترنيت هو ذو اهمية. الانترنيت اصبحت مؤسسة وأهميتها انها ذاهبة للنمو، ومع مرور الوقت ستصبح في متناول كل العالم. في عام ١٩٩٩، اكثر من ١٩٦ مليون شخص انفقوا ما يزيد عن ١٢٠ مليار دولار ويتوقع ان يصبح عددهم ٥٠٠ مليون شخص عام ٢٠٠٣. كل

عـزي أحمد

- الجزائر -

هذه الأرقام ستصبح في عداد الماضي لو ان الصين والهند يلتحقان جماعيا بالشبكة في السنوات القادمة، وهذا ما هو محتمل. ان الانترنيت أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا وعليه لا يجب الانتظار بل لنبدأ الآن.

كثيرة هي الثورات التكنولوجية والاجتماعية والثقافية التى طبعت تطورّنا ولكن يعود للانترنيت حصة الأسد، كما ان لها مكانة خاصة جدا تعود الى سرعتها وانتشارها.

اذا كان القرن السادس عشر شهد ظهور سكة الحديد التى غيرت جذريا المنافسة الاقتصادية وقواعدها ووضعت المؤسسات في سباق ولقد تمتعت لحد ذلك الوقت بحماية محلية ونستطيع نحن اليوم ان ننتظر ما تفعله الانترنيت في القرن الحالي فالقرية (الاقتصادية) العالمية لم تكن مستعدة ابدا لتكون محققة. لقد رأينا آثار الثورة الصناعية على العرض وسننتظر التجارة الالكترونية ونتائجها على الطلب. الاقتصادي نابي كولينس هو عضو مؤسس Global business work وهي مجموعة كاليفورنية للخبراء تساعد المؤسسات الكبرى على التنبؤ بالمستقبل، قال: «لاول مرة رأينا حقيقة توظيف لعبة العرض والطلب». السوق هو الذي يعطى التسعيرة وليست المؤسسات.

اننا والجون عصرا يستطيع المستهلك فيه خلق فرص جديدة. هم يقرّرون كيف ومتى ولماذا اختاروا المنتوجات او الخدمات التى تناسبهم أحسن. ولكنه ايضا شيء جيد بالنسبة للشركات التى لا يجب ابدا ان تحاول التخمين في رغبات عملائها، انها تستطيع ان تُسهمهم في خلق المنتوجات.

بالرغم من وجود كثير من الشك وبعض التردد فالتجارة الالكترونية هي في أوج انطلاقتها. ان ثورة الانترنيت مربحة: فالمؤسسات تجني الكثير من الفوائد. سيسكو (cisco) لعب دوراً أوليا وريايا. اليوم الانترنيت ليست مجالا لنشاطات سيسكو.

الانترنيت تجلب مساهمة كبيرة لتجارتها الأساسية - كل عام اكثر من ٥٠٠ مليار دولار. في عام ١٩٨٣، Dell أشعل فتيل الثورة الاولى في بيع الكومبيوتر الشخصي مباشرة للجمهور، عائدات دال اليومية عبر العالم ١٠ ملايين دولار. «الانترنيت هي في طريقها لتحويل الطريقة العملية لـ Dell » اعلن أحد مديري شركاته، ان نماذج النشاطات الموجودة وضعت امام التحديات لنأخذ مثلا النمو الصاروخي في شركة الامازون - كوم، ففي بعض السنوات اصبحت مكتبة الامازون - كوم الاكثر شهرة في العالم بدون فتح اي محل للتجارة، ليس فقط لانها تبيع بأقل الاثمان مقارنة بالمكتبات المنافسة ولكن المناقشات والمسابقات المعدة للزبائن هي التى ساعدتها على تبُّوء هذه المكانة.

الاستراتيجية مرادفة للتغيير الدائم المستمر.. انها لذة المجهول

ان تغيير الموازين التجارية المنظمة يستدعي بالضرورة تغيير الافكار المكتسبة لكي تصبح رائد الاستراتيجية في العالم عن بعد (on line) يجب كسر ارث النجاحات السابقة والدرس الواجب حفظه هو: ان المرور الى العالم عن بعد يصاحبه تغيير عميق.

المؤسسات غير القادرة على التحرر لا تنجد مستقبلا

ان فريق الادارة بإمكانه خلق فروقات هامة ومميزة فالمؤسسات التى نجحت اكثر هي تلك التى استغلت تكنولوجيا الانترنيت الجديدة كما ان نجاحاتها تعود الى فرقها الادارية التى اعطتها الاهتمام والاولوية. ان زعامة مايكل دال في عالم الانترنيت في حضن مؤسسة دال العملاقة هي مثالية: يقول احد اعضاء مجلس ادارة دال - اوروبا عن الزعيم مايكل دال انه يعالج نشاط الواب (web) بجد واجتهاد ورؤياه هي ان يحقق عن بعد اغلبية صفقاته ومعاملاته.

عندما تكون على web معناه انك تسير على الطريق السريع، الاشياء تتغير بسرعة وبطريقة غير مراقبة. ان مفاهيم الفكر والتخطيط الاستراتيجي قد تطورت كثيرا. المؤسسات لن تستطيع ابدا ان تكتفي بالتنبؤات السنوية وبالمخططات الثلاثية فالاستراتيجيات يجب ان تتأقلم مع الانترنيت وتفكر بجدية وتحسب بتوقيتها. فهذا أحد مؤسسي شركة (home shark) - وهي خاصة بمنح القروض من الدرجة الاولى - يقول: «ان أفقنا الاستراتيجي مدته، أشهر وربما ٩ أشهر على الاكثر، وتخطيطنا لا يتعدى في أقصى مداه سنة واحدة لاننا نعلم انه في خلال سنتين ستكون نشاطاتنا مظهرا مختلفا عما هي عنه اليوم ولكن لا نعلم بالضبط المدى الذي تأخذه هذه الاختلافات».

الباحثتان Brown shona و Khathleen Eidsnhardt اخترعتا تعبيرا يصف الفكر الاستراتيجي في محيط عالي السرعات: انهما تتكلمان عن منافسة دؤوبة ومستمرة. في كتابهما المعنون بـ(Competing on the edge) اي المنافسة على الأطراف، كتبت ما يلي: «الفكرة الدافعة للمنافسة المستمرة التطور تكمن في ان الاستراتيجية هي نتيجة التغيير المنظم من طرف مؤسسة باستمرار تاركة بروز تسيير استراتيجي نصف ملتصق. ان الفكر الاستراتيجي يجب ان يغطي الاشياء غير المتوقع حدوثها. الاستراتيجية مرادفة للتغيير الدائم والمستمر وكخلاصة فهي لذة المجهول».

التنظيم في وقته الحقيقي :

ان الشرط الأول هو الرغبة في التأثير بسرعة اما الشرط الثاني والأكثر حسما هو الوصول الى تنظيم يكون قادراً على التأثير في وقت حقيقي للتغييرات الاستراتيجية، ان المحافظة على الادماج الضيق لمختلف الوظائف هو عنصر أساسي للقدرة على التفاعل. ان سرعة محيط web يفرض مستوى ادماج متعدد الوظائف اعلى من ذي قبل.

ان تحليلا لـ Forest-

الانترنيت يؤسس لامبراطوريات جديدة للتجارة

er Research يقول فيه «لنأخذ صورة السيارة في الماضي كانت الوظائف المختلفة لها سيارتها الخاصة التى تسير بسرعات مختلفة، اما اليوم فلا نطلب منهم ان يسيروا بسرعات مختلفة فقط بل نفرض عليهم ان يقودوا معا سيارة واحدة».

ان المؤسسات غير القادرة على التحرر من الاجراءات الموجودة لا تنجح مستقبلا في خلق تنظيم قادر على العمل في زمن حقيقي وواقعي.

ان المعلومات الآن اكثر توفرا عما كانت عليه عبر العصور الماضية، من جهة فالقيمة الدقيقة للمعلومات نمت نموا دراماتيكيا ومن جهة ثانية يجب ان تسير هذه المعلومات عبر المؤسسة بدون ان تلقى صعوبات.

لأنه عمليا لا يرى النظام قبل وضعه قيد التجربة، الوضعية مختلفة بوضوح في محيط web .. إنَّ مساعدة اكثر متانة تفرض نفسها بين التجاري والاعلام الآلي، نحن نحضر تقريبا ٣ حسابات شهريا لمحطتنا (site web) لم نكن من قبل اكثر ديناميكية عما نحن عليه اليوم، سيكون مستحيلا علينا ان نكمل على هذا الرّيتم القوي بدون مساعدة دائمة من جهة (التجاري)».

كي نستطيع قيادة اي تغيير تكنولوجي، فالمسيِّرين هم بحاجة الى مهارات تكنولوجية اضافية. انه لا يكفي ابدا الحصول على مهارات في عالم الأعمال أو في ميدان الحاسوب، لكي ننجح في العالم الرقمي يجب علينا توحيد الاثنين معا (الحاسوب والأعمال).

التكنولوجيا حفّازة للتغيير :

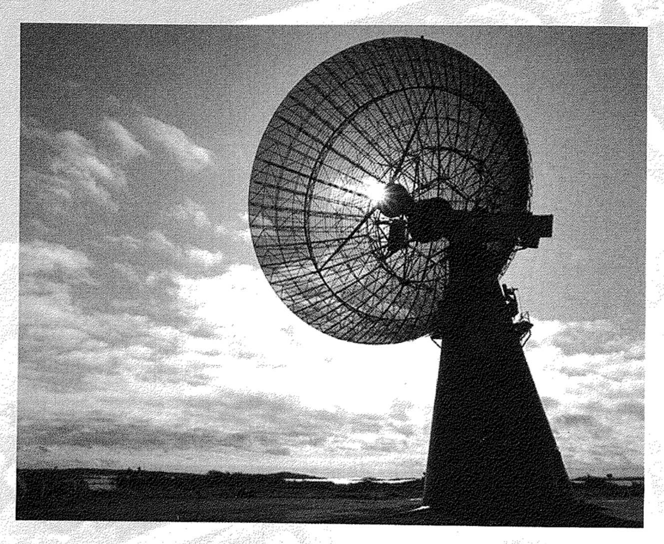
ان دخول نظام (عن بعد on line) هو حفّاز غير عادي نحو التغيير، ان تآزر جميع أقسام المؤسسة هو ضروري، لتسيير اي تغيير ما فإن الادماج الضيق المتعدد الوظائف يفرض نفسه على جميع امتدادات التكنولوجيات والمعلومات والمؤسسة. فهذا مديرٌ للاعلام الآلي عند تشارلز اشواب (charles schwab) يلاحظ «في اغلب المشاريع ذات العلاقة بالاعلام الآلي موظفيه.. والموظفون التجاريون يجتمعون لتعريف الخصائص، بالنسبة للتجاري فهي مشاركة دقيقة في الزمن تُنسى على الفور

تغيير الموازين التجارية يتبعه مراجعة النظم والاستراتيجيات

جذب الشبكة الى أقصاها :

النجاح في ميدان الانترنيت لا يأتي من عقدة واحدة بل حسب الترابط الجيد لجميع عقد الشبكة وحسن تواصلها. كل الشركات التى حُقِّق فيها والتى نجحت في جذب الشبكة الى اقصاها واستغلالها الى مداها الأبعد، جميعها واعية بهذه الخاصية الأولية لقوة الشبكات.

الشبكة تبدأ في المؤسسة، المنظمات غنية بالاشخاص الأذكياء والمبدعين، (الانترانات) بالنسبة لهم وسيلة للتخاطب، لوضع افكار مشتركة، لرفع التحديات



التجارة الالكترونية صرخة القرن

ولخلق معارف جديدة، الانترانات يمكنها ان تصبح أرضا عذراء لاختبار الافكار والمنتوجات والخدمات الجديدة قبل عرضها امام الزبائن. ان الاولوية مضاعفة، والمنتوجات المحسنة وضعت في السوق وكل المشتركين في المؤسسة شُجِّعوا لكي يساهموا في انجاحها عن طريق احسن الافكار. الشبكة دخلت الى عمق شركات المساهمة والمؤسسات. سيسكو هو اول من قدّم شبكات غير عادية (Extranets) لتجديد العلاقات مع الزبائن ولسبر قناة التموين . سيسكو يموّل المشترين بـ ٤٥٪ من حجم مبيعاته بدون معالجة المنتوج، فالطلب عن بُعد يُنقل مباشرة الى شركائه الذين يصنعون ويجمعون المنتوج ويبعثونه بدورهم مباشرة الى الزبون. سيسكو يولد عن بُعد ٨٠٪ من مجموع عائداته المالية.

هذه المجاميع مازالت الاعلى في اوروبا، ان المبيعات على الانترنيت تُشكل ٨٥٪ من العائد المالي العام، ان الشبكات قوية وهي تختزن قيمة بل قيما مدهشة، التحدي هنا هو الادراك والاستغلال الجيد لقيم هذه الشبكات المذهلة.



الزّبون .. دينامو :

ان استيعاب ادماج الزبون في كل مرحلة من مراحل الاجراءات المهمة في المؤسسة هو استقرار ونجاح الاستراتيجية المنظمة لمتطلبات التجارة الالكترونية. يا هو! (Yahoo) ونات سكايب (Net scape) يشكلان معا مراقبا beta مع عشرات الآلاف من المراقبين المتطوعين الذين لهم دور حاسم في تطوير أوجه نماذج وطُرُز المنتوجات. ان اعطاء الزبون مقاليد الحكم واطلاق عنانه هو قرار تجاري جيد بالخصوص لو وضعنا في حسابنا بانه التجارة الالكترونية تعتمد اكثر فاكثر على الماركتينغ واحد لواحد (one.to.one) الذي هو في طريقه لان يصبح الخط المميّز.

بالاضافة الى مناداته باسمه، فالمشتري الذي ابتاع كتابا - كما سبق ذكره - فأمازون - كوم تتذكر تفضيلات الزبائن بمساعدة لوجيسيال ذكي لاستخراج معطيات يقترح عليه اعمالا اعادها أو له علاقة بها وكذلك يقترح عليه ميادين ومواضيع ملائمة. ان امازون - كوم بهذه الطريقة تُشعر المشتري وكأنه في منزله وعليه فلا يجب ان تتأفف من انجاز عمل صغير لصالح امازون - كوم ويجب

ان نتعلم كيف نناقش عملا (وهذا ما ساعدها على بيع كميّات كبيرة من الكتب - وهي نفسها التى تقوم بتسجيل الطلبات، ان مناقشات المشترين قوّة مؤثرة لتحديد الاتجاه الواجب اخذه في عالم الانترنيت. قد يكون الاستماع الى الزبائن احسن وسيلة لتكوين نظرة عن المستقبل لاستراتيجية الانترنيت.

جرّب إزاحة الحدود:

الانترنيت لازالت في مرحلة الطفولة، من الواجب تطوير طرق جديدة للعمل. «انه فضاء جديد» حسبما صرّح به احد مسؤولي إيزي كومارس سرفيسز Atat وأضاف: «لا يوجد اجراء تجارى يساعدكم. لا توجد قواعد تخبركم عن الاجراءات، من المستحيل الرجوع الى الماضي لكي تعلموا ماذا يجب عمله».

ان مؤسسات الانترنيت التى نجحت تُقْدمُ دوما على توسيع مجال (الممكن) بإجرائها لتجارب دورية، لنأخذ على سبيل المثال (ياهو!) و(امازون - كوم). ياهو! يحاول ويجرب على الرمي في كل الميادين والحقول: اسفار، اموال، عقارات، صحة، اروقة تجارية، إعلام ... وليس هذا فقط. اما امازون - كوم فاستعملت سرعة قصوى لتسجيل كتب على الاقراص ومواد أخرى. ان السوق فقط هو الذي يحكم عما اذا كانت هذه الاستراتيجية مقبولة ام لا. اما الدرس الواجب الخروج به فهو: انهم يغامرون ويفعلون كل ما يجب فعله. ان المغامرة تأخذنا الى الفشل ولكنها جرعة قوية من تسامح الفشل معنا، وهي دليل على صحة المنظمات والنظريات. انه شعار (ياهو!) هو «افعلوا الجنون ولكن لا تكونوا اغبياء».

التشجيعات والمنح:

تعتمد المؤسسات على العنصر البشري في تسييرها وتعترف بان الانسان والذكاء هما اكثر اهمية من العقارات والحواسيب. وعليه لا يجب ان نتفاجأ عندما نرى المؤسسات الناجحة تذهب بعيدا لتوظيف أحسن العناصر. ولكن لا يكفي توظيف الأحسن يجب ايجاد مبدعين وعباقرة. يقول مسؤول شركة Inktomi «شركتنا تحاول توظيف اشخاص من طراز خاص. اشخاص يقبلون بالتغيير السريع للمحيط المهني وذوو روح قتالية،، متفائلون ويتسلون اثناء تأدية عملهم الصعب».

انه من الصعب ايجاد هذا النوع من البشر اللهم الا اذا كُلفت المدارس بانتاج امثال هؤلاء Jeff Bezos مؤسس امازون - كوم يقول عن موظفيه: «همّهم الوحيد هو تغيير العالم من العمق وجذريا. شعارنا: اعمل بقساوة، تسلى واترك بصماتك» ■

مأخوذ عن:

(Deutc shland) Sumitra Dutta.





(الدكتور أحمد الشرباصي) الكاتب الباحث الخطيب



□ *أديب متعدد المواهب، فهو رحمه الله كاتب بارع، وخطيب من أكمل طراز، وباحث دءوب كثرت مؤلفاته كثرة مدهشة، ورجل اجتماع يقيم الندوات، ويشرف على إعدادها، ويقدم متحدثيها، ويعقب على كل متكلم عفو البديهة فيأتي بالجيد، مع إلقاء مطرب، وتواضع جم.*

عرفته منذ بزغ نجمه الأدبي، وإن كان يكبرني بعدة سنوات، وهو من صغره مهتم بالأدب خطيباً وكاتبا، أصدر في سن الثامنة عشرة كتاباً عن الرحلات وفوائدها، كان باكورة تدل على ما بعدها، وقد قرّظه الأستاذ محمد سعيد العريان في مجلة الرسالة وفي العام التالى أصدر كتاب محاولة، وهو مجموعة خواطر في الأدب والتاريخ وبعده أصدر كتاب «بين صديقين» وقد قرظه الأستاذ فيلكس فارس بالرسالة أيضا، كل ذلك وهو طالب بالثانوى لم يصل الى المرحلة العالية في التعليم.

بدأ بالتعرف بي - متفضلا - منذ أخذ اسمى يظهر في مجلات الرسالة والثقافة والاخوان المسلمون ومصر الفتاة، فكانت رسائله تترى إليَّ عقب كل مقال ينشر، وقد استغربت ذلك وعجبت له، ثم زاد عجبى حين علمت أنى لست وحدى، إذ ما يكاد يقرأ أثرا أدبيا لطالب أزهرى حتى يسبق الى تشجيعه مراسلا، وقد يتحدث عنه في ملأ من الناس، ثم يكتب في الصحف إذا كان الأثر كتابا أو ديوان شعر، وكان المتوقع بعد ذلك أن يجد في المحيط الأزهري من يأخذ بناصره، وقد وجد عند القلة المنصفة، أما الكثرة المجحفة فقد جحدت الرجل فضله، ومضت ترميه بالثرثرة والإكثار في غير طائل، وهى ظالمة تنطق عن غيرة إن لم يكن عن حسد.

كان من المتوقع له باعتبار بواكيره الأدبية في الكتب التى أشرت إليها من قبل أن يفرغ للأدب الخالص وحده، ولكن حادثاً قويا جذبه إلى بحوث الدين فصارت فيما بعد من أكثر آثاره انتشارا، ذلك أنه وهو طالب بالقسم الثانوى بمعهد الزقازيق كان العالم الجليل الشيخ محمود خليفة أحد أسرة خليفة التى اشتهرت بالعلم والفضل وخَصَّت مجلة الإسلام بآثارها الجياد، هذا العالم الجليل كان يُدَرِّس الإنشاء بالمعهد، وهى المادة التى يطلق عليها الآن اسم التعبير فرأى فيما يكتب أحمد الشرباصى نبوغاً ملموساً، فاقترح عليه أن يكتب في مجلة الاسلام بحوثا دينية، وسرعان ما قدَّم له بحثاً مستفيضا يشمل أربع صفحات، ولم يمض أسبوع حتى كان المقال منشوراً بتوقيع أحمد جمعه الشرباصى الطالب بالمعهد الدينى بالزقازيق، ففرح الطالب الناشىء، واندفع يكتب في شئون من التاريخ الإسلامي والدين حتى لا يكاد يفوته عدد، وحين انتقل الشيخ محمود خليفة الى التدريس بكلية الشريعة الاسلامية بالقاهرة



أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

كان الطالب أحمد الشرباصى قد انتقل الى كلية اللغة العربية بالقاهرة طالبا، وأخذ يحافظ على استماع خطب الشيخ محمود خليفة بمسجد المنيرة، حيث كان من كبار الدعاة منذ نشأته، فتأثر بمنحاه الخطابي، وكان الشيخ ينيبه عنه إذا مرض فيعتلي المنبر خطيبا ذا تأثير فعال، وتكرر ذلك، واختار الله شيخه الى جواره، فرأت وزارة الأوقاف أن تنتفع بالطالب حيث أثبت جدارته، وظل ردحاً طويلا يخطب الناس في هذا المجتمع الحافل بكبار النابهين فيحوز أعظم القبول، وحين عُيّن مدرساً بالأزهر بعد تخرجه كان المسجد أيضا من نصيبه، فكان خطيبه لأمد طويل، حيث انتقل من بعده الى مسجد الرفاعي، وناهيك به!.

نعود الى دور الطالب في الكلية، فقد أحدث طالب السنة الأولى بها دويا، حيث ألّف من زملائه المتطلعين أسرة أسماها أسرة «الضاد» وجعل لها موسما للمحاضرات يفتتحه بادئا حيث ينظم ما يُلقى من القول، ومن يُلقي من الطلاب، والأساتذة أحيانا ـ فلمع اسمه لمعاناً أثار كيد المنافسين ولاقى ضروبا من الكيد قابلها بالرضا حينا وبالثورة حينا آخر، ومنها أن زميلا له أراد أن يعبث بسمعته الأدبية فبعث الى مجلة الثقافة قصيدة لأبى القاسم الشابى وعنوانها «الجنة الضائعة» بعثها ممهورة باسم أحمد الشرباصي، وقد فطنت المجلة الى أن القصيدة لأبى القاسم الشابى، ولم تفطن الى أن حسودا بعث بها منتحلا اسم الشرباصي، فنشرت الثقافة القصيدة مَعْزُوّة الى الشابى بالعدد (٢٣٣) الصادر بتاريخ ١٩٤٣/٦/١٥، وقالت في ختام القصيدة ما يلى:

«هذه القصيدة الممتازة لأحد رواد الشعر العربى الحديث، الشاعر الشاب المرحوم أبى القاسم الشابى شاعر تونس الخضراء، وقد نشرها من قبل بمجلة أبولو بعدد مايو سنة ١٩٣٣م، وبعث بها الى الثقافة أحمد الشربينى جمعه الشرباصى الطالب بكلية اللغة العربية لتنشر مذيلة باسمه، ونحن لا نضعن عليه بنشرها، شاكرين هذه الفرصة التى أتيحت لنا للإشادة بشاعرية أبي القاسم الشابي التى تعتز بها العربية، وآسفين لهؤلاء الذين لا يفتئون يُغيرون على تراث الخالدين من أهل الأدب وينحلونه أنفسهم، وعسى أن تكون هذه الإشارة الهينة خير رادع لمن تدفعهم شهوة الشهرة الى مثل هذا الإسفاف الخلقى»٠

ظهر العدد، وتناوله زملاء الشرباصى بالكلية، وكلهم لائم وبعضهم متشف مسرور، وانزعج المسكين لطعنة وجهت الى صدره، لا سيما أن تعليق الثقافة كان من الصرامة بحيث طعن السارق في مقتل، فبادر بتكذيب نشرته الثقافة في العدد التالي (٢٣٤ ـ ١٩٤٣/٦/٢٢م) قال فيه:

«وأنا أبعث بشيء من هذا للمجلة وما كان لمثلى أن يفكر في اقتراف هذا الإثم الأدبي المشين، وما حاجتى الى ادعاء قصيدة مشهورة لشاعر معروف طوته يد الردى فأصبح في ذمة التاريخ ما حاجتى الى ادعاء القصيدة، وليس قول الشعر من همي وغايتي؟ ثم كيف لى بادعاء القصيدة وقد تناولتها بالثناء والتحليل في إحدى محاضراتي بكلية اللغة العربية، وقد حضرها مئات من شباب الأدباء»٠

ظل الشرباصى متوجعا لما حدث، وقد أدركت لوعته، فكتبت له خطابا رقيقا، وكنت طالبا بالمعهد الدينى بالزقازيق أخبره بأن هذه ضريبة النبوغ، وقد وضع الأمر في نصابه بعد نشر التكذيب، وكان هذا أول خطاب أرسله لصاحبى، ففرح بالخطاب وجاءنى منه رد مسهب يصلح أن يكون مقالا مستقلا، فعلمت

أن شدة تأثره كانت باعثة لهذا الفيض المتدفق، ولعلى أطلت في هذا الموضوع لأشفى حاجة في صدرى، فقد كان مما رزئت به أن سارقا منتحلا للتأليف سرق عدة كتب في تخصصات لا أنتمى لها، ولا أعرف من مؤلفها الأصلى، وكتب على كل مؤلف (راجعه محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة بالمنصورة)، وقد فزعت لهذا السلوك الشائن، وأعلنت براءتى في مجلتى المنهل والهلال أكثر من مرة، وأرسلت للدار البيروتية التى تنشر هذه السلسلة الكاذبة أخبرها أنى مظلوم فيما نسب اليّ، ومع ذلك ظلت الكتب تصدر عن الدار، وظللت المراجع رغم أنفى، وقد كتب أحد المجنى عليهم من المؤلفين الى جامعة الازهر شاكيا أمرى، فرددت بما أرسلته الجامعة اليه ليتخذ اجراءه القانونى الذى عجزت عن اتخاذه في مصر، ولعل قراء المنهل على ذكر من صراخى المتكرر! والناس هم الناس.

أعود الى أخى الشرباصى، فأذكر أنه كان يرسل اليّ كل كتاب يؤلفه، وقد حلّلت بعض كتبه على صفحات مجلة الأزهر ومجلة العالم العربى ومجلة الرابطة الاسلامية وغيرها، وكنت آخذه ببعض النقدات في رسائل خاصة، فيتفضل بالإجابة الشافية وأعيد القول ناقدا، فيسارع بالرد على الرد، ولو كنت أحتفظ برسائله ورسائلى، لنشرت بعض ما قيل، ولكنى لم أكن أقدر حينئذ هذا الجهد المتبادل وأعده حديث خطابات فقط!.

ثم اعتقل الأستاذ في محنة سياسية، لا لشىء إلا لأنه أحد الذين يخطبون بالمساجد داعين الى تنفيذ أحكام الشريعة، وكأنه أحد الذين قيل عنهم «الذين أُخْرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربّنا الله} فلاقى في السجن أهوالا، وقد زرته بعد انفراج الغمة، فحدثنى عما شاهده من المآسى بإفاضة مسهبة تركت تأثيرها في نفسي، فأشرت عليه أن يُدوّن هذه الفجائع في مؤلف يذاع، وقلمه أسرع من لسانه دائما، فعكف على تأليف كتاب سماه «مذكرات واعظ أسير» واستجاب الى ما أشرت إليه من تسجيل ما آلمه وأفزعه، فكتب صفحات تاريخية تصلح أن تكون موضع العبرة والاتعاظ، لقد تحدث الشرباصى عن ما يفعله ضباط الشرطة مع المعتقل البرىء منذ أن يهاجموه في بيته ليلا دون رحمة، فيقلبون المنزل بأثاثه بحثاً عما يتوهم من المنشورات، ثم يسوقونه مخفورا بعبارات التقريع وألفاظ السب التى لا يتصور صدورها من الرعاع، فإذا انتهى الى المعتقل وجد الذمم الخربة، وامتداد الأيدى الى الرشوة حينا والى النهب! أقول النهب حيث لا يتورع بعضهم من الاستيلاء على ملابس المعتقل، حين تستبدل في السجن ، أما تأخير الطعام، وحبس الماء مدة طويلة عمن يريد الشرب الضرورى لإنقاذ حياته، وإذلال المعتقلين بتحملهم فضلات الجسم وإلقائها بعد استمرارها بأماكن الحبس عدة ساعات، وعقاب من يحاولون الوضوء أو إقامة الصلاة، والاستهزاء بهم استهزاء لا يسمح به للمجرمين العتاة من القتلة واللصوص في سجونهم الآمنة ، أما ذلك كله فقد أفاض فيه الكاتب بما لا مزيد عليه، وقد يجدون لدى المعتقل كتاب الله فلا يتورعون عن تمزيقه وكأنه جريمة شنعاء! وهذا بعض ما أشار إليه الأستاذ في عبارات تستقطر الدمع من العيون، والاستفاضة في استقصاء هذه المآثم مما يؤذى المشاعر الإنسانية ذات الحس العادى، فكيف بأصحاب الأذواق العالية والمثل النبيلة! اذكر أنى قلت للأستاذ الشرباصى حين أفاض معى في هذه الأحاديث المستنكرة إنى قرأت كتاب «عالم السدود والقيود» الذى وضعه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد خاصا بمدة تسعة أشهر قضاها في السجن، فلم أجد هذه الأهوال، فقال في حسرة: لقد كان العقاد في جنة بالنسبة الى ما كنا فيه، كان أولو الأمر يحرصون على استرضائه، لأن حريته مكفولة

في كتابة ما يشاء، وكان وزير العدل يزوره ليطمئن على حالته النفسية، فلا يرد عليه بقول، ومرة قال له: كيف حالك في هذا المحبس؟ فقال العقاد في كبرياء إني هنا أرحم مما بالخارج، تعنى أن اضطهاد الأمة في الخارج أشق ألما مما يكابد السجين، وسكت الوزير وانصرف! فالمقارنة بين سجن العقاد، وما لاقيناه من هذا الإرهاب الطاغي لا محل لها على الإطلاق.

وحين خرج الشرباصى من المعتقل ازداد نشاطه الدينى والاجتماعى على نحو كان موضع الدهشة ممن يعرفون أنه إنسان من لحم ودم وعليه أن يريح نفسه من هذا النشاط المتوثب خطابة ومقالات وندوات ورحلات، وقد اشتد ذلك في الأعوام الأخيرة من حياته، حيث كان يتاح له أن يكون صباحاً في بور سعيد مثلا ليلقى محاضرة من محاضرات التوعية، ثم يكون بالمساء متجها الى إسوان ليعيد الكرة، وقد يتكرر ذلك في اليوم الواحد، وقد قلت له من أين تأتى بكل هذا الكلام؟ فقال: وماذا أصنع؟ إنني أُدعى فلا أملك غير الإجابة، ولو اعتذرت وتكرر الاعتذار عددت في نظر القوم غير متعاون!

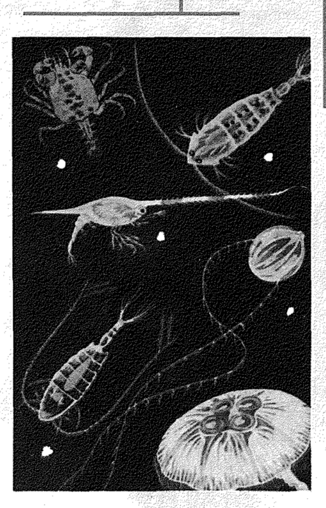
قلت : لم تجب على سؤالي؛ من أين تأتى بكل ما تقول دون استعداد كاف للتحضير، فضحك طويلا، ثم قال: أنت تعرف واعظ المركز الذى يتنقل بين القرى المختلفة طيلة الشهر ليعد خطبته الأولى بنصها وفصها، فأنا كذلك، ولست كخطيب المسجد الواحد الذى يضطر أن يأتى بالجديد كل جمعة، فأدركت منه ما لم أكن أعلم.

ومن معارضتي إياه في بعض الشئون الأدبية، أنه أشرف عدة أعوام على تحرير مجلة الشبان المسلمين فكنت أراه يسمح بنشر مقالات تكون موضع نقد، وكان الأولى أن تحذف نهائيا، فاعترضت على ذلك وضربت الأمثلة لما أعنى، فجاءنى خطاب منه يقول، إننى أنشر كثيراً ما أخالفه وأراه موضع اعتراض، واثقا أن بعض القراء سيتولى التصحيح في أسبوع تال، وهذا ما يحدث دائما، وبذلك تجد المجلة مادة وفيرة، ولا تعوزنا الى التسول من بعض من يتأبّون على النشر إلا بأجر مكافيء وليس لدينا ما نعطيه، ومن يدرى فلعل ما نخالفه ونراه موضع اعتراض تكون له وجهة نظر لا نعلمها، ثم قال في ختام خطابه! يا رجب ، دع السفينة تسير.

ومما قابله الأستاذ من العقوق أن بعض زملائه غمضوه حقه في عمله الجامعي، بحجة أنه مشغول بالخارج في المحاضرات العامة، وهذا ما يعوق تفرغه لدروس الجامعة، وهذا وهم خاطيء لأن الرجل من التمكن والإحاطة بمادته الدراسية بالمحل الذى لا ينكر، وكتبه الجامعية شاهدة على ذلك، وقد ألفت لجان الترقية العلمية لدرجة الأستاذية بجامعة الأزهر، وراعنى أن أجد من دونه قد اختير للحكم، ولم يأت ذكر له، فاعترضت في مجلس الجامعة، وقلت: أين الشرباصى؟ فقيل: إنه كما تعلم مريض، وربما لا يستطيع مزاولة الفحص على وجه سريع، قلت: يختار أولا، ويعلم بنبأ اختياره، فإذا اعتذر لمرضه، فهذا من حقه، وعلم الرجل بموقفى، فكتب اليّ شاكرا، وقال آسفا: أنت تضرب في حديد بارد.

وقد اهتمت بعض دور النشر بعد رحيله بجمع آثاره المتفرقه، فأدّت واجباً علميا يذكر لها بالشكر وأذكر أن تلميذه الباحث المخلص الأستاذ الدكتور عبد الستار الزموط سهر على جمع كثير من هذه المتفرقات وقدمها للطبع فخرج من عمله جهد كبير في موسوعة الخطابة، ووالى العمل في اتجاه مماثل، فهو مشكور مأجور.

لقد كان الشرباصى حركة نشيطة لا تهدأ، والله لا يضيع أجر العاملين ■



العوالق وسيلة للعلاج ومادة لإنتاج الدواء

□ تتمتع العوالق بخواص مفيدة، إذ تستخدم على نطاق واسع، مثلا، في حالة الطباب بالحمامات البحرية (الاستبحار). بلازماكوينتون المعروفة بعض الشيء - وهذه بالضبط هي المياه البحرية المصفاة (بعد الترشيح) والتي تحتوي على الفيتامينات والمنبهات (الحاثات) الحيوية الأخرى التي قامت بتركيبها العوالق.

أثبت العلماء في السنوات الأخيرة الماضية، أن العوالق تشترك بنشاط في تنظيف البحار والمحيطات، ليس فقط لكونها تنتفع بجزء من الخبث المعدني والعضوي، وإنما أيضاً من خلال طرح المواد الكابحة للجراثيم (الموقفة لنمو البكتريا) والمضادات الحيوية أيضاً في المياه البحرية. وأخيراً إن بعض العوالق تعتبر كنزاً حقيقياً للأدوية المختلفة.

١ - العوالق في العلاج المناخي البحري والاستشفاء في المصحات:

نذكر هنا بالخواص العلاجية والمفيدة (النافعة) للعوالق، من أجل طمأنة القارىء وليس صد رغبته في الاستحمام في مياه البحر بالأحاديث عن الكائنات الحية الخطيرة والضارة التي تصادف نادراً وليس في كل مكان.

منذ القدم أشار هيبوقراط الى الخواص العلاجية لمياه البحر، لكن فقط في القرن السابع عشر بدأ المرضى يبحثون عن الشفاء على شاطىء البحر.. شرع الأطباء بإرسال الناس الذين عضتهم الحيوانات المسعورة إلى هنا.. ومنذ العام (١٧٥٠م) بدأ الطبيب الانكليزي (روسيل) لأول مرة باستخدام الاستحمام في البحر من أجل علاج المرضى بالنقرس وبالروماتزم، وفي عام (١٧٧٨م) ظهر في مدينة ديب الفرنسية أول مشفى مائي مع حمامات

(مغاطس) مياه بحرية دافئة. وخلال المائة سنة اللاحقة كانت قد ظهرت المشافي البحرية في كل المحافظات الساحلية الفرنسية (بيرك، أيير، أركاشون)، حقيقة، عالجوا الناس هناك فقط من السل واللمفاوية (hymphatismus).

في عام (١٨٦٧م) كان الطبيب الفرنسي لابونارديه (La Bnnardiere) قد أدخل في التداول مصطلح «الاستبحار - الطباب بالحمامات البحرية»، وهذا يعني «العلاج المناخي البحري»، لكن أول معهد في مجال الطباب بالحمامات البحرية فتح أبوابه في مدينة روسكوفيه منذ حوالي نصف قرن. تحدد الخواص العلاجية لماء البحر بشكل رئيسي بأملاح الكلوريد - الصوديومية والكبريتية - المغنيزيومية المنحلة فيه، وأيضاً بالعناصر النذرة وبالفيتامينات التى تنتجها العوالق والجراثيم (البكتريات).

الطبقات السطحية لمياه البحر غنية بالعوالق النباتية، وتحتوي على كميات كبيرة نسبياً من أشباه الكاروتين (طليعة الفيتامين A) التي يمكن أن تتحول في الكبد إلى الريتينول (الفيتامين A) الضروري بهذا المقدار من أجل النشاط الحيوي لجسم الإنسان. يلعب الفيتامين (A) دوراً رئيسياً في عملية التكيّف البصري للظلمة. يظهر تأثيره العلاجي - عند معالجة مجموعة كاملة من الأمراض - في علم طب العيون (عند معالجة العمى النهاري، الجهر، جفاف العين)، في طب الأطفال (عند النمو البطيء ونقص المقاومة للأمراض السارية)، في علم الأمراض الجلدية (عند فلاس الجلد - ichthyosis، فرط التقرن).

في الدبال (detritus) المحيطي وفي الطمي المحيطي أيضاً يوجد بكميات كبيرة سيانوكوبالامين (الفيتامين B12) الذي تركبه الطحالب الزرقاء - الخضراء وكثير من الجراثيم وفطور الخميرة. هذا

د. كمال الحنون

- سوريا -

الفيتامين يحفز تشكل كريات الدم الحمراء (تكوُّن الكريات الحمر). الجرعات الكبيرة من هذا الفيتامين، بتغييرها لتبادل المواد (الاستقلاب) في الخلايا العصبية الحساسة تبدي تأثيراً مسكناً للألم، وهذا ما يستخدم عند معالجة العقابيس المنطقية (Zona)، التهابات الأعصاب كثيرة العدد، عرق النِّسا (التهاب العصب الوركي) والتهاب مفاصل الأطراف السفلية.

يعتبر تكوُّن حمض الأسكوربيك - لـ (الفيتامين C) من قبل العوالق النباتية حقيقة مثبتة بدقة. عدا التأثير المضاد للأسقربوط المعروف على نطاق واسع، فإن هذا الفيتامين يتمتع بالمقدرة على زيادة ثبات الجسم بالنسبة للأمراض المعدية ويشترك في تنظيم نشاط القلب، وأيضاً في تنظيم توتر العضلات والمعي. وبالتفاعل مع الفيتامين (B12) يستخدم الفيتامين (C) كحافز لعملية تحول حمض الفوليك إلى حمض الفوليك المائي الرباعي الذي لا بديل له مطلقاً عند معالجة الأنيميا (فقر الدم) المتعلق بتكثر خلايا العرطلة، قلة الخلايا البيض، ندرة الخلايا الحبيبية، البول الفرفيريني، وبعض أنماط الخلل في النشاط الهضمي.

تركب الجراثيم المائية الفيتامينات (B12)، التيامين (الفيتامين B1) وفيتامين H (B8) الضرورية تماما من أجل نمو كثير من أنواع العوالق النباتية من الطحالب النارية، الطحالب الذهبية والطحالب الخضراء المجهرية.

يوجد مجموعة من العناصر النذرة في ماء البحر يكون الحصول عليها من الطحالب أسهل من الحصول عليها من الماء نفسه. نذكر بعضها:

- اليود ، يوجد في طحالب اللاميناريا السمراء، ويستخرجونه في أمريكا واليابان حتى يومنا هذا من هذه الطحالب. وهو لا بديل له عند الاضطرابات في وظيفة الغدة الدرقية.

- البوتاسيوم ، يوجد بكميات كبيرة في طحالب الفوكوس السمراء، وهو مفيد للغاية عند أمراض الفقاس (داء مفصلي) وفي حالات السمنة بفضل مقدرته على ربط الماء.

- المغنيزيوم ، يوجد في الطحالب السمراء. وهو فعال للغاية عند التهابات الأعصاب والآلام التى تسببها أمراض الفقاس.

- المنغنيز ، ذلك العنصر النذر الذي بدونه لا يمكن أن تتم عملية التركيب الضوئي الهامة جداً بالنسبة للحياة على الأرض. يبدي هذا العنصر تأثيراً إيجابياً عند القفاص (الاستعداد للنقرس) الأليرجي (التحسسي).

كل هذه العناصر النذرة التى ينفذ جزء منها الى الجسم عن طريق الضغط الأزموزي (Tamarelle 1973, Dubarry) تزيد سرعة العمليات البيولوجية بتأثيرها كحوافز للأنزيمات (الخمائر) داخل الخلايا بأية طريقة.. إذاً يمكن استخدام ماء البحر من أجل علاج الأمراض.. وتوجد طريقتان قديمتان، هما: التناول إلى الداخل والاستعمال الخارجي.

في الحالة الأولى ، تستخدم المياه البحرية هكذا أيضاً بالضبط كما المياه المعدنية من الينابيع العلاجية. تناول مياه البحر إلى الداخل (شربها) يحفز وينظم العمليات الكيميائية لعملية الهضم، عُولجت التهابات المعدة التحسسية المختلفة بجرعات يومية تقدر بنصف لتر من المياه البحرية. يدخل في عملية العلاج أيضاً حقن ماء البحر داخل العضلات. طبعاً، من أجل هذا الهدف يأخذون الماء في أوعية معقمة (زجاجات إعتيان) ، بعيداً عن الشواطىء، وعلى عمق (١٠) أمتار تقريباً. بعد ذلك يرشحون (يصفون) الماء، ويمددونه (يوصلونه) إلى حالة متساوي التركيز (متساوي التوتر) مع الدم، بإضافة ماء من مصدر نظيف جداً، أو ببساطة ماء مقطر، ويحفظونه في أمبولات - مثل هذا الماء يسمى بلازماكوينتون (Quinton) (ملوحة الماء ١٠٪) .. وهذه أنقذت هي حياة كثير من الأطفال الذين عانوا من نزع الماء الحاد.

الفيزيولوجي الفرنسي كوينتون (Quinton) هو أحد الأوائل الذين كان لهم السبق في اجراء الأبحاث العلمية في مجال الاستبحار (الطباب بالحمامات البحرية) الذي وضعه على أساس علمي وطيد. في مؤلفه «ماء البحر كبيئة عضوية» أظهر جلياً، أن كمية المياه البحرية متساوية التركيز التى يتم إدخالها بدون ضرر في جسم الحيوان خلال (٨ - ١١) ساعة، يمكن في البداية أن تصل إلى (٦٦٪) من وزنه الخاص، وبعد ذلك حتى (١٠٤٪) (يعتبر كوينتون، أن الحمامات البحرية تخلص الجسم من مثل هذه الكمية الزائدة من الماء والملح، وأنه عند ذلك يكون إيقاع التبول مساوياً لإيقاع دخول المحلول الفيزيولوجي).

بعد استنزاف دم الكلاب قام كوينتون بإدخال مياه بحرية متساوية التركيز، في شرايينها وفي نهاية الأمر توصل هو إلى أنه في مثل هذه المياه البحرية متساوية التركيز استطاعت أن تعيش الخلايا البيضاء (كريات الدم البيضاء)، وبذلك أثبت كوينتون أن «المياه البحرية يمكن اعتبارها كمهد للحياة».

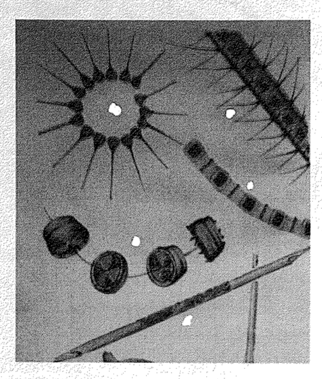
الحقن بالمياه البحرية الطازجة أو المحفوظة يسبب تدفق النشاط عند الإنسان البالغ المتعب أو العجوز. تبدي هذه الحقن على الناس المرضى بفرط الحساسية (أليرجية) وبالربو تأثيراً مزيلا للحساسية

المتعلقة، على ما يبدو بإعادة التوازن الأيوني (الشاردي) في الدم (كثير من المؤلفين يفترضون على أثر لابوري، أن الربو ينشأ بنتيجة خلل التوازن الأيوني في الجسم).

أخيراً ، يستخدمون المياه البحرية لغسل الأغشية المخاطية للمجاري التنفسية وأعضاء التناسل. مثل هذا الغسل للأغشية المخاطية الوذمية (الاستسقائية) والمتضخمة (مع البوليبات) يؤدي الى خفض الاستسقائية إلى حد كبير.

حسب رأي (أوبير) يمكن تفسير مثل هذا التأثير، في أن المحلول مفرط التركيز (التوتر) بشدة يسبب تدفق السائل ما بين الخلايا إلى النسيج الملتهب. عدا ذلك، مثل هذه الغسولات تؤدي الى نقص التقيح. هذه النتيجة يمكن أن تعزى، كما للخواص الفيزو كيميائية للمياه البحرية نفسها، كذلك إلى تأثير المواد المنشطة الموجودة فيها، والتى تنتجها العوالق النباتية، إذا تمت إضافة مستخلص العوالق النباتية الى المياه البحرية، فإن التأثير المفيد (النافع) للغسيل يشتد. يعتبر أوبير ، أنه يمكن أن يكون هذا متعلقاً بالخواص المضادة الحيوية لبعض أنواع العوالق النباتية ، وسوف نعود لذلك لاحقاً.

الطريقة الثانية للمعالجة بالمياه البحرية، خارجية ـ هي الاستحمام ، الدوش ، التدليك (المساج) بالماء والمعالجة الحركية بالحمامات (المعالجة بالحركات المنفعلة والفاعلة في المسابح أو الحمامات (المغاطس) المملوءة بالمياه البحرية الدافئة). مثل هذا التطبيب العلاجي ظاهر غالباً في حالة فقدان قابلية التحرك عند المفاصل بعد العمليات الجراحية أو إصابات العظام، عند الروماتزم المشوه والداء المفصلي، التأثير العلاجي في هذه الحالة مرتبط بالتأثير الهيدرواستاتيكي والحراري للمياه البحرية.



عدا ذلك، الطباب بالحمامات البحرية الخارجي مفيد جداً للأطفال الذين لديهم اعوجاج في الأطراف أو العمود الفقري (عند أرحية القدم ـ تبسط القدم، البزخ ـ تقوس العمود الفقري إلى أمام والحدب ـ تقوس العمود الفقري الى الخلف)، وأيضاً ضعيفي النمو بدنياً، وإذا قلنا ببساطة، الفتيان النحاف. يتكون مثل هذا الانطباع، كما أن كل استحمام دوري يقوَّم أكثر العمود الفقري ويغنى الجسم بالأملاح (خاصة، بأملاح الكالسيوم). تسبب الحمامات البحرية الدافئة توسع الأوعية المحيطية (الطرفية)، تزيد من نفوذية الجلد وتقوي الاستقلاب، وهذا ما يؤثر تأثيراً ايجابياً للغاية عند معالجة السمنة (البدانة).

عند المعالجة المتكاملة ـ اقتران الحقن بماء البحر والمعالجة بالحمامات ـ يلاحظ تحسن كبير في حالة أمراض الجلد هذه، مثل الصدفية، الأكزيما، وقرحات الدوالي.

وهناك اتجاه جديد أيضا لعلم العوامل الطبيعية العلاجية البحرية وتأثيرها على جسم الإنسان أقل شهرة ـ هو الإيلام الحراري، أي العلاج

بالطين البحري، أو بصورة أدق، «بالطمي النباتي الناضج»، وإذا استخدمنا تعبير البروفيسور دوباري ، هذا الطمي (الطين) - هو نتيجة للتفاعل المستمر بين الرواسب البحرية والمياه الدافئة. في هذه الشروط تتحلل (تتفسخ) العوالق النباتية الموجودة في الرواسب مشكلة مواد عضوية خاصة، من أجل النضج الكامل لمثل هذا الطين العلاجي، يتطلب وسطيا ستة أشهر.

تتمتع العوالق التي تعيش في أحواض المياه العذبة الدافئة بخواص علاجية شافية، هكذا، مثلا، العوالق في مصيف مولي - لي - بين (البيرنه الأطلسية) تستخدم عند معالجة الأمراض الجلدية، أما في سين - كريستو (البيرنه الأطلسية) - عند معالجة الغشاء المخاطي للفم. في أوياجي (أيزير) يعالجون بالعوالق الغشاء المخاطي للبلعوم الأنفي، ولأعضاء التناسل ، الأمراض الجلدية والوعائية، في غرو - لي - بين (بروفانس العلوي) - المجاري التنفسية، في كامبو - لي - بين (البيرنه الأطلسية) جهاز الهضم، في ايجيني - لي - بين (لاندي) - أمراض الكلى، في درباتون - لي - تيرم (جير) - اختلال الدورة الدموية الوريدية.

٢- العوالق النباتية - مصنع للمضادات الحيوية :

حصل برات في عام (١٩٤٤م) من الكلوريلا (Chlorella vulgaris, Ch. pyrenoidosa) على الكلوريللين - مادة تتمتع بتأثير مضاد للمكورات العنقودية . في عام (١٩٥٥م) درس (ستيمان - نيلسين) الإنتاج الأولي للمحيط وتوصل إلى استنتاج، أن لضوء الشمس تأثير مبيد للجراثيم على جراثيم التربة، لكن ليس مباشرا، بل بطريقة غير مباشرة - حافزا على إفراز مواد - مثبطة من قبل الطحالب وحيدة الخلية التي توقف نمو وتكاثر الجراثيم. بعد مرور أربع سنوات لفت زيبورت النظر إلى، أن مجموعة الجراثيم التي تعيش في معيٍّ بطاريق منطقة القطب الجنوبي بيغوسيليد فقيرة جدا، بناء على ذلك توصل إلى استنتاج، أن الطحلب فيوسيسيتس (phaeocystis Pouchetii) - بهذا الطحلب تتغذى الجمبريات (القرادس) التي بدورها تشكل أساس وجبة البطاريق - يتمتع بتأثير مبيد للجراثيم. وفي عام (١٩٦٢) أظهر زيبورت وبرات معا، أن التغيرات الفصلية في مياه خليج ناراغانسيت (جزيرة رود، أرض الولايات المتحدة الأمريكية) مرتبطة مع الطحلب المشطوري سكيليتونيما (Skeletonema Costatum). هذه الحقيقة مرة أخرى تشير إلى ذلك الدور البيئي الهام الذي تلعبه بعض كائنات العوالق النباتية.

أشار كل من م. أوبير وهـ. ليبو (M. Aubert, H. Lebout, 1968) إلى، أن المياه البحرية المعطلة في الأتوكلاف (المحم)، تستعيد خواصها المبيدة للجراثيم، إذا تمت إضافة العوالق الفنية بالطحالب إليها.

ومنذ ذلك الحين يتوصل العلماء دائما الى حقائق أكثر فأكثر حداثة تؤكد على التأثير المضاد الحيوي لطحالب العوالق.

تتمتع بمثل هذا التأثير الطحالب التالية: (المشطورات - السوطيات النارية - الزرقاء - الخضراء - و Cryptophyta والذهبية. باستخدام الزراعة (المستنبت) الأحادية (الحاوية على نوع واحد فقط) والمستنبتات النظيفة (خالية من التلوث بالجراثيم والفيروسات)، يمكن تدقيق أي دور يلعبه هذا الطحلب المجهري في توقف النمو أو التدمير الكامل لجراثيم التربة (بما في ذلك الفطور).

أظهر م.أوبير، أن مستخلصاً من خلايا الطحلب المشطوري استريونيلا (Asteriomella japomica) عيار (titer) (٤٠٠) ميكرو غرام (٠٠٠٤ر. غرام في ١ ميليلتر من المحلول) يعقم

معلق جرثومي يحتوي على ١٠٠٠٠٠ خلية في ١ ميليلتر.

استعمال هذه المستنبتات سمح بإمكانية الحصول على التركيب الكيميائي للمواد وتحديده، هذه المواد التى تقوم بإفرازها خلايا طحالب العوالق. هكذا، حدد زيبورت، أن المادة المبيدة للجراثيم التى يفرزها الفيوسيستيس ، هي حمض الأكريل نفسه.

السوطيات النارية معروفة بسميتها، لكنها تكوّن أيضاً في المستنبتات (in Situ) مواد مضادة حيوية أيضاً ، هكذا، فإن بوركهولدر ١٩٦٠ أقبل على دراسة خواص غونياولاكس - يوقف نمو ستافيلوكوكس الذهبي ، وفطر كانديدا ، الذي يسبب التهاب الفم الفطري (قلاع). زووكسانتيلا - نوع من الطحالب النارية يعيش في البوليبات المرجانية وفي الرخويات الكبيرة - يفرز مواد مبيدة للجراثيم تعود الى الهيدروكربونات.

تبدي مشتقات الكلوروفيل (اليخضور) والكلوروفيلد تأثير مبيد للجراثيم على الجراثيم ايجابية لجرام وسلبية لجرام. في الأحواض المائية تفرز مثل هذه المواد كما من قبل الطحالب المعلقة (طحالب العوالق)، كذلك من قبل الطحالب القاعية أيضاً.

أظهر اينتش ١٩٦٥م ، أن تركيز مشتقات الكلوروفيل في المياه البحرية يتأرجح بين (٥ر٠ - ٣٠) ميليغرام/ متر مكعب.

قبل أن نقرر التأكيد على، أن المحيط - هو خزان ضخم *للمضادات الحيوية*، يجب إجراء تدقيقين:

أولا : إذا كانت بعض المواد، مثل الكلوروفيلليدات أو مجموعة المركبات الفينولية النباتية، تنتشر بسرعة في المحيط بوساطة التيارات الأفقية والعمودية، فإن المواد الأخري، مثل حمض الأكريل قصير العمر جداً تؤثر فقط في مجال محدد.

ثانيا : حسب انيتش (١٩٦٥م) أن التركيز الحجمي للمواد موقفة نمو البكتريا (كابحة الجراثيم)، المضادة الحيوية والمضادة للفطور يكون متناسباً مع كثافة العوالق النباتية بكلمات أخرى، في تلك المناطق، حيث تكون العوالق النباتية فقيرة، فإن هذه المواد تنعدم عملياً، مثلا، فهي تنعدم تماماً في المياه الملوثة.

٣ - *العوالق الحيوانية - مصنع للمواد النشيطة بيولوجياً :*

تعتبر بيوض ويرقات الأسماك مصادر للفيتامينات (A) و (D) في العوالق الحيوانية، هذه الفيتامينات تستخدم من أجل تلافي ومعالجة الكساح، التشكل غير الصحيح للأسنان وتكزز الأطفال، عند الأسماك البالغة تتركز هذه الفيتامينات في الكبد وفي الأعضاء الداخلية، الغرام الواحد من الدهن الذي يمكن الحصول عليه منها يحتوي عشرات ألوف الوحدات الدولية (International unit) من الفيتامين (A)، تركيز الفيتامين (D) في الدهن الذي يتم الحصول عليه من الكبد يتغير حسب نوع الأسماك من (٧٠) إلى (٤٥٠٠) وحدة دولية في (١٠٠) غرام من الدهن. يوجد كثيراً من الفيتامين (D) خاصة في كبد سمكة القد، عند الكثير من أجيال الناس ذكريات عن الطفولة مرتبطة مع الطعم غير اللذيذ والرائحة الكريهة لدهن الأسماك.

احتياطي كبير من الفيتامينات (A) و (D) يوجد في كبد أسماك القرش، من كبد سمكة القرش العملاقة، الذي يزن أكثر من (٤٠٠) كيلو غرام (عند ذلك يبلغ وزن سمكة القرش نفسها ٤ أطنان)، ينتجون عدة مئات من لترات الدهن. يحصلون على الدهن ، حقاً، ليس بمثل هذه الكمية الكبيرة من كبد سمكة القرش كاتران وسمكة القرش النمرية. في

فترة الحرب الأخيرة، عندما لم يجر تقريباً صيد أسماك القد، أجبر صيادو الأسماك على صيد أسماك القرش عند شواطىء ايرلندا، إسكنديناقيا، وأمريكا الجنوبية الآن عندما تعلموا تركيب هذه الفيتامينات، فإن صيد أسماك القرش لا يبرره أي شيء.

نظراً لأنه يوجد في بيوض ويرقات الأسماك كمية كبيرة من الحموض النووية التى أصبحوا على أساسها يصنعون الدواء المستخدم عند الإخلال في التبادل الملحي (الاستقلاب المحلي) - (عند ترسب الأملاح، التكلس) والضروري تماماً من أجل تشكل كريات الدم الحمراء (أي، من أجل تكوُّن الدم). الحمض الريبي النووي منقوص الأوكسجين (DNA) يؤثر ليس فقط على تبادل الكالسيوم (استقلاب الكالسيوم)، بل يجدد التوازن الفوسفوري - الكلسي (الكالسيوم) في الجسم أيضاً.

اكتشاف الدور الهام لهذا الحمض في عمليات تجديد (تكوُّن نسيج جديد) النسيج العظمي كان دافعاً لاستخدامه في تسريع التئام الجروح. يبدي هذا الحمض تأثيراً حسناً أيضاً بمثابة واقٍ من تشكل التمفصلات الكاذبة.

افتاليزات (المواد المتشكلة نتيجة الانحلال الذاتي، التحلل (التفكك) للخلايا تحت تأثير الأنزيمات الذاتية الموجودة في هذه الخلايا) بيوض الأسماك تفرز الحوض الأمينية الضرورية لنمو الجسم. الحموض الأمينية الأكثر نقصاً (النادرة) - حمض الأسبرتيك (Asp) والأرجنين (Arg) تدخل في تكوين كثير من الأدوية التى تساعد على إزالة البقايا الآزوتية لاستقلاب الخلايا من الجسم، وعلى هذا النحو، تحفز التأثير الأكثر فعالية للأنزيمات. هذه الحموض الأمينية ذاتها تشترك في تفاعلات تركيب البروتينات التى تعتبر الجزء المكون الرئيسي للخلايا والنسج عند كل الحيوانات والنباتات.

توصل بالم وكري (Balmes, Creyx, 1965) بإدخال الحموض الأمينية المشابهة والتى تم الحصول عليها نتيجة التحلل الذاتي للسائل المنوي عند الأسماك في الأطفال الرضع الخدع (المخدوجين) إلى تحسن كبير في تطور منحني أوزانهم وزيادة المقاومة للعدوى لديهم.

هذه الحموض الأمينية تؤثر بصورة مفيدة عند كثرة الكريات الحمر الشبكية في الدم، عند الأنيميا (فقر الدم) الجلوبيوليني ، مساعدة على ارتفاع تركيز كريات الدم الحمراء. إلى الحموض الأمينية يعود أيضاً حمض الغلوتاميك الذي يشكل الأملاح، خاصة غلوتامات الصوديوم التى تزيد الشهية. تستخدم غلوتامات الصوديوم في حالات نقص إفراز العصارة المعدية (عند نقص الكلوريدية) وعند النمو الذهني البطيء.

المادة القريبة جداً بتكوينها إلى غلوتامات الصوديوم، تحدد السلوك الغذائي لقناديل البحر. وهي تفرز في كابسولات صغيرة جداً على نهايات اللوامس، عندما يمسك قنديل البحر بلوامسه غذائه المحبب - القرادس أو اليرقات.

مجموعة هوارد لينهوف (Howard Lenhoff) للبحث العلمي، مديرة مركز البيولوجيا البحرية في إيرفين (كاليفورنيا)، بدراستها لقنديل الماء العذب اكتشفت، أنه يملك قدرة مدهشة على سلخ خلاياه السرطانية تلقائياً. تعتبر البروفسورة لينهوف أنه إذا نجحت بكشف الآلية التى بفضلها يتعرف الجسم على الخلايا السرطانية ويسلخها، سيكون هذا أشهر اكتشاف لهذه المجموعة من كتاب : (أسرار قناديل البحر).

استطاع الإنسان استنباط الأدوية من المواد النشيطة المستخرجة من العوالق الحيوانية. بيد أنه في وقتنا الحاضر لبلوغ هذا الهدف، فإن تربية الأسماك في الظروف الاصطناعية، والحصول على

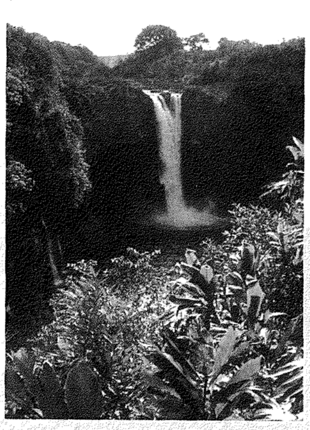
البيوض، السائل المنوي، وصغار الأسماك أسهل بكثير من جمع وفرز العوالق. الحقيقة، الآن في منطقة القطب الجنوبي وبسبب الانخفاض الشديد في عدد الحيتان الكبيرة، فإن إنتاجية الكريل عالية للغاية (الكريل - تجمعات (أسراب) كبيرة من قشريات اليوفاوزيات - رتبة Euphausiacea - سوداء العيون (خاصة Euphausia superba التى تتغذى بها الحيتان) - وهي تشكل (١٥٠) مليون طن تقريباً. هذا الرقم يزيد بمرتين على كمية السمك المصطاد على مستوى العالم كله. مثل هذه الإنتاجية الفائقة للكريل كانت سبباً لزيادة جماعات البطاريق والفقمات، لكن انعكست خاصة على زيادة سكان (كائنات) بأعماق المحيطات - الأسماك واللافقاريات.

إذا اعتمدنا على أنباء بعض المجلات، نجد أنه في بلدان منفصلة بادروا إلى إعداد مجمعات لجمع العوالق التى استطاعت ترشيح (تصفية) الماء بالطريقة ذاتها تقريباً التى ترشح فيها الحيتان الماء عبر جهازها المرشح. وها قد أعدّ على مدى عدة سنوات جهاز من أجل الصيد الصناعي لليوفاوزيات. باستخدام أحدث وسائل الصيد يغتنمون (٤ - ٦) أطنان من الكريل في الساعة. لكان مناسباً للغاية أن يتم الحصول بطريقة الاستخلاص من جزء من محصول الصيد (حتى الصباغ الأحمر - استاسين الذي يلون الغلف الكيتينية (القصعة) لليوفاوزيات، هو طليعة الفيتامين (A) على الحموض النووية، النيوكليوتيدات، الأحماض الدسمة، الخمائر (الأنزيمات) ، وفي الوقت نفسه إنتاج (صنع) المركزات البروتينية أيضاً - كل هذه المواد والمنتجات لا بديل لها مطلقاً من أجل الناس ذوي النمو البطيء، المرضى بالكساح، وأيضاً من أجل ذلك الجزء من سكان كوكبنا الذي يعاني من سوء التغذية. لاستطاعت أن تجد لنفسها استخداما واسعا في الطب النيوكليوتيدات، خاصة الأدنيوزين ثلاثي الفوسفات (ATP) ، الذي يلعب في كل مراحل الاستقلاب دور مجمع الطاقة الحقيقي والهام في الجسم.

يشارك (ATP) في كل مراحل تركيب البروتين. وبدون (ATP) لا يستطيع أي حمض أميني واحد أن يكون منشطاً وداخلا في تركيب البروتين، أكسدة جزيء واحد من الجلوكوز (سكر العنب) تحرر (٣٨) جزيء من الـ (ATP) - هذا يعني، أنه في جسمنا مدخر (٣٨٠) كيلو كالوري. وهي قد أصبحت جاهزة للاستعمال في التفاعلات الكيميائية التى تتطلب طاقة. هذه الطاقة عند الإنسان، وعند الحيوان أيضاً تصرف في فترة عمل العضلات. «تحت تأثير أحد الأنزيمات» - أدينيل سيكلاز (من طائفة الليباز) - يعطي (ATP) بداية الأدينوزين أحادي الفوسفات الدوري الذي ينظم التفاعلات التخمرية (الأنزيمية) في الخلايا المدخرة للكربوهيدرات (السكريات) والدهون، وفي الخلايا المفرزة أيضاً. عليه لاستطعت أن تجد استخداماً واسعاً للأحماض الدسمة، على الأقل لأحماض غير المشبعة التى تستخدم في وقتنا الحاضر من أجل تركيب البروستغلندينات ، الهرمونات (الحاثات) النسيجية الحقيقية الداخلة في عمليات التكاثر، وتوسع الشرايين، ونقل التنبيهات العصبية، وتجلط الدم، إلى آخره.

وأخيراً ، سنأمل ، أن علم السموم البحري الذي يخطو خطواته الأولى في دراسة سموم الأنواع المختلفة من الحيوانات (قناديل البحر ، فيزاليا) والنباتات (السوطيات النارية) سيكشف إمكانيات جديدة من أجل الاستخدام الواسع لمضادات التكسين، اللقاحات والأدوية المعدة على أساس العوالق ■





الروضة الغنّاء

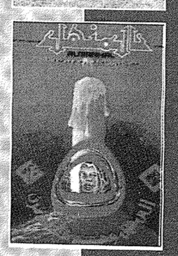
أحمد صدوق صافي

- الكويت -

أحبَّـة قلبي والنوى لوعـة الهـوى
لقد ذقت بعد البين كأس الضنى صرفا
أحبَّـة قلبي من سـواكمْ يُعـيـدُني
إلى الروضـة الغنَّاء والمسكن الأدْفـا
نشـأتُ على لحن من الأنس والصـفـا
وهل كان غير الوصل لي النغمُ الأصفى

وأين مـهـاةُ الحيِّ تسـبي عـقـولنا
تمرُّ على الأركـان تملؤها ظُرفـا
وترنو لحـاظاً تسـتـبـيحُ دمـاءنا
وتدنو على مـهل، فـتُـغـرِقْنا لطفـا
ومـا عندي السلوى ، ومـا عندي النُّهى
ومـا عندي الصبرُ الذي يُلجم العصفا
ركنتُ إلى الذكـرى فـهـاجتْ صـبـابتي
وشبَّتْ على روحي لتخسفها خسفا
لقد كان مجرى الوصل بحري وزورقي
فلمّـا انقـضى تاه الشِّراعُ بلا مـرفـا
وكنتُ على ذكـر الحـبـيب يُحـيطني
هواهُ ·· ودنيـاهُ ·· فـيشـملني عطفـا
ويـا غـربة في الدار بعـد رحـيلكُمْ
كـأني في لجِّ المدائن في منفى
خـذوني إلى دار الحـبـيب التى نأتْ
لأزحف شـوقـا نحـو أعـتـابهـا زحـفـا
ولا تعـذلوني إنْ رأيتُمْ صـبـابتي
فَـرِقَّـةُ حـالي لا أطيقُ لهـا وصـفـا
رأيتم دمـوعي حين كنتُ مـفـارقـاً
ودمـعي عند الوصل يُدمي لي الطرفا
فـإني في الحـالين مُضنى ومُـغـرمٌ
ومن كـان مثلي يعشقُ الرّوح لا يشفى

للقديم روعته



أسطر في الفن والابداع والكلمة المنتقاه.. نستخرجها من صفحات (المنهل) عبر عقوده الماضية.. نعيد قراءتها معاً.. نستعيد بها إبداع السالفين ممن مضوا.. والباقين ممن احتضنت المنهل أقلامهم. ما أروع وأبدع وأجمل أن يقلب المرء صفحات ظنها طويت، وكم تكون القراءة الثانية أعمق دهشة من الأولى.

هل الحروب .. تطوي الحضارات أم تنشرها؟

□ الحرب من حيث هي حرب فيها الدمار والهلاك وتقتيل الرجال، وترميل النساء، وتيتيم الأطفال وبوار التجارة وكساد الصناعة، وهذا في الحرب القديمة، أما في الحروب الحديثة فهي البلاء المنزل والموت المحتم. لا تبقى ولا تذر. على بشر أو حجر أو شجر. وأين الرمح والسيف من الغواصات والدبابات والطيارات؟ وأين القوس والنشاب من المدافع على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها؟ وأين الرمي بالطوب والحجارة من الرمي بالقنابل وفيها الغارات السامة والقنابل المدمرة والمحرقة؟. لهذا جاء الاسلام بالسلام وحث عليه في كثير من الآيات والأحاديث.

قال الله تعالى: {وإن جَنَحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله} - {والذين اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} - {وجادلهم بالتي هي أحسن}. ويروى انه قال عليه السلام: لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية. وجميع حروبه عليه الصلاة والسلام كانت مدافعة عن العقيدة وحماية للنفس، ولم يؤذن له في القتال الا بعد ما بلغت الروح الحلقوم، وأخرج من دياره وأوذي أصحابه بأشد أنواع الاذى، ومع هذا لما نصره الله عليهم يوم فتح مكة عفا عنهم وأعطى المؤلفة قلوبهم عطاء من لا يخشى الفقر. ويقول اذا اشتد أذاهم: اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون، ويقول لأصحابه، لعلكم تستفتحون بعدى مدائن عظاما وتتخذون في أسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا الابصار واهدوا الاعمى وأعينوا المظلوم ، وما انتقل صلى الله عليه وآله وسلم الى الرفيق الاعلى الا وقد أبدل الله أهل الجزيرة العربية من بعد كفرهم ايمانا وعسرهم يسرا، وتفرقهم وضعفهم قوة وألفة، فصارت «كلمة الله هي العليا» ثم الى من بعده خلفاؤه واستنوا سنته واهتدوا بهديه فكانت حروبهم كلها رحمة ورأفة، وانظر الى وصاياهم الى قوادهم في كتب التاريخ تعلم صدق ما أقول.

وما مضى بعد موته {صلى الله عليه وسلم} نصف قرن حتى عم الفتح الاسلامي اغلب المعمور من الارض ومع هذه لم يسمع انهم اخفروا ذميا أو هتكوا عرضا أو قتلوا وليدا أو امرأة والاغرب من هذا كله أن الاسلام انتشر في هذه الاقطار وعمت اللغة العربية هذه البلاد كافة وساد الامن وترقت التجارة والصناعة وازدهرت الزراعة وعبدت الطرق وأنشئت المدارس على اختلاف انواعها في جميع البقاع التى وطأتها اقدامهم وعمت المساجد حتى صارت تعد بعشرات الألوف، فزادت الثروة وانتشر العلم وظهر العلماء الفطاحل والأدباء المبرزون والفلاسفة الكبار والاطباء الحاذقون، فهذه الحروب هى الوحيدة في التاريخ التى نشرت الحضارة وعمت السعادة في البلاد المغلوب على أمرها.

واما ما عداها وبالاخص الحرب العامة فانه حتى بعد الفراغ عمت الفوضى في العالم اقتصاديا واخلاقيا وهذه الحرب القائمة هى اثر من آثارها ولا يعلم ما يحدث بسببها الا علام الغيوب من الشرور والفتن والهلاك والدمار اذا لم تنته قبل الربيع القادم فالحرب اذاً، لا تنشر الحضارة بل تطويها وتدمرها غالبا. قال تعالى: {ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون}.

انظر الى حضارة الاندلس والبلقان وغيرهما فانها قد محيت من خارطة الوجود وانظر الى اغلب المستعمرات فانك تجد في كثير منها انقراض سكانها كما في امريكا واستراليا وجنوب افريقيا وما فلسطين وبولونيا عنا ببعيد.

نعم ان الحرب اذا وقعت بين أمتين متماثلتين في الرقي قد تصهرها فتعود الى ما كانت عليه او احسن ولكن هذا لا يكون الا بعد زمن طويل فـ (بولونيا) مثلا مكثت هي و(التشيك) اكثر من قرن تحت الاجنبي ولكنهما رجعتا احسن مما كانتا بعد

الحرب ثم اختفتا ثانيا وهذه الجزيرة دوختها الحروب قروناً عديدة حتى أتاح الله لها توحيد أغلبها على يد بطل العرب جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - فظهرت في هذا الثوب القشيب.

ومع هذا يجب الاستعداد للعدو لارهابه ووقوفه عند حده فانه لا يفل الحديد الا الحديد لهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاستعداد واخذ الأهبة لئلا نؤخذ على غرة (وما اكثره في هذه السنين) قال عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض). أي لولا ان الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق وأهل الفساد بأهل الصلاح لغلب أهل الباطل والافساد في الارض وبغوا على المصلحين حتى يكون لهم السلطان وحدهم فتفسد الارض حينئذ ■

(صالح شطا)

المنهل/ ربيع الأول ١٣٥٩هـ

هل الحروب.. تطور الحضارات أم تنشرها؟

□ أية حضارة لم تكن وليدة حرب ونزاع؟ ولا نعنى بالحرب هنا ما تراق فيها الدثار فحسب. إن كل نزاع حرب.

فالحرب تحمل ألوية الحرية أحيانا، وتنشر سلامها، وتوسع ميادين التطاحن العقلي، وتشجع الابتكار، وتولد القوة.

الحرب الفرنسية، على وحشيتها وفظائعها الهدامة. نشرت حضارة فرانسا وأيقظت تاريخها، ورفعت لواء حريتها.

الحرب العامة الاولى، أقامت للدنيا بناءها الجديد، ووسعت امداءها، وضاعفت النشاط فيها، وغيرت قوانينها، وقلت مساتيرها.

هناك حروب تنتصر فيها الهمجية الآبدة، أو القوة العارمة، فتكتسح وتخرب، وتطوي وتدمر حضارة المغلوب، ولكنها تنشر وتبنى حضارة الغالب فهي طاوية ناشرة، صورة للصراع بين القوى، لانتخاب الامثل والاصلح والاقوى.

وقد تهدم الحرب، ثم تعجز عن البناء، تطوى ولا تنشر، كما في حروب التتار، والاندلس.

ولكن في الدنيا حضارات ناعسة، وحضارات كليلة، وحضارات شائخة وحضارات يدب فيها وهن الفناء. فما في انطوائها الا معنى انطواء القديم، وما على من يبتر العضو الفاسد أن يقيم عضواً محله. فالحرب هكذا. انما هي عامل طبيعي للحياة قد يهدم ويبنى ، وقد يهدم ولا يبنى.

والحرب في كل وقت ضرورة الحياة، ضعف تستغله القوة وتسخره لماذا لا يكون حرباً عليها؟ حرية تعوقها عبودية. لماذا لا تثور بها.

هناك قوانين الضعف، وقوانين القوة. فالنزاع إذن. لغة الحرب الاخرى والأسلحة كثر، وليس الحديد والنار امضاها. والقوة ليست قوة الجيش المحشود، والنفوذ الممتد. هناك الثورات الساكنة، والجهاد الصامت، والتهيؤ المباح.

أليست هذه الحرب الهادئة من أقوى الحروب وأقدرها، وأرجحها فوزاً؟ انما الضعف أن تموت في الأمة، وفي الجماعة، وفي الفرد، انباض هذه الحرب، وتنعدم دلائلها. فما بعدها ما يضمن فوزاً أو حياة.

هذه لغة العدم المطلق، ولغة الضعف المنهار.

وبعد فما أضعف أمة لا يكون فيها طي ونشر. وما أضعف أمة لا يكون فيها نزاع ■

(حمزه شحاته)

المنهل/ ربيع الآخر ١٣٥٩هـ



□ ما أسرع ما يتطرق الوهم الى النفوس، وهو اذا استحوذ على الأذهان باعد بين الناس وبين استجلائهم الحقائق على ما هي عليه في الواقع. وما تسرب الوهم الى نفس إلا قعد بها عن مساواة من بزها بالتفوق في ميادين الحياة.

والوهم مجلبة الخور. وأساس الضعف ومدعاة الكسل وعلة الانحطاط وما على من أراد أن يتخلص من مخالب الوهم. وينجو من براثنه الفتاكة الا أن يشحذ عقله ليحترق الوهم تحت اشعته المتوهجه. فان للعقل اشعة تصهر تحتها الاوهام والاباطيل والضلالات كما تصهر المواد المتصلبة تحت توهج النيران المحرقة. وحينئذ تتكشف الحقائق وترى وجها لوجه وتبدو عقد الحياة ومستغلقاتها واضحه وضوح الشمس في رابعة النهار.

دعاني لهذه التقدمة الموجزة ما سار على بعض الافهام من وهم جعل بعض الناس يتخيلون معه ان مقادير العقول تختلف بين البشر زيادة ونقصا أو صغراً وكبراً مما جعلهم يرون ان في الناس من هو العاقل وفيهم من هو الأعقل وفيهم من هو صغير العقل وفيهم من هو كبيره وفيهم من هو كثير العقل وفيهم من هو قليله.

وحبا في وقف شيوع هذا الوهم وعدم تسربه الى الناس بوجه عام والى ناشئة البلاد بوجه أخص بدا لى أن أوجه الانظار الى ان الناس متساوون في العقول وان كل البشر في العقول سواء.

نعم ان العقول سواء، وليس في الناس من يدعى انه اعقل من غيره الا وهو عاجز عن اقامة البرهان على صحة دعواه. ومن يقول ان في الناس من هو اعقل منه - وكان يعنى ما يقول - يستخف بعقله ويستشعر الضعف من نفسه فلا يثق بهما. وخليق بهذا ما يخلق بمن يجحد النعمة ويتجاهل ما اسدى اليه من معروف واحسان.

قد يبدو هذا القول غريبا. وما هو بالغريب. وقد يبهت له من غشيه طائف من الوهم جعل على بصره غشاوة يرى معها ان في الناس العاقل والأعقل وصغير العقل وكبيره. ولكن بقليل من التفكير الصحيح تظهر الحقيقة التى تكاد تكون من البداهة بحيث لا تحتاج الى شيء من النقاش.

إن الله ساوى بين عباده في أوامره ونواهيه وأقام لهم سبحانه حدوداً وأمر كل الناس أن لا يتعدوها على السواء. وفرض عليهم تكاليف وأمرهم بأدائها على السواء. ووجه خطابه الى كافة الناس دون أن يستثنى منهم أحداً الا من استلبهم نعمة العقل وما كان الله ليوجه خطابه الى الناس كافة لولا انه - وهو خالقهم - وهب لاكثرهم من العقل ما جعلهم في منحه سواء. ولو تفاوت الناس في هذه المنحة التى منحهم بها لكانوا متفاوتين فيما يطلب منهم من تكاليف دينية بدليل ان الله تباركت اسماؤه لم يفرض فروضه الا على قدر منحته وعطائه فهو سبحانه لم يفرض الزكاة الا على الاغنياء ولم يجعل الحج فرضا الا على من استطاع اليه سبيلا. ولم يفترض على النساء كثيرا مما افترضه على الرجال فليس عليهم جهاد ولا جمعة وما هن ملزمات بحضور الجماعة ولم يساو بينهن وبين الرجال في كثير من الشؤون وما ذلك الا لانهن (ناقصات عقل) كما جاء في الأثر.

ولو لم يكن الناس في مستوى عقلي واحد لما جابه الفلاسفة والمخترعون الناس باكتشافاتهم ومخترعاتهم وآرائهم ولامتنعوا عن ذلك كما يمتنع الكبير - مثلا - عن بسط ارائه للصغير ولما جرأ احد على مناقشتهم والرد عليهم كما لا يجرأ الجاهل على مناقشة العالم ولتعذر على الناس الانتفاع بهذه المخترعات الحديثة المتعددة كما يتعذر على ضعاف البصر ادراك الابعاد التى يصل اليها نظر ذوى البواصر الممتازة. ولانعدم التنافس بين الافراد والجماعات والامم والشعوب كما ينعدم التنافس بين الضعف والقوة. والصغير والكبير اذ لا يوجد التنافس الا حيث التكافؤ المتماثل في شيء واحد بين الفريقين المتنافسين واذا انعدم هذا التكافؤ زالت أسباب التنافس ودواعيه. فما كان لفقير أن يتعرض لمنافسة غنى وكما يتحاشا الضعيف التعرض لمنافسة من هو أقوى منه كذلك يجب أن يتحاشا صغير العقل منافسة من هو اكبر منه عقلا. وهل رأيت أمَّة قعدت عن منافسة اختها فيما يختص بالامور العقلية كما قعدت الأمم الضعيفة عن منافسة الأمم القوية في الميادين التى لا منطق لغير القوة فيها ■

(ابراهيم فلالي)

المنهل/ جمادى الآخرة ١٣٥٩هـ

موت طفل
(مع الدعوات بالخلف الصالح إلى الصديق عبد الله سرور الصبان)

□ خرجت أمس أشيع طفلا غضّ في أولى سنيّ حياته، فهو لم يقض في مهد الطفولة الا حولا. وبعض الحول، شهورا محسوبة عددا، وأياما قليلة، لم يعرف فيها سوي ثدي أمه، وعينْي ابيه.

لم تكتحل عيناه فيها بسوي الحب والعطف، ولم تطرق سمعه الا أناشيد المهد، ولم تهضم معدته الا طعاما سائغا لانه من هذاالكوثر الانساني الذي وضعه الله في صدور الأمهات.

ومات .. وخلا العرش الصغير من الملك الصغير، ولكن عرشه لم يكن هذا المهد الجميل فحسب..

بل كان عرشه قلب أبيه الذي ساهم في سبيل تكوينه ذرة، فنطفة فعلقة، فمضغة، فعظاما فلحما، فخلقا عجيبا في الخلق، صنع الله الذى اتقن كل شيء خلقه.

هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه؟

ومات .. في عمر الورد ؛ وفي جماله وسحره، وفي نضارته وعطره، لولا أن مامات من الورد مات ومن مات من الاطفال حي في قلوب الآباء والأمهات.

ورأيت والد الطفل.. وعلى وجهه طمأنينة ما أنكرتها، وان كان أنكرها من يقف تفكيره وعقله عند مظاهر الاشياء، فلا يدخل في كنهها بقلبه وايمانه وعقله.. كان في وجهه نور يترقرق في محياه كما تترقرق أولى خيوط الفجر في حندس الليل وكان هذا النور يشع من جبينه شعاعا رطيبا كأنه الطل فوق اوراق الورد أو كأنه الغصن المطلول يكشف عما في جوفه من الرى والماء، أو كأنه مرآة صافية يعكس نورها كلما يعرض أمامها من ظلال.

وكانت ترتسم على وجهه بسمة هادئة كالفرحة العميقة التى تأتى من داخل النفس لا من خارجها، المفسوحة التى وجدت مقرها في النفس فسكنت فيها، ولم تجد سبيلها الى خارجها فاستقر صداها بسمة لا صوت لها وارتسمت فوق الشفاه لتنطبق عليها[١]، وصلينا على الطفل.. وكأنّ ما معنا طفلا في السبعين من عمره[٢]..

وما منا الا من تلبست الطفوله روحه حين ذاك.. لأنا كنا جميعا في معانيها .. وحمل الطفل، لا على آلة حدباء ولا على نعش، ولا على اكتاف، ولكن على اذرع رقيقة، وصدور حانية.. والاذرع والصدور هي عروش الاطفال.

وكان موكب الجنازة صغيرا ولكن الملائكة باركته فتكاثر، وتكاثر حتى اذا ما وصلنا المقبرة كنا أصفافا أصفافا.

ولم يكن الموكب موكب جنازة ولكنه كان موكب طفولة فرحة بهيجة.. وكأنما لم نكن لنذهب بطفلنا الى القبر ولكنما نذهب به في موكب ختان وتطهير وكان الوقت ضحى والشمس ساطعة منحرفة فساهمت السماء في هذا الموكب الارض وارسل الله سحابة تظلل الموكب الصغير احتفالا بمقدم الطفل الى الجنة.

وهذه الهدية السماوية التى يقدمها الرب الكريم احتفاءا بالميت ، هي مما يفهمه الاطفال ويفرحون به، بل مما يفهمه الناس جميعا ويفرحون به في هذه البلاد

أليس الغيم دليل المطر؟ والمطر في بلادنا مما يهنأ به ويعبر عنه بالرحمة فهي دليل على رحمة الله.

واذا جاء المطر صافح الحجازيون بعضهم

بعضا، وانطلقت الالسن تقول آنست الرحمة وكان سرور الموكب بالسحاب كسرور الاطفال بالغيم.

والغيم زينة السماء في بلاد الشمس والصحراء..

وَوُرِيَ الطفل في قبره بين ترتيل المرتلين، ودعاء القلوب، كما تواريه امه في مهده، وتضع حوله الأغطية واللفائف لتمنع عنه البرد، وتغنى له الاغاني لينام.

ونظرت الى ابيه فاذا الفرحة العميقة في نفسه استحالت الى ابتسامة كبيرة كمن ينفض يديه من مهمة حبيبه، او كمن يودع وديعة عزيزة في مأمن كريم وكأنه اودع ابنه في روضة أطفال، ولم يودعه في قبر.

وهو انما أودعه في قبره ليصل الى روضة الاطفال.. ولكن في الجنة.. وهو مؤمن بأنه سيلقاه يوم الحشر وبيده اكواب من ذهب فيها شراب الكوثر ليسقيه في يوم لا ينفع فيه حميم حميما، ويشفع له باذن الله في يوم تقبل فيه شفاعة الشافعين باذن الله تعالى.

هنالك الاطفال يلعبون في الجنة وتربيهم الملائكة، ويرعاهم الله، فاذا جاءت القيامة وفدوا الى المحشر بكؤوس واباريق من شراب سائغ نمير ليسقونه آباءهم وأمهاتهم ثم يمسكون بثيابهم فيصلون بهم الى الجنة.

الجنة التي لا يدخلها الا الأطفال ولا يعيش فيها الا الاطفال.

اليست الطفولة نمطا واحدا في الشكل ونهجاً واحداً في الروح، فاذا تغيرت الروح أو تغير الشكل كان التغير شبابا أو كهولة، ولكن اهل الجنة في عز واحد وفي شكل واحد، وشباب واحد منهم أطفال في ضيافة الله. هم أطفال الجنة وكذلك يوصى الله الانسان بوالديه حسنا.. فحسن الدنيا ما يعرفها اهل الدنيا، أما هذا فهو حسن الآخرة ونعم دار المتقين.

وعدنا من الجنازة وليس فينا الا من يغبط والد الطفل على ما قدمه في دنياه ليشفع له في آخرته فالاطفال الموتى وديعة الاباء والامهات عند الله وهم رهائن ابائهم من العذاب والعقاب، وان النفس لتجزع وان العين لتدمع، وان القلب ليهلع، ولكن رحمة الله قريب من المؤمنين.

وما شهدته في والد هذا الطفل حينما أودع فلذة من كبده في قبر هو سحر الإيمان.

الإيمان الذى يحيل الحزن سرورا والذي يتغلغل في ثنايا النفس نورا وطهورا.. الطفل فلذة من الانسان، وقطعة منه، بل هو فلذة من اشرف واكرم وارق ما في الانسان من القلب.

فاذا انفصمت منه هذه الفلذة فكأنما انفصلت من القلب، وهو موطن التأريخ والاحاسيس ومن ذا الذي تسكن نفسه ليضع في التراب فلذة من نفسه، وقلبه، وتاريخه، وآماله، واحلامه وجهاده؟.

إلاَّ مَنْ كان مؤمنا بانه يقدم الى الله بضعة من نفسه اختارها لتسبقه الى جنةالمأوى وهذا الايمان فن القلوب المسلمة وطمأنينتها وسكونها، وهو كمال الاسلام، وهو فضل الله الذي يقول (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي؛ ورضيت لكم الاسلام دينا).

فاللهم ارزقنا كمال الدين، وتمام النعمة ورضاء الاسلام انك سميع الدعاء ■

(محمد على مغربى)

المنهل/ صفر ١٣٥٩هـ

الهوامش :

(١) انطباق الشفاه لا يتم إلا عند التقبيل.

(٢) طفلا في طهر نفسه وإيمانها.



أوغل الصفو ممعنا فى الذهاب

آثر عهد الصبا وعهد الشباب

ان عهد الشباب عهد وضيء

مسبطر السنا عزيز الجناب

وارف الظل مستفيض هناء

مترع الكأس بالعجيب العجاب

آه من لي برجعة من لياليه

وأيامه اللطاف الطراب

يارعى الله ذلك العهد حيث

النفس تنساب في الأماني العذاب

تتهادى في دلها وصباها

كتهادى النشوان - بين الصحاب

تتلقى الحياة باسمة الثغر

وتختال في طريٍّ الأهاب

إن بدا الصبح كان للصبح فيها

نفحة الخلد بين خضر الروابي

واذا اقبل المساء استجابت

لهواها واسرفت في الطلاب

تقتل الليل بين روح ولهو

وابتهاج وفرحة واصطخاب

وترى في ذكاء تدأب رمزا

لحياة تَمُرمَرّ السحاب

توسع الكون بهجة وصفاء

وتتيح الآمال للطلاب

وتذيق المجد ما رام سعدا

وتذيق الغافين مر العذاب

فاستقلت غوارب الجد تعدو

لا تبالى في عدوها بالصعاب

تغنم الوقت في سبيل مناها

وهداها، فيا لطول الشباب!

* * *

ذاك عهد اذا ذكرت جداه

طال في الشيب حسرتى وعتابى

واستطار الفؤاد حزنا ووجدا

ومضى الدمع مسرعا في انسكاب

(عبد الوهاب آشي)

المنهل/ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٦٥هـ

٨٤
شذرات الذهب

أعلام من الاسكندرية

□ *كتاب تاريخى يتحدث عن أعلام الاسكندرية في القديم والحديث، وقد حفل بأخبار هذه المدينة منذ رأت الوجود حتى اليوم، وبرع المؤلف الاستاذ الكبير نقولا يوسف في تسجيل تاريخ الاسكندرية من خلال أعلامها في شتى العصور، وهى العصر اليونانى والعصر القبطى والعصر الاسلامى الى اليوم.*

وقد لاحظت عند قراءة الكتاب أن كثيرا من الأعلام قد ذاقوا عناء شديدا في ختام حياتهم. فختمت صفحاتهم بسطور حزينة، تتطلب الوقوف لديها، ليعرف المجاهدون في شتى الجبهات أن الحياة ليست هنيئة دائما، وإنما تتطلب من المشاق ما قد يؤدى الى القتل في أحيان كثيرة ومازال الجهاد ضريبة فادحة يؤديها المصلحون عن طيب خاطر، وعذرهم أنهم بذلوا أقصى ما يستطيعون، وقد يكون في هؤلاء من تنكب السبيل السوى، وهذا هو المحتمل أحيانا، لأن الإنسان تصادفه تيارات تقذف به في اتجاهات لا يدرى عواقبها، والكلمة في هذا الشأن للتاريخ المنصف، وفيما يلى حديثه عن بعض الشخصيات التاريخية التى اهتم بها هذا الكتاب.

(الفيلسوفه هيباتيا)

ابنة فيلسوف كبير هو (ثيون) عالم الرياضيات والفلك. وقد نشأت نشأة علمية ممتازة فصارت أستاذة للفلسفة بجامعة الإسكندرية في عهدها البعيد (٣٧١ ـ ٤١٥) قبل الميلاد وكان من سوء حظها أنها اصطدمت بالطائفة المسيحية، لأنها كانت تدين بالوثنية الإغريقية، ولها محاضرات تجذب إليها آلاف السامعين، وكان من المنتظر ألا يكون التعصب الدينى سبباً للقتل والاستئصال، فالله هو الذى يتولى الجزاء عند الحساب، ولكن فريقا من الغوغاء قد استمعوا إلى من أوصوهم بتتبع هذه الفيلسوفة التى تشغل أكبر مقام علمى في الجامعة، فأحاطوا بها عند ذهابها الى بعض المعابد، وهى وحيدة لا تملك شيئا من أدوات الدفاع فأخذوا يرجمونها بالحجارة حتى

فاضت روحها، وكان لمصرعها صدى بعيداً لدى المفكرين، فأخذوا يكتبون عنها السير، ويصورون فجيعتها تصويرا حاراً، وقد ظهرت القصص الأدبية الخاصة بتاريخ حياتها يصور ذكاءها وثقافتها، وما لاقته من اضطهاد أدى الى مصرعها الأليم.

(القديسة كاترين) :

هي صاحبة الدير الشهير بسيناء، ولها عند المسيحيين مكانة مقدسة حيث كافحت في سبيل دينها حتى لقيت مصرعها في تاريخ ٢٥ من نوفمبر سنة ٣٠٦ ميلادية.

وقد نشأت بالاسكندرية في رعاية والد عالم فاضل فقام بتثقيفها، وعرفت أصول المسيحية ووهبت نفسها لنشرها بين الوثنيين في المدينة، ولكن الامبراطورية الرومانية صاحبة الأمر في المدينة لم ترحب بنشاطها الديني في عصر الاضطهاد الديني قبل الاسلام فنشأت مذابح (إقلديانوس) التى استأصلت كثيرا من المسيحيين، ورأت كاترين ما نزل بقومها من العذاب فأصرت على تحدى الطغيان الرومانى غير مبالية بالقوة الغاشمة، وقادت الجموع هاتفة بحياة الحرية والعدل والمساواة، وقد ذهبت الى الحاكم الرومانى على رأس مظاهرة تدعوه إلى وقف الدماء، ونشر العدالة، وترك الحرية الدينية للناس، فأظهر القبول، ودعا إلى مجلس عام جمع كبار المثقفين من

د. أبــو حســـام

- المنصورة -

خصوم المسيحية وأظهرت فيه كاترين كل البراعة حين أفحمت المتناظرين، فاستشاط الحاكم «مكسيميانوس» غضبا، وثار على هؤلاء الذين عجزوا عن إقناع «كاترين» ثم خشى غضب روما، فأمر بسجن الفتاة، ثم تعذيبها حتى ترجع عن دينها، وأصرّت على عقيدتها فلقيت الإعدام بقطع رأسها، وكان لمصرعها ضجة هائلة، حيث أصبحت قديسة تذكر في طليعة المناضلين.

(عبد الرحمن شكرى) :

هو الشاعر الإبداعى الكبير، أحد مؤسسى النهضة الشعرية المعاصرة ، وقد لقى في السنوات الأخيرة من آلام المرض بعد الاضطهاد الوظيفى الجائر ما جعل ختام حياته شبه مأساة، حيث داهمه الشلل والسكر، مع معاش قليل لا يفي بقيمة الدواء، وظل طريحاً بمنزله لا يزوره غير نفر من خاصة تلاميذه، ولم تتذكره الدولة التى تعرف مكانه الأدبي، بل كان من تلاميذه وأصدقائه من خاصموه أدبيا، وجعلوا يتعرضون لشعره بالتجريح والتفنيد وهو عاجز عن الرد، لأن المرض منع يده اليمنى من الكتابة، ثم لقى ربه في أواخر سنة ١٩٥٨م ، ففاضت الجرائد بتأبينه، وتعداد مواهبه، وذهب مندبو الصحافة لالتقاط صور

لمنزله، وتسجيل حياته، وقد كان الأولى أن يهتم هؤلاء به وهو مريض أشل، ولكن الشاعر يقول:

لا أعــرفنك بعــد الموت تندبنى
وفي حــيــاتى مـــا زودّتنى زادا

(عبد الحميد سالم)

توفي بالاسكندرية سنة ١٩٥٧م ، وقد نشأ بها أديبا مرموقا تملأ آثاره الصحف والمجلات خارج الأسكندرية وداخلها، وحذق اللغة الفرنسية فكان يترجم بعض روائعها شعرا ونثرا في الصحف وعمل محرراً بجريدة «وادى النيل» وهى أقوى الصحف بالثغر وأكثرها انتشارا، فكان يكتب المقالات الضافية ويعلق على الأحداث بمهارة، ولاسيما حين قامت الثورة المصرية ١٩١٩م بزعامة سعد زغلول، وقد حاول أن ينشىء صحفا خاصة به، ولكن ظروفه المادية، وتحديات الخصوم لم تمكنه من الاستمرار في عمله المستقل بجريدة خاصة يكون هو صاحب الشأن في توجيهها السياسى والأدبى فأورثه هذا الإحباط ألما عاد عليه بالمرض، فعاد الى التحرير في الصحف، وإصدار بعض الكتب الأدبية.

يقول المؤلف عنه (وأصيب عبد الحميد سالم بمرض طال علاجه، وأثر في جسده وسلوكه الشخصى وحالته العقلية فانطوى على نفسه، وتردد على الحانات، ولبس رث الثياب، وهام على وجهه في الطرقات، ودام على ذلك عدة سنوات، وكان يأبى مساعدة أصدقائه القدامى الذين أخذوا يعطفون عليه، ثم توفي في الثانية والستين، وهو سائر في الطريق، إذ عثر عليه ملقى على الرصيف في أحد دروب المدينة، وكان قد لفظ أنفاسه في منتصف الليل فنام حيث انتهى).

(الدكتور اسماعيل أدهم)

نعرف كثيراً عن نشاط الدكتور اسماعيل ادهم، إذ كان شعلة لا تخمد، وقد كتب أسفارا شتى عن أعلام الأدب في عصره، وعن التاريخ العربى في مجلدات ولكنه كان ملحداً لا يؤمن بدين وأخذ يجاهر بذلك، فأدى به الأمر إلى نفور الكثيرين من اتجاهه مع الترحيب بمقالاته الأدبية التى أحدثت صدى بعيدا بجدّة اسلوبها، واختلاف طرق البحث الأدبي لديه عن سواه، وقد أصدر كتاب (لماذا أنا ملحد) فكان غير موفق فيما قرره فيه من أقوال تصيّدها من غلاة الماديين في أوربا، وقد نقده الأستاذ محمد فريد وجدى نقداً هادفا في مجلة الأزهر فأظهر ما في كتابه من الشطط، كما نقده الدكتور أحمد زكى أبو شادى في كتاب جعل عنوانه (لماذا أنا مؤمن).

ثم ضاقت به وسائل العيش، ولم يجد من الحياة ما كان ينتظر من ذيوع وتقدير، فآثر الانتحار ورمى بنفسه في البحر في ختام سنة ١٩٤٠م، وكتب وصية تدل على عدم إيمانه، وأنه مُصِرٌ على إلحاده، وهكذا مضت حياة بائسة، لم تذق حلاوة الإيمان فتعست وانتهت بالانتحار.

(الأستاذ فخرى أبو السعود)

شاعر شاب وأديب موهوب، وكاتب بحاثه ، كتب في الأدب المقارن فصولا قيمة كانت فاتحة البحث الأدبى في هذا الموضوع، ولم تجمع بعد في كتاب خاص، ولكنها نشرت في أعداد متوالية بمجلة الرسالة.

وقد كتب قصائد جيدة تدل على تأثره بمدرسة الديوان الشعرية، إذ كان بعد عودته من انجلترا مدرساً بإحدى المدارس الثانوية بالاسكندرية، وكان ناظر المدرسة الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكرى، فصادف تقديره الأدبي، ثم ترجم عدة روايات أدبية نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر إحداها. وهى ذات حجم ضخم، وقد تتابعت فصوله الأدبية والاجتماعية في أمهات الصحف الأدبية كالهلال والمقتطف والرسالة والثقافة.

ولكن حادثا أليماً طار بصوابه، حين علم بأن سفينة انجليزية تحمل ولده قد ضربت في عرض البحر أثناء الحرب العالمية الثانية، ففقد أعز إنسان لديه، ولم يتحمل الصدمة، فأطلق على نفسه الرصاص، وهو ضعف إنسانى قد داهمه ففقد صوابه، ولكنه وجد من تعاطف الباحثين ما دفعهم إلى جمع شعره والحديث عن أدبه. وقد توفي سنة ١٩٤٠م في نحو الثلاثين من عمره.

(بهيجة حافظ)

هذه الممثلة الذائعة الصيت، التى كانت أشهر فنانة في عصرها، والتى مثّلت أول قصة أدبية عرفتها السينما المصرية، هذه الممثلة القديرة قد لقيت الجحود في ختام حياتها، واعتزلها الناس بعد أن كانت قبلة الأنظار، وقد تعطفت عليها جريدة الأهرام فذكرت قبل رحيلها بأمد يسير كلمة عن نشأتها فى بيت باشا كبير هو والدها، وعن هيامها بالفن دون رغبته حتى أصبحت أشهر فنانة في عصرها، وكان مما قالته الأهرام عنها:

«وحيدة إلا من ذكرياتها، تناجى صور الماضى المعلقة على جدران المنزل، ولا ترى منه إلا ظلاماً بعد أن ضعف بصرها، تعزف الألحان ولا تسمعها، تنشد الألفة فلا تجدها إلا مع القط العجوز الذى يألف منزلها، إنها صاحبة أول وجه ظهر في السينما المصرية وصاحبة أشهر صالون للثقافة والموسيقى بالقاهرة، وقد سلكت سبيل الفن منذ أربعين عاما وانتهت بحصولها على شهادة في التأليف الموسيقى والعزف على البيانو من باريس فكانت أول فنانة مصرية في عالم الفن الرفيع . وكانت صاحبة أول اسطوانة موسيقية تنزل إلى الأسواق سنة ١٩٢٦م ومن خلال الموسيقى قامت الصلة بينها وبين السينما».

وبعد، فهذه شذرات أليمة عن نوابغ في الأدب والفلسفة والفن قاموا بأدوارهم الباهرة، ثم غمرهم النسيان في الحياة قبل أن يأتى النسيان النهائي بعد الممات ■

مسك الختام

الاخلال بقواعد المقال

□ كما هو الحال مع الشعر العربي، حيث انفلت من قيوده الخليلية الى انماط وتجارب متعددة بدأت بالشعر الحر وانتهت بقصيدة النثر، ولا ندري ماذا يخبىء لنا المجهول من محدثات قد تطرأ على هذا الفن الجميل من فنون التعبير، اقول أن ما طرأ على الشعر من محدثات أدت الى تغيير قسماته ومعالمه وملامحه الجميلة طرأ على النثر أيضا، بفنونه المختلفة، واخص بالذكر هنا فن المقالة على اعتبار أنه من ألصق فنون التعبير بانسان هذا العصر تبعا لانتشار الصحف والمجلات والدوريات التى تعج بكميات يومية هائلة من هذا الفن.

واذا كنا قد «هضمنا» الى حد معين ما طرأ على الشعر من مستجدات فأظن اننا لم نستطع حتى الآن أن نستسيغ ما طرأ على المقالة من مستجدات لا أظن انها بارزة في «شكل ومضمون» المقال مثل بروزها بوضوح في الشعر.

فالموضوع في اللغة يعتمد أساسا على «استراتيجية بيانية» ان جاز القول ترتبط بقواعد محددة قد تتشابه في بنيتها الشكلية، ولكن تركيبها الداخلي قد يختلف بين ثقافات ولغات الشعوب، وهنا يحق لي أن أتساءل:

- ترى ما هي الصفات التى تتميز بها التراكيب الموضوعية في اللغة العربية؟.

تقول بعض الدراسات التجريبية أن الفوارق والاختلافات بين لغات الأمم والشعوب فيما يتعلق بتراكيبها الموضوعية واردة، وسبب ذلك يعود بالدرجة الأولى الى وجود علاقات مباشرة أو غير مباشرة بين العلوم البيانية والأبنية الهرمية لأي موضوع نثري سواء جاء على شكل مقالة أو جاء على أي شكل آخر.

وغني عن القول أن العلم البياني يعتبر مدخلا رئيسيا من مداخل الصيغ الفكرية التى يبنى عليها الموضوع باستخدام اللغة، وهذا يعني بطبيعة الحال أن علوم الكتابة مرتبطة جذريا بما يتمتع به الكاتب من معلومات وخبرات لها علاقة بالعناصر الموضوعية التى تعتمد على سلامة اللغة وصحتها.

أعود الآن الى السؤال الذي أعطيت نفسي الحق بطرحه هنا فأقول بأننا لابد قبل الوقوف على الصفات المميزة للتراكيب الموضوعية في لغتنا العربية أن ندرك تماما أنها تختلف في جوهرها بين اللغات، وهذا لا يعني كما أرى أفضلية لغة على لغة، ولكنه يعني أن «البنيان اللفظي» إن جاز التعبير، وهو الذي يشكل جوهر الموضوع يختلف بالضرورة من لغة الى أخرى تبعا للطريقة المستخدمة في نطق هذه اللغة أو تلك، وتبعا للطريقة التى يتم بها معرفة المدلول المعنوي لمفردات اللغة ولنتمكن من الوقوف بدقة على النهج الموضوعي في لغتنا العربية فلابد من

الوقوف امام ثلاث صيغ هامة تشكل مجتمعة محورا رئيسيا لتركيب الجملة وعرض ما بداخلها من أفكار.

أولها: الصيغة المترادفة في الجملة الواحدة، وهذه الصيغة تعتمد على «التوازن» بين الأجزاء الداخلية للجملة، غير أن من الضروري هنا أن اشير الى أن «التوازن» بين جزئين أو اكثر داخل الجملة الواحدة قد لا يكون متوفرا في معظم اللغات، وقد لا يكون لهذا التوازن ميزة تفضله عن لغة خالية منه تماما.

اما **الصيغة الثانية** في «لغتنا الجميلة» فهي الصيغة التركيبية وتعني بصياغة الأفكار الداخلية للموضوع لا الجمل، بمعنى أن الجملة الواحدة اذا كانت «مركبة» من جزأين فلابد أن تتوزع الفكرة بينهما بتساو، بمعنى أن بداية الفكرة لابد أن تكون مطروحة في الجزء الأول من الجملة، ونهايتها مطروحة في الجزء الآخر، وبقراءة الجزأين معا في وقت واحد يمكن الوصول الى المعنى الكلي الذي أراده الكاتب، وهذه الصيغة تشاركنا فيها عدة لغات مشهورة.

وفيما يتعلق بالصيغة الثالثة والأخيرة فهي الصيغة «التضادية» وتعني أن الجملة اذا كانت مكونة من جزأين فالفكرة التى طرحها الكاتب في الجزء الأول متناقضة مع الفكرة المطروحة في الجزء الثاني، أي أن الجملة الواحدة تتكون من فكرتين متضادتين، بمعنى أن بداية المقالة قد لا تدخل مباشرة في الموضوع المثار، بل قد تكون البداية بعيدة عن فكرة الكاتب تماما، ثم يبدأ بعد ذلك في طرحها تدريجيا فيما نسميه «بمقدمة الموضوع».. فنلاحظ أن هذه المقدمة تتكون من «مدخل» قد لا نجد له علاقة بموضوع الفكرة، ثم يتطرق الكاتب بعد ذلك لمناقشة جوهر الفكرة بعد أن مهد لها.. وقد نلاحظ في كثير من الحالات أن العلاقة شبه مفقودة بين «النقلات» الثلاث في المقدمة الواحدة.

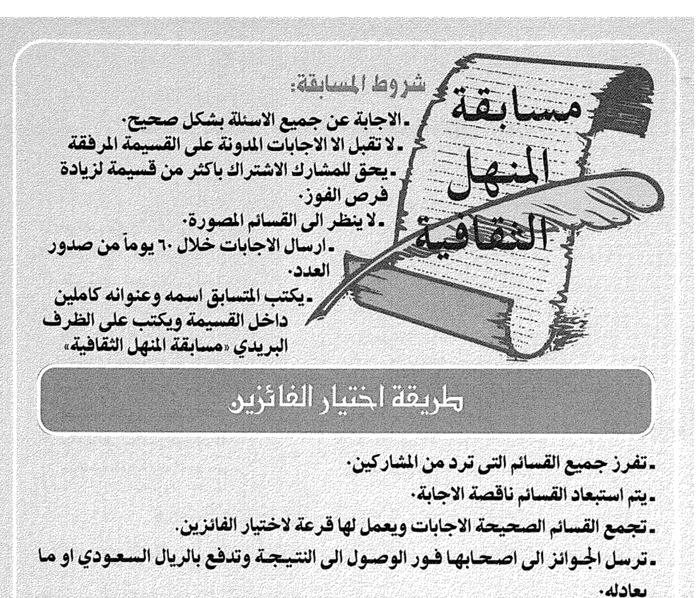
هذا فيما يتعلق بالتركيب البنائي للموضوع أما محتوى المقال فلا شك انه يخضع بالضرورة لمخزون الكاتب من المعلومات والمفردات اللغوية التى تمنحه الخوض في فكرته المطروحة بطريقة مبدعة وصائبة.

أعود الآن الى ما ذكرته في البداية من متغيرات طرأت على الشعر ومحاولة البعض على الطريقة «التجديدية الحديثة» من أولئك المشتغلين بالفنون النثرية لا سيما فن المقالة منها، أن يدخلوا أشكالا من التجديد على قواعد وقوانين تلك «الاستراتيجية البيانية» التى أتيت على ذكرها، فكيف يمكنهم الوصول الى ادخال تلك الاشكال «العبثية» في المقالة؟.

وأقول العبثية وأنا اركن الى صحة ما أقول، وها نحن نقرأ اليوم هذه المحاولات المجنونة التى تريد تحطيم الأشكال السائدة في المقال، وتحطيم مضامينه أيضا ضمن محاولات التجديد «البهلوانية» فلا نكاد نفهم شيئا من أسرار تلك المحاولات، مما يؤكد بأن الاخلال بقواعد الفنون النثرية يعد سابقة خطيرة لابد من تأمل أسبابها جيدا للحيلولة دون تفاقمها على أعمدة صحفنا ومجلاتنا ودورياتنا العربية ■

محمد حمد الصويغ

- السعودية -



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى :	١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠ ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠ ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠ ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....

المنهل

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

نتائج العدد ٥٩٢

الفائــزون :

١ ـ **ابراهيم طاهر سالم تونسي** ـ جده .

٢ ـ **هدى السيد على** ـ مصر .

٣ ـ **على محمد امين دعبل** ـ السعودية.

٤ ـ **غسان نور الدين فرحان** ـ الامارات.

٥ ـ **بدر محمد القحطاني** ـ السعودية .

٦ ـ **سليمان فليح الغريب** ـ الاردن .

٧ ـ **صفاء علي حامد على بيبرس** ـ مصر .

٨ ـ **عبد الله صدوق** ـ المغرب .

٩ ـ **جاسم على جاسم المبارك** ـ الكويت.

١٠ ـ **احمد محمد جويد احمد** ـ مصر .

نتائج للعدد ٥٩٣

الفائــزون :

١ ـ **كوثر صالح أورير** ـ تونس .

٢ ـ **عبد الله محمد عبد العزيز البليخي** ـ السعودية.

٣ ـ **الصادق منصور الهاتي** ـ تونس .

٤ ـ **سحر عادل محمد عبد المجيد** ـ مصر .

٥ ـ **ياسر عبد الرحيم عبد الكريم غلام** ـ السعودية.

٦ ـ **دعاء حسن خليل مصطفى** ـ مصر .

٧ ـ **حسان عبد الله عدنان آل حمادة** ـ السعودية.

٨ ـ **ابراهيم الجيوشي احمد** ـ مصر .

٩ ـ **محمد نجيب بن عثمان** ـ تونس .

١٠ ـ **البرقاوي مولاي محمد** ـ المغرب .

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٩٤) في العدد (٥٩٦) .. وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين.

قسيمة مسابقة العدد (٥٩٥)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة..

*** ان أول كرسي للاستاذية في مجال علم البرديات بما فيها البرديات العربية انشأته جامعة :**

☐ **اكســـفورد** ☐ **هــارفارد**

*** تعتبر جامايكا ((   )) غنية بالكائنات البحرية :**

☐ **شبه جـزيرة** ☐ **جزيــــرة**

*** ولد الأديب يوسف الشاروني في :**

☐ **مدينة منوف ـ بمصر** ☐ **مدينة بور سعيد بمصر**

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..

الجائزة .. والتكريم





الأستاذ الدكتور احمد محمد على، رئيس البنك الاسلامى للتنمية بجدة . أحد نماذج الحركة الاقتصادية التنموية على مستوى عالمنا العربي والاسلامي.. وأحد نماذج الادارة الحديثة الدافعة لعجلة وحركة التنمية في العالم الاسلامي.. والتنمية عنده قيمة حضارية وانسانية وليست مجرد دعم اقتصادي للدول..

منذ توليه مسئولية وقيادة (البنك الاسلامى للتنمية) في جدة وضع له الأسس والبرامج وخطة تسييره، وأبدع في كل ذلك عن جدارة.

وتأتى (جائزة الملك فيصل العالمية) لتتوِّج هذا الجهد العظيم بتاج التقدير.

والمنهل : تهنىء الاستاذ الدكتور احمد محمد علي وتهنىء البنك الاسلامي للتنمية بنيل هذه الجائزة العالمية عن كفاءة وجدارة.

والدكتور احمد محمد على من أحباء المنهل ومن كاتبيه الذين لهم قدرهم العلمي والفكري..

نكرر التهنئة والتقدير لشخصه الكريم..

مع تحيات ،،،
اسرة مجلة المنهــل

المنهل
مجلة للآداب والعلوم والثقافة

المركز الرئيسي (جدة) رمز بريدي ٢١٤٦١ - ص. ب ٢٩٢٥ - هاتف : ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣
العنوان البريدي : AL-Manhal@Al-manhal.Com.sa عنوان موقع الإنترنت : WWW.AL-Manhal.Com.Sa